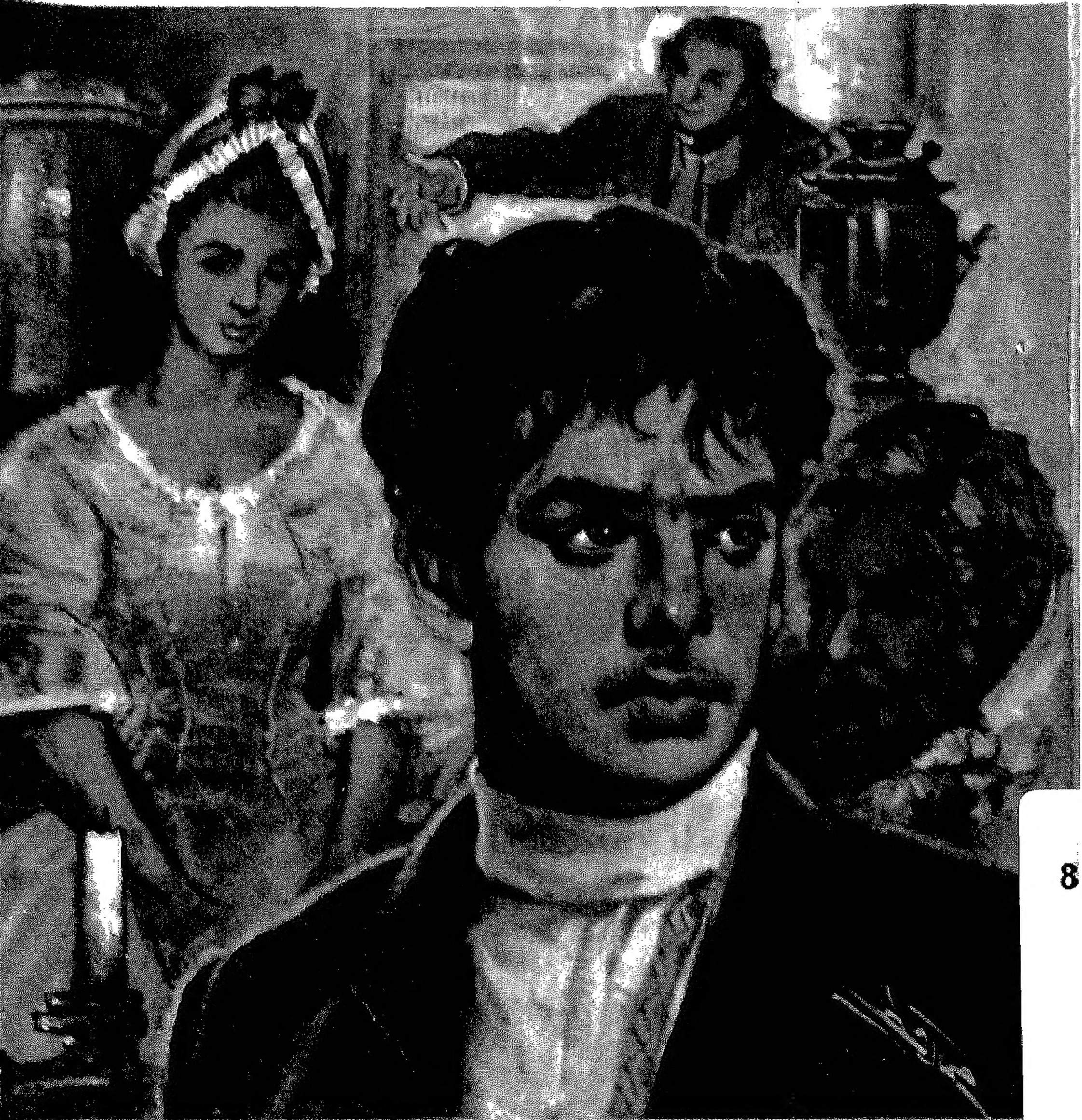


# الزواج الأبدي

روایات اهل دل



8

دوستو فیسی



# روايات الهلال

Rewayat Al - Hilal

تصدر عن مؤسسة .. دار الهلال

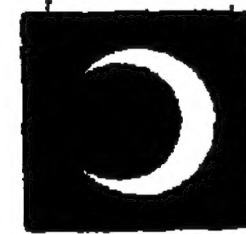
العدد ٣٤٥ - سبتمبر ١٩٧٧ - رمضان ١٣٩٧  
No. 345 - September 1977

رئيسة مجلس الإدارة : أمينة السعيد  
نائب رئيس مجلس الإدارة : صبرى أبوالمجد

سكرتير التحرير : موسى عبيد  
المدير الفني : أحمد فاضل  
المشرف الفني : جمال قطب

## بيانات ادارية

ثمن العدد : في جمهورية مصر العربية ١٥٠ مليماً . عن الكميات المرسله بالطائرة -  
في سوريا ولبنان ٢٠٠ قرشاً ، في الاردن ٢٠٠ فلساً ، في العراق ٣٠٠ فلساً - في  
الكويت ٣٠٠ فلساً - في السعودية ٣٥ ريال سعودي  
قيمة الاشتراك السنوى : « ١٢ عدداً » في جمهورية مصر العربية وبلاد اتحادى البريد  
العربى والافريقى ١٥٠ قرشاً صاغاً - فى سائر انحاء العالم ٦ دولارات أمريكية أو ٢٥٠ جك  
والقيمة تسدد مقلماً لقسم الاشتراكات بدار الهلال : فى جمهورية مصر العربية والسودان  
بحواله بريدية . وفى الخارج بشيك مصرفى قابل للصرف فى جمهورية مصر العربية .  
والاسعار الموضحة أعلاه بالبريد العادى - وتضاف رسوم البريد الجوى والمسجل  
على الاسعار المحدثه عند الطلب .  
الاطرة : دار الهلال ١٦ شارع محمد عز العرب بالقاهرة  
تليفون : ٢٠٦١٠ « عشرة خطوط »



اهداءات ٢٠٠١

ا. صلاح راتب

القاهرة

روايات  
الله

---

مجلة شهرية لنشر القصص العالمية

أُتُفَلِّفُ بِرِيْشِـسَـةِ  
الْفَلَّانِ جَمالِ قُطْبِ



# الزيت الأبيض



دوستوفيسكي



دكتور ساحي الدروي



دار الهلال



## - ١ -

### فلتشانينوف

جاء الصيف ، وبقي فلتشانينوف ببطرسبرج ، على خلاف كل ما كان يتوقع . فالرحلة التي كان يزمع القيام بها الى جنوب روسيا لم تتحقق ، والدعوى التي يلاحقها لا ترى لها نهاية . ان هذه الدعوى ، وموضوعها خلاف على ارض ، قد تغير مجراها تغيرا سيئا . منذ ثلاثة أشهر كانت تبدو بسيطة ، وكان كسبها أمرا لا يجادل فيه . ولكن كل شيء فسد على حين فجأة . « الامور تسير من سيئ الى اسوأ » . هذه هي العبارة التي أصبح فلتشانينوف يرددتها في كثير من الاحيان . كان له محام بارع ، باهظ الاجر ، ذائع الصيت ، وكان لا يبالي بالنقبات . الا ان نفاد صبره ، ونوعا من الشك القلق ، كانا يحدوانه الى التدخل في القضية بنفسه : فكان يحرق مذكرات يلقيها المحامي كلها في السلة ، وكان يسعى بين الادارات هنا وهناك ، ولا ينفك يستطلع الانباء ، ولعل هذا كله كان لا يزيد على ان يعرقل الامور ويؤخرها ، وكان المحامي يتدمر من ذلك ، ويلج عليه أن يسافر الى الريف ، ولكن صاحبنا كان لا يستطيع أن يعزم أمره على السفر ، ولو الى ضواحي المدينة . الفبار ، الحر الخائق ، الليالي البيضاء التي تثير الاعصاب ، ذلك ما كان يستمتع به في بطرسبرج . ولم يكن حظه من مسكنه الذي استأجره منذ قليل قرب « المسرح الكبير » بالحظ الحسن : « ما من شيء يوفق فيه » . فكان مزاجه السوداوي يتفاقم يوما بعد يوم ، والحق انه كان يجنح الى هذا المزاج السوداوي منذ مدة طويلة .

هذا رجل قد عاش حياة مليئة واسعة . وقد تجاوز الآن ريعان الشباب ، فهو في الثامنة والثلاثين أو في التاسعة والثلاثين من عمره ، وقد ظهرت « شيخوخته » هذه « فجأة » على حد تعبيره .



ولكنه كان يدرك هو نفسه أن هرمه لا يرجع الى عدد السنين التي عاشها ، بل الى نوع هذه السنين ، وان السبب في جميع ما يعانى انما هو سبب نفسى . كان لا يزال يبدو رجلا قوى البنية : فهو فتى قارع القامة ، صلب العود ، ليس في شعره السكثيف الاشقر ، ولا في لحيته الطويلة التي تكاد تتدلى الى نصف صدره ، خيط أبيض واحد ، وكنت اذا نظرت اليه نظرة أولى خيل اليك انه أخرق ثقيل ، ولكنك ما أن تنعم النظر حتى ترى فيه السيد المهذب الذى يجيد التصرف والذى نشأ في مجتمع راق . كانت حركات فلتشانينوف سهلة هينة ، رصينة وقور ، بل لقد كانت جميلة رشيقة أيضا ، رغم ما طرأ عليه من ميل الى التذمر والاهمال . وما زال الى الآن يتصف برزانة لا تتزعزع ، وبثقة ارستوقراطية تبلغ حد الوقاحة ، ولعله كان هو نفسه لا يقدر مدى هذه الثقة ، رغم انه ليس رجلا ذكيا فحسب ، بل مرهفا في بعض الاحيان ، وعلى حظ من الثقافة ، وعلى جانب من الموهبة لاشك فيه . وكان وجهه الصريح الزاهى - الذى كان يتميز منذ قليل بنعومة ورقة - يجذب اليه انتباه النساء ، حتى انك اذا رأيته الى الآن قد تهتف قائلا : « ما أجمل هذا الفتى القوى ! » . ومع ذلك فان هذا « الفتى القوى » مصاب بمزاج سوداوى قاس . ولقد كان في عينيه أيضا ، منذ عشر سنين ، شيء يأسر النفس : عينان زرقاوان واسعتان، صافيتان ، مرحتان ، فيهما ، فوق ذلك، من الحركة ما يجذب كل من يقع عليهم بصره ، شاءوا ام أبوا . اما الآن ، وهو يشارف على الأربعين ، فان الوضوح والطيبة قد زالتا تماما من هاتين العينين اللتين أصبحت تحف بهما غضون خفيفة ، حتى لقد أصبحتا تعبران عن استهتار رجل متعب ليس على جانب كبير من الاخلاق ، وعن المكر ، وعن الهزء في اكثر الاحيان، وعن شيء جديد لم يكن فيهما من قبل ، عن لون خفيف من الحزن والالم ، حزن خفى لا موضوع له ان صح التعبير ، ولكنه حزن عميق . وكان هذا الحزن يظهر خاصة حين يكون صاحبنا وحده . والغريب ان هذا الرجل الذى كان ، منذ سنتين لا اكثر ، انسانا كثير الصخب ، شديد المرح، يجيد رواية النكت المضحكة ، أصبح الآن لا يحب شيئا حبه للوحدة التامة . لقد هجر من تلقاء نفسه عددا من العلاقات التي كان يمكنه ألا يهجرها رغم ما آلت اليه ثروته من حال سيئة . صحيح ان غروره قد ساعد على ذلك أيضا:

أن ما يعانيه من حذر قلق ، وما يتصف به من غرور ، قد جعل من المسحيل عليه أن يتردد على أصدقائه الفدائي . ولكن الفرور نفسه قد تبدل في الوحدة شيئا فشيئا . ان هذا الفرور لم يضعف ، ولكنه اتخذ صورة أخرى ، خاصة جدا : ان الامور التي تجرحه الآن تختلف كل الاختلاف عن الامور التي كانت تزعجه في الماضي : انها الآن بواعث لا يتنبأ بها ، بواعث « أعلى » من تلك التي كان لها عليه سلطان الى الآن ، « اذا صح التعبير ، اذا كان ثمة بواعث عليا وبواعث دنيا حقا » . هذا ما كان يضيفه ...

نعم ، لقد وصل به الأمر الى هنا : انه الآن يصارع أسبابا عليا لا يدري أحد ما كنهها ، أسبابا ما كانت لتخطر بباله قبل ذلك . وكان ، في ذهنه ، في شعوره ، يسمى باسم « الأسباب العليا » جميع تلك التي كان (على دهشة منه) لا يستطيع أن يهزأ بها وأن يضحك منها في ذات نفسه . أما بين الناس فالأمر يختلف عن هذا كل الاختلاف . كان يعلم حق العلم انه يستطيع بين الناس ، في أول مناسبة ، منذ القد ، أن يعدل كل العدول عن جميع هذه « الأسباب العليا » رغم ما في ضميره من أمور خفية تقية ، وأن يكون أول الهازئين بها الضاحكين منها ، مع الحرص على عدم الاعتراف بذلك طبعاً . وكانت الأمور تجري على هذا النحو فعلاً ، رغم ما ظفر بالوصول اليه أخيراً من استقلال فكري واضح عن « الأسباب الدنيا » التي كانت تسيطر عليه قبل ذلك . وكم من مرة ، مع هذا ، نهض من فراشه عند الصباح ، وهو يشعر بالخجل من الأفكار والعواطف التي ساورتها أثناء الأرق ( يجب أن نذكر انه يعاني من الأرق دائماً في هذه الاوقات الأخيرة ) ، حتى لقد لاحظ منذ مدة طويلة انه أصبح يزداد استسلاماً للوساوس وأنتك ، سواء في الشؤون الخطيرة وفي الأمور التافهة ، فقرر ألا يصدق نفسه كثيراً . ولكن كانت تقع له أحداث يستحيل حقا أنكار انها واقعة . ان أفكاره واحساساته العادية أصبحت ، في هذه الاوقات الأخيرة ، تتبدل أثناء الليل تبديلاً يشبه أن يكون تاماً ، فما تشبه الأفكار والاحساسات التي كانت تساوره أول النهار في شيء . وقد أذهله هذا ، حتى لقد مضى يستشير طبيباً مشهوراً كان بينه وبينه معرفة شخصية ، فقص عليه الأمر مازحاً بطبيعة الحال ، فعرف أن تبدل الأفكار والاحساسات ، بل ازدواجها ، أثناء الأرق ، وخلال الليل بوجه عام ، ظاهرة كثيرة الشيعوع بين

أولئك الذين « يفكرون ويحسون بعنف » ، وان الاعتقادات التي رسخت في المرء خلال حياته كلها يمكن أن تتبدل فجأة بما يحدثه الليل والأرق في نفسه من هبوط وخور ، حتى لقد يتخذ الإنسان في مثل هذه الأحوال ، وعلى حين فجأة ، قرارات حاسمة في حياته ، وان لكل شيء حدا بطبيعة الحال ، فاذا شعر المريض بهلما الازدواج شعورا قويا حتى تألم منه ، كان ذلك دليلا قاطعا على وجود مرض حقيقي ، وفي هذه الحالة ينبغي أن يبادر المريض الى علاج نفسه ، وخير ما يعمل به أن يغير طراز حياته تغيرا جذريا ، وان يبدل نظام معيشته ، وحتى أن يقوم برحلة . ومن المفيد حتما في هذه الحالة أن يتناول أيضا « شربة » .

انقطع فلتشائينوف عن سماع مزيد من هذا الكلام : انه اذن مريض .

« كل هذا اذن مرض ، كل تلك الاسباب « الغلبا » ليست اذن الا نتيجة المرض ، ليست اذن شيئا آخر ! » بهذا كان يهتف ساخرا . انه لم يدعن حقا للتسليم بذلك .

وما هو الا وقت قصير ، واذا بالأشياء التي كان لا يحسها الا نادرا ، في الليل ، أصبحت تقع له عند الصباح ، وأصبحت أحد حدة وأمر مرارة ، وأخذ عذاب الضمير يحل محل الغضب ، وأخذ التأثير يحل محل السخر . ان حوادث من حياته الماضية ، من حياته الماضية البعيدة في بعض الأحيان ، تنبثق الآن في ذاكرته انبثاقا عجيبا ، تنبثق « على حين فجأة » ، لا يعلم الا الله لماذا . وازدادت هذه الظاهرة حدوثا . كان فلتشائينوف ، منذ مدة طويلة ، يشكو من أن ذاكرته تضعف : كان ينسى وجوه أشخاص يعرفهم ، فيزعجهم ذلك منه حين يلقاهم . وكان في بعض الأحيان ينسى كل ذكرى من كتاب قراه منذ ستة أشهر مثلا . ومع ذلك ، رغم هذا الضعف الواضح الذي يصيب ذاكرته يوما بعد يوم ( وكان من هذا في حالة هم وخوف ) ، فان كل ما يتصل بماضيه البعيد من حوادث نسيها نسيانا تاما منذ عشر سنين أو منذ خمس عشرة سنة ، يستيقظ الآن في ذاكرته على حين فجأة ، واضح التفاصيل ، قوى التأثير ، كأنه يعيشه مرة أخرى . وبعض هذه الحوادث كان قد بلغ من اغراقه في غياهب النسيان أن مجرد القسرة على تذكره كان يبدو له معجزة من المعجزات . ولكن هذا لم يكن كل شيء : ما من أحد عاش حياة مليئة واسعة الا وتبقى له ذكريات من هذا النوع .



وانما الامر الهام هو ان ذلك الماضى الذى يستيقظ الآن يظهر له بوجه جديد غير متوقع ، يظهر له بوجه ما كان يمكن ان يخطر له قبل ذلك ببال . لماذا تتخذ بعض ذكرياته في نظره الآن مظهر جرائم حقيقية ؟ ثم ان هذه الذكريات لا تبدو له في هذه الصورة برأى يراه عقله فحسب ، والا لما صدق عقله هذا ، المظلم ، الوحيد ، المريض ، وانما كان يصل من ذلك الى ان يلعن نفسه ، بل كان يوشك ان يبكي ، ان لم يكن بدموع ظاهرة ، فبنشيج داخلي . لو قال له احد منذ سنتين انه سيبكي ، لما صدقه بحال من الاحوال . ثم ان ذكرياته كانت في اول الامر ذكريات مرة اكثر مما كانت ذكريات عاطفية . كان يتذكر بعض ما ناله في حياة المجتمع الراقى من اخفاق ، وبعض ما لحق به من مهانة احيانا : تذكر مثلا «الوشايات» التى روجها عنه رجل دساس ، فاصبح احد البيوت لا يستقبله ، وتذكر كيف اهين قبل ذلك اهانة واضحة على ملا من الناس فلم يحاول ان يسترد شرفه بطلب النزال بالسلاح . وتذكر كيف وخز مرة بكلمة لاذعة امام جمع من جميلات النساء ، فلم يعرف كيف يرد الوخز بمثله ، بل لقد تذكر كيف تخلف عن دفع بعض الديون التى كانت تافهة في ذاتها ، ولكن التخلف عن دفعها اخلالا بالشرف ، وهى الاناس اصبح الآن لا يراهم ، بل يقول فيهم هاجر القول . وكان يتذكر على ألم ايضا ( ولكن ذلك في أسوأ حالاته فحسب ) الثروتين الضخمتين اللتين بددهما بغباوة . ولكن ذكرياته ما لبثت ان أصبحت تتناول أمورا « أرفع » من ذلك .

من ذلك انه تذكر فجأة ، بلا أى سبب ، بعد مسيان طويل ، انه في ذات يوم ، منذ مدة طويلة ، اهان على ملا من الناس ، ظلما وعدوانا ، موظفا صغيرا عجوزا طيبا ، لا لشيء الا ليقول كلمة جميلة جاءت له ببعض الشهرة وصارت مضرب المثل . ان هذه الحادثة كانت قد دفنت في ذاكرته دفنا عميقا ، حتى انه كان لا يستطيع ان يتذكر اسم العجوز القصير ، رغم ان جميع ظروف القصة انبجست في ذاكرته الآن ، على حين فجأة ، بوضوح ما بعده وضوح . تذكر ان العجوز اراد ان يدافع عن ابنته التى تقدمت في السن ولم تتزوج بل ظلت تقيم مع أبيها ، فأخذوا بروجون عنها الاشاعات ، فحاول العجوز ان يدافع عنها وان يفضب ، ثم اذا به ، على حين فجأة ، ينفجر منتحبا امام جميع الناس ، فترق له قلوبهم قليلا ، ثم يسكرونه بالشمبانيا على سبيل المزاح ، ويضحكون

ما شاء لهم أن يضحكوا . فلما تذكر فلتشانينوف العجوز الصغير ، بلا سبب ، فرآه وهو ينتحب ويخفي رأسه بيديه ، كطفل ، أحس فجأة أنه لم ينقطع يوما عن تذكر هذه الحادثة . والغريب أن ذلك كله كان يبدو له مضحكا ، أما الآن فهو لا يبدو له كذلك ، وخاصة بعض التفاصيل ، ودفن الوجه باليدين بالذات .

وتذكر أيضا كيف أنه شهر ، لا شيء غير المزاح ، بتلك المرأة الجميلة ، زوجة معلم المدرسة ، حتى وصلت الأشـاعات التي روجها إلى الزوج . أن فلتشانينوف ، وقد ترك تلك المدينة الصغيرة بعد ذلك بمدة قصيرة ، لم يعرف أبدا العواقب التي نجمت عن عمله . ولكن هاهوذا الآن ، فجأة ، يأخذ يتصورها ، ولا يعلم إلا الله إلى أين كان يمكن أن يؤدي به خياله ، لولا أن انبجست فيه ، فجأة ، ذكرى أقرب من تلك ، ذكرى فتاة بسيطة ، لا تفريه ، ولا كانت تعجبه ، حتى لقد كان يحمر خجلا من علاقته بها ، ولكنه مع ذلك أنجب منها طفلا ، دون أن يخطر له هذا ببال . فهجر الأم والطفل ، حتى أنه لم يودعهما ، (والحق أن وقته لم يتسع للوداع) حين سافر من بطرسبرج . وقد حاول بعد ذلك ، خلال سنة بكاملها ، أن يعثر على تلك الفتاة ، فلم يظفر بطائل . على أن ذاكرته كانت تمتلئ بمئات من الذكريات التي من هذا القبيل ، وكأن كل واحدة منها كانت تجر وراءها عشرات . وشيئا فشيئا أخذ غروره يصاب أيضا .

سبق أن قلنا أن غروره قد اتخذ شكلا خاصا جدا ، والواقع أن الرجل كانت تمر به لحظات ( وأن تكن نادرة ) يبلغ فيها من عدم الاكتراث أنه لا يستحي إلا تكون له عربة خاصة به ، وأن يتنقل من إدارة إلى أخرى على قدميه ، وأن يهمل هندامه . ولو صادفه أحد من معارفه القدماء في الشارع فنظر إليه نظرة شاخرة أوتظاهر بأنه لا يعرفه ، لكان له من كبريائه ما يكفي لأن لا يشعر من ذلك بأي حنق ، لا ظاهرا فحسب ، بل في قرارة نفسه أيضا . بديهي أن هذه الحالة نادرة . وما كانت تدوم إلا لحظات قصارا من نسيان النفس والاهتياج . ولكن غروره قد تحول شيئا فشيئا عن الأمور التي كانت قبل ذلك تؤثر فيه ، وأصبح منصبا على شيء واحد يشغل الآن فكره بغير انقطاع .

كان يقول لنفسه بلهجة ساخرة ( يجب أن تذكر أنه كان إذا فكر في نفسه اصطنع لهجة السخر في جميع الأحيان تقريبا ) : أذن هناك

من يهتم بحالتي النفسية فيرسل الى هذه الذكريات المنحوسة ، و « دموع الندامة » ، ولكن ذلك لن يفيد في شيء ! انه تسديد الى فراغ ... الست متأكدا من اننى ، على هذه الندامات الدامعة وعلى قسوتى فى الحكم على نفسى ، لا أملك شيئا من الحرية ، رغم السنين الاربعين الغبية ! انه ليكفى أن يتكرر الاغراء غدا ، وأن تعرض تلك الظروف ذاتها : يكفى مثلا أن أجنى بعض الفائدة من التشهير بزوجة المعلم ومن الافتراء عليها بقولى انها تقبل هداياى ، حتى أشهر بها من غير تردد ، وسيكون عملى عندئذ شرا مما كان فى المرة الاولى لانه الآن مرة ثانية . ويكفى أن يهيننى ذلك الأمير الصغير ، وحيد أمه ، الذى كسرت له ساقه برصاصة مسدس ، منذ أحد عشر عاما ، يكفى أن يهيننى مرة أخرى حتى أهدى اليه ساقا ثانية من خشب ... فما فائدة هذه الذكريات اذن ؟ أليست تسديدا الى فراغ ؟ ماجدواها ؟ فيم هذه الذكريات ، ما دمت لا اصل الى التحرر من نفسى قليلا أو كثيرا ! .

ورغم أن قصة زوجة معلم المدرسة لم تتكرر ، ورغم انه لم يهد الى أحد ساقا من خشب مرة ثانية ، فان مجرد تفكيره فى انه يفعل ذلك حتما اذا واثت الظروف ... كان يقتله تقريبا ... فى بعض الاحيان . الحق أن المرء يستحيل أن يظل فريسة ذكريات مؤلمة ، وإنما يحسن به أن يستريح وأن يتنزه من حين الى حين . وذلك ما كان يفعله فلتشانينوف : كان مستعدا لأن يتنزه من حين الى حين ، ولكن حياته فى بطرسبرج كانت تثقل وطأتها عليه يوما بعد يوم . كان شهر تموز يقترب . وكان فى بعض الاحيان يقرر فجأة أن يترك كل شيء ، حتى الدعوى ، وأن يسافر قسورا الى أى مكان ، الى القرم مثلا ، وأن ينقطع عن التفكير فى أى أمر من الأمور . ولكنه كان ما يلبث ، بعد ساعة من الزمان ، أن يحتقر هذه الفكرة ، وأن يهزأ بها « ما من رحلة يمكن أن تشفينى من هذه الافكار المؤلمة بعد أن انبجست ، اذا كنت انسانا على شيء من الشرف . يجب ألا أهرب من هذه الافكار ... وفيم أهرب منها ؟ » .

« نعم ، فيم أهرب منها ؟ (هكذا كان يواصل تفلسفه بمرارة) أن الجو هنا كثير الغبار خائق ، وأن البيت هنا قدر كل ما فيه ، وأن الادارات التى أضيع فيها وقتى بين رجال الاعمال فيها كثير من الحركة التى لا طائل تحتها ، وكثير من الاحتمالات السخيفة . وأن



الناس الذين بقوا هنا والذين نراهم من الصباح الى المساء هم على قدر عظيم من الانانية الساذجة الصريحة ، والفلة البسيطة ، يعكسون كل ما في نفوسهم الصغيرة من ندالة ، وكل ما في قلوبهم الوضيعة من جبن... فها هنا اذن الجنة الحقيقية لمن كان سوداوى المزاج. كل شيء هنا صريح واضح ، لا يفكر احد في اخفاء أى امر من الأمور ، كما تفعل سيداتنا فى المصايف ، وفى مناطق المياه المدنية ، وفى الخارج . كل شيء هنا ادعى اذن الى التقدير والاحترام ، لا لسبب آخر غير هذه الصراحة وهذه البساطة . لن أسافر ! أموت هنا ، ولكننى لن اذهب الى أى مكان ! » .

## صاحب القبة ذات الشريط الأسود

كان ذلك في الثالث من شهر تموز .. ان الحر خائق لا يطاق . وقد قاسى فلتشائينوف الوانا من المتاعب في ذلك اليوم . ظل النهار كله ، يسعى من مكان الى مكان ، تارة على قدميه ، وتارة في عربة ، وكان عليه ان يذهب في المساء الى شخص خطر الشأن يستطيع ان يفيد كثيرا : انه رجل من رجال الاعمال ، ومستشار دولة ، كان يريد فلتشائينوف ان يفاجئه في منزله الذي يقع غير بعيد من «النهر الاسود» . وفي الساعة السادسة دخل فلتشائينوف أخيرا الى مطعم من المطاعم ( سييء المظهر رغم انه فرنسي ) يقع على مقربة من جسر « البوليس » في شارع نفسكى . فجلس في ركن من أركان المطعم ، الى المائدة التي اعتاد الجلوس اليها ، وطلب الفداء الذي كان يكلفه روبلا واحدا ، ولما كان ثمن الخمر لا يحسب في وجبة الطعام ، فان فلتشائينوف كان لا يشرب الخمر الا نادرا ، وكان يعد ذلك تضحية توجبها الحكمة لان أعماله تسير سيرا سيئا . وكان يلتهم الطعام بشراهة حتى الفتات ، كانه لم يأكل شيئا منذ ثلاثة أيام . وكان هو نفسه يستغرب كيف يمكن ان يأكل طعاما سيئا كهذا الطعام . « هذا من المرض » ذلك ما كان يدمدم به حين يلاحظ شدة رغبته في الأكل . ولكنه في هذه المرة جلس الى مائدته معكز المزاج ، فرمى قبعته على ركن منها حائقا ، وتوكل على كوعيه ، وراح يفكر . . . كان يكفي ان يحدث جاره الجالس الى المائدة القريبة ضجة ما ، او الا يفهمه الخادم الذي يحمل اليه الطعام ، من أول كلمة ، حتى يحدث عيضا وزيطا ، كضابط صغير ، وحتى يؤدي ذلك الى فضيحة صاخبة ، نعم . . . كان يمكن ان يصدر هذا عنه ، هو الذي كان يعرف كيف يكون لطيفا مهذبا ، هو الذي كان يعرف كيف يحتفظ بهدوئه وتعاليه حين يجب ذلك .

وقدم اليه الحساء ، فتناول الملعقة ، ولكنه ما لبث أن رماها على المائدة ، وكاد يشب عن كرسیه : أن فكرة غير متوقعة قد أشرقت في ذهنه على حين غرة : لقد أدرك في هذه اللحظة (لا يدري إلا الله كيف ! ) سبب قلقه هذا القلق الغريب ، الفريد ، الذي يعذبه منذ بضعة أيام ؟ ( لا يدري إلا الله من أين أتاه ! ) والذي لم ينفك يخنقه ( لا يدري إلا الله لماذا ! ) . الآن ، في هذه اللحظة ، ينكشف له كل شيء واضحا بسيطا ، كأصابع اليد الخمس . دمدم يقول كمن أشرقت الحقيقة في نفسه اشراقا : « انها القبة . لا شيء إلا تلك القبة اللعينة ذات الشريط الاسود الكريه . انها سبب كل شيء ! » .

وأخذ يفكر ، فكان كلما أغرق في التفكير ، ازدادت نفسه حزنا ، وازداد « الحادث » في نظره غرابة ... وحاول أن يعترض ، لأنه لا يريد أن يصدق نفسه ، فتساءل : « ولكن هل هذا حادث حقا ؟ هل في هذا ما يشبه أن يكون حادثا ؟ » . اليكم ماجرى : منذ أسبوعين تقريبا ( انه لا يتذكر على وجه الدقة ، ولكنه يقدر ان المدة أسبوعان ) ، صادف ، أول مرة ، في الشارع ، عند ملتقى بودياتشسكايا ومستشانشكايا ، رجلا كان على قبعته شريط أسود . كان هذا الرجل كغيره من الناس ، لا يمتاز بأي شيء خاص . مر بسرعة ، ولكنه ألقى على فلتشانيوف نظرة متفرسة ، فلفت نظر فلتشانيوف فورا . ومهما يكن من أمر ، فقد تراءى لفلتشانيوف انه يعرف هذا الوجه ، فلا شك انه التقى به قبل الآن في مكان ما . « ولكن ألم ألق في حياتي الوف الوجوه ! ان المرء لا يستطيع أن يتذكر جميع الوجوه التي رآها ! » وما أن مشى عشرين خطوة ، حتى كان كمن نسي هذا اللقاء ، رغم حدة الشعور الأول . ولكن هذا الشعور الأول ظل قائما في نفسه طوال النهار هياجا لا موضوع له ، هياجا من نوع خاص . والآن ، بعد أسبوعين ، يتذكر فلتشانيوف كل ذلك واضحا جدا ، ويتذكر أيضا انه لم يفهم يومئذ سبب ذلك الهياج ، حتى انه لم يربط بين انزعاجه خلال تلك السهرة وبين لقائه ذلك الرجل في الصباح . ولكن الرجل أسرع فذكره بنفسه مرة أخرى ، ذلك ان فلتشانيوف التقى به في غد عند شارع نيفسكى ، ونظر اليه الرجل نظرة قريبة مرة ثانية . فبصق فلتشانيوف حنقا ، ولكنه لم يلبث أن استغرب هذه الحركة التي بدرت منه . ان ثمة وجوها اذا رآها المرء اثار



فيه اشمئزازا ليس له تعليل ، اشمئزازا ليس له موضوع . وبعد انقضاء نصف ساعة على هذا اللقاء الثاني، كان فلتشانينوف يدمدم مطرقا حالما ، بقوله : « لقد رأيتُه حقا في مكان ما . » ومرة أخرى وجد فلتشانينوف نفسه معكر المزاج خلال المساء ، حتى لقد رأى في الليل حلما مزعجا ، ولكن لم يدر في خلده ان هذا الكدر الجديد الغريب ليس له من سبب الا هذا الرجل الذي يحيط بقبعته شريط أسود ، علامة الحداد ، رغم انه فكر فيه كثيرا خلال تلك السهرة . حتى لقد أحنقه ان تحتل مثل هذه الأمور التافهة ذاكرته خلال مدة طويلة هذا الطول كله . أما ان يعد ذلك الرجل مسئولا عن كدر مزاجه ، فهذه فكرة لو خطرت بباله لشعر منها بذل كبير . وبعد يومين التقيا مرة ثالثة بين الجمهور الذي كان ينزل من باخرة تطوف في نهر نيفا . وأحس فلتشانينوف في هذه المرة الثالثة ان هذا الرجل الذي يلبس الحداد كأنه يعرفه ، وكأنه اندفع نحوه ، محاولا التملص من الجمهور الذي كان يدفعه . حتى لقد خيل اليه ان الرجل « تجرأ » فمد اليه يده ، ولعله أيضا هتف به ، وناداه باسمه ... ان فلتشانينوف لم يميز هذا كله بوضوح ، ولكنه قال لنفسه حائقا ، وهو يركب عربة للذهاب الى دير سمولنى : « من عسى يكون هذا الوغد ، ولماذا لا يأتى الى اذا كان يعرفنى حقا ، واذا كان يريد ان يقترب منى ؟ » . وبعد نصف ساعة قامت بينه وبين محاميه مناقشة عاصفة . أما في المساء وفي الليل فقد أحس بقلق مر رهيب يخنقه خنقا . فتساءل متحيرا وهو ينظر الى نفسه في المرآة : « اىكون هذا من فرط انصباب الصفراء ؟ » .

كان ذلك هو اللقاء الثالث . وانقضت ايام خمسة لم ير خلالها « أحدا » ، ولا ظهر « للوغد » أثر . ومع ذلك كانت ذكرى صاحب القبعة ذات الشريط الاسود تراوده من حين الى حين ، فكان يستغرب ذلك ويتساءل : « اأكون اذن راغبا في رؤيته ؟ هيه ... ! لعل له ، هو أيضا ، أعمالا كثيرة في بطرسبرج ... ترى لمن يلبس السواد ... حزنا على من ؟ واضح انه عرفنى ، ولكننى ، أنا ، لم أعرفه ... لماذا يضع هؤلاء الناس شريطا أسود ؟ انه لايناسبهم ... يخيل الى اننى اذا رأيتُه من قرب سأعرفه ... » وكان شيئا كان يريد ان يتفتح في ذاكرته ... كما يقع للمرء حين يحاول ان يتذكر اسما يعرفه ، ولكنه نسيه فجأة : ان

المرء يعرف الاسم تماما ، ويعرف انه يعرفه ، ويعرف معناه ،  
ويحوم حوله ، ولكن الاسم يابى أن يسلم نفسه له ! ...  
« كان ذلك ... منذ مدة طويلة .. في ... كان هناك ... كان  
هناك ... أوه ! سحقا لهذا كله ... أيستحق ذلك كله أن أوسح  
نفسى على هذا النحو ! أيستحق هذا الوغد أن اذل نفسى هذا  
الذل ! »

غضب فلتشانيوف غضبا رهيبا . ولكنه حين تذكر في المساء ،  
فجأة ، هذا الغضب « الرهيب » كله ، أزعجه ذلك : كان كمن  
ضبط متلبسا بالجريمة ، وشعر باضطراب وحيرة ، ودهش .  
« لا بد أن يكون لهذا الغضب الشديد سبب ... لماذا اثور  
هذه الثورة كلها ، لمجرد تذكر ... »

ولم يتم فلتشانيوف تفكيره ...

وثار في صباح الفد ثورة أعنف ، وغضب غضبا أشد ، ولكن  
بدا له في هذه المرة أن لحنقه ما يبرره ، وأنه على حق تماما .  
« هذه وقاحة لا مثيل لها . » لقد تم لقاء رابع . أن صاحب  
القبعة ذات الشريط الاسود قد ظهر له فجأة ، كأنما خرج من  
تحت الأرض . كان فلتشانيوف قد التقى منذ لحظة ، في الشارع  
بمستشار الدولة الذى كان في أشد الحاجة اليه ، وكان يحاول  
أن يعثر عليه منذ مدة طويلة ، ويلاحقه حتى في منزله . وكان  
هذا الموظف الذى لا يعرفه فلتشانيوف الا قليلا ، يتحاشاه بكل  
الوسائل ، ولا يتيح له أن يفاجئه ، يختبئ منه صراحة . فلما  
صادفه فلتشانيوف أخيرا في الشارع ، سعد بذلك كثيرا ، فأخذ  
يسير الى جنبه . وفيما هو يسرع الخطا معه ، وينظر في عينيه ،  
محاولا بكل قواه أن يجره الى الموضوع الذى يعنيه عسى أن يبوح  
بما بنفسه ، عسى أن تفلت منه بعض الكلمات الهامة التى ينتظرها  
منذ مدة طويلة ( ولكن العجز الماكر كانت له فكرته الخاصة ،  
فكان يبتسم صامتا ) ، اذا ببصره ، في هذه اللحظة الحرجة ،  
يقع فجأة على صاحب القبعة ذات الشريط الاسود ، واقفا على  
الرصيف الآخر يحدق في الرجلين كليهما . كان واضحا انه يتبعهما  
بل يبدو انه يسخر منهما .

« لعنة الله عليه ... أهو يتجسس على ؟ واضح انه يتبعنى ،  
فهل استأجره أحد لهذا الغرض ؟ و ... و ... وكان يضحك  
ساخرا ! يمينا لأضربه ضربا مبرحا ... من المؤسف أن ليس معى

عصا ! سأشتري عصا ! لن ادع الأمور هكذا . من هو هذا الوغد ؟ أريد أن أعرف حتما من هو ! » .  
 وأخيرا ، بعد انقضاء ثلاثة أيام تماما على هذا اللقاء (الرابع) ، نجد فلتشائينوف في مطعمه ، على الحالة التي وصفناها ، مضطربا حقا ، طائش العقل بعض الشيء . انه بعد أن درسى جميع الظروف ، اضطر أخيرا الى التسليم بأن السبب الوحيد في كدر مزاجه ، وفي هذا القلق الخاص الذي يعانيه ، وفي جميع هذه الانفعالات التي تضطرم في نفسه منذ أسبوعين ليس الا ذلك الرجل المحدث ، « رغم تفاهته التامة » .

كان فلتشائينوف يفكر قائلا لنفسه : « صحيح اننى امرؤ سوداوى المزاج ، واننى تبعا لذلك اجعل من الذبابة فيلا ، ومن الحبة قبة ، ولكن هل يعزبنى أن أعلم أن كل ذلك ربما كان مجرد خيال ؟ اذا كان يجوز لأول وغد عابر أن يشوش انسانا كل هذا التشويش ، ف ... ف ... »

والحق ان الفيل كان يشبه الذبابة في هذا اليوم كل الشبه ( اللقاء الخامس ) : لقد مر هذا الرجل بخطا سريعة على عاداته ، ولكنه لم ينظر الى فلتشائينوف في هذه المرة ، بل كان مطرقا الى الأرض ، كأنه يتحاشى أن يعرف . فالتفت اليه فلتشائينوف ، وصاح به ملء صوته :

« انت ! هناك ! يا صاحب الشريط الاسود ! لماذا تختبئ ؟ قف من انت ؟ » .

كان كل من السؤال والصراخ سخيفا لا يليق . ولكن فلتشائينوف لم يدرك ذلك الا بعد أن صرخ .

التفت الرجل المنادى ، ووقف لحظة ، واضطرب وابتسم ، وحاول أن يقول شيئا ، حاول أن يقوم بحركة ، وتردد ترددا كبيرا ما في ذلك شك ، ثم استدار فجأة ، وهرب لا يلوى على شيء ، ولا يلقى نظرة واحدة الى وراء .

دهش فلتشائينوف أشد الدهشة ، وتابعه بنظره . قال في نفسه : « ربما كنت الاحقه ولا يلاحقنى ... ربما كان هذا كل ما في الأمر ... »

وبعد أن انتهى من تناول غدائه ، ركب عربة وذهب الى منزل الموظف . ولكنه لم يستطع أن يلقاه . قيل له : « انه لم يعد الى البيت منذ الصباح » ، ولا ينتظر أن يعود قبل الساعة الثالثة

أو الرابعة من الصباح ، لأنه سيبقى في المدينة للاحتفال بعيد ميلاد صديق له « فشعر فلتشانينوف من ذلك « بمهانة » كبيرة ، حتى أنه قرر وهو في ثورة الغضب ، أن يذهب إلى صاحب العيد، وأمر الحوذي بالاتجاه نحو بيته ، ولكنه أدرك في منتصف الطريق أن في ذلك شيئاً من المبالغة ، فدفع للسائق حسابه ، ثم جر نفسه على قدميه إلى بيته عند المسرح الكبير. كان يشعر بالحاجة إلى المشي . أنه من أجل أن يهدى أعصابه المهتاجة يجب أن ينام هذه الليلة مهما كلفه الأمر، ومن أجل أن يحارب الأرق لابد أن يتعب نفسه على الأقل . ووصل إلى بيته في الساعة العاشرة والنصف ، لأن الطريق طويل ، وأخذ منه التعب كل مأخذ .

ان الشقة التي استأجرها في شهر آذار ، والتي كان ينتقدها ويشكو منها مر الشكوى ، معتذرا عن نفسه مرددا : « انها ليست أكثر من خيمة مؤقتة » وأن الذنب في ذلك كله هو ذنب هذه الدعوى اللعينة التي تحجزه في بترسبرج « إلى حين » ، ان هذه الشقة لم تكن مزعجة إلى ذلك الحد ، ولا كان مظهرها سيئا إلى الدرجة التي يدعيها . صحيح ان مدخل العمارة مظلم « وسخ » بعض الشيء ، ولكن الشقة نفسها ، وهي تقع في الدور الثاني ، كانت تتألف من غرفتين واسعتين نيرتين عال سقفيهما ، تفصل بينهما حجرة مظلمة قليلا. كانت إحدى الغرفتين تطل على الشارع، وكانت الحجرة الأخرى تطل على الفناء ، وتتصل بحجرة هيئت لتكون حجرة نوم ، ولكن فلتشانينوف بعثر فيها كتبه وأوراقه فوضى ، فكان ينام في الغرفة التي تطل على الشارع من الغرفتين الكبيرتين ، متخذاً من أحد « الدواوين » سريراً له . وكان أثاث البيت جميلاً، على أنه بلى قليلاً... وكانت في البيت أيضاً أشياء ثمينة هي بقايا ترف قديم : أوان من الخزف والبرونز ، وسجاد من بخارى ، بل ولوحتان جيدتان . ولكن الغبار كان يغطي كل شيء ، وكانت الفوضى عامة، فما تجد شيئاً في مكانه ، منذ سافرت بيلاجيا الشابة إلى أهلها بنوفجورود وتركته وحده ، بعد أن كانت تتولى خدمة البيت . كان الوضع الغريب ، أعنى وجود فتاة في بيت رجل عازب ، من المجتمع الراقى ، يريد أن يحافظ على قواعد اللياقة ، كان هذا الوضع يشيراً للخجل في فلتشانينوف ، رغم أنه راض كل الرضا عن بيلاجيا هذه . لقد دخلت في خدمته حين استأجر هذه الشقة في الربيع ، لأن الأسرة التي كانت تعمل عندها



سافرت الى الخارج . وما لبثت بيلاجيا أن رتبت البيت بعض الترتيب . حتى اذا سافرت لم يشأ فلتشانينوف أن يكون خادمه امرأة . أما الخدم من الرجال فكان فلتشانينوف لا يحبهم . على كل حال ، لا تستحق هذه المدة القصيرة التي سيقضيها هنا أن يستأجر خادما . لذلك كانت مافرا ، أخت البوابة ، هي التي تتولى خدمة البيت في الصباح ، فكان يعطيها مفتاحه حين يخرج ، ولكنها كانت لا تعمل شيئا على الإطلاق ، وكانت تتقاضى أجرها بانتظام ، ولعلها كانت تسرقه أيضا . ولكنه كان لا يحفل بشيء ، وكان يسعده على كل حال أن يجد نفسه وحيدا في البيت . على أن لكل شيء حدودا يقف عندها ، فكانت أعصابه ، حين ازدياد الصفرأ ، تأبى في بعض الأحيان أن تحتل هذه « القذارة » أكثر مما احتملت ، فكان يشعر بنوع من القرف حين يعود الى بيته . ولكنه ، في هذه المرة ، ما كاد يخلع ثيابه حتى ارتمى على سريره ، مفضبا حانقا ، وحاول ألا يفكر في شيء ، وأن ينام فورا مهما كلفه الأمر . والغريب أنه ما أن لامس رأسه الوسادة حتى نام . وذلك ما لم يقع له مرة منذ شهر .

نام ما يقرب من ثلاث ساعات ، ولكن نومه كان مضطربا . رأى أحلاما غريبة ، كتلك التي يراها النائم المحموم . رأى أنه كان قد اقترف جريمة وأخفاها ، فاذا الناس الآن يأتون اليه ويدخلون عليه ، من كل فج عميق ، يأخذون يتهمونهم جميعا بصوت واحد . وكثر عددهم ولكنهم ما زالوا يتوافدون ، والبسبب مفتوح على مصراعيه . الا أن الاهتمام كله كان ينصب على شخص غريب أمره ، شخص سبق أن عرفه معرفة وثيقة ، وقد مات ، ثم اذا هو يدخل الآن على حين غرة . وقد شق على فلتشانينوف أكثر من أى شيء آخر أنه لم يعرف من هو هذا الشخص : لقد نسي اسمه ، وأصبح لا يستطيع أن يتذكره . ولكنه يعرف أنه قد أحبه في الماضي كثيرا . وكان يبدو أن هذا الشخص هو الذي ينتظر منه الجمهور كله القول الفصل الذي يدين فلتشانينوف أو يبرئه . وكان نفاذ الصبر عاما شاملا . ولكن هذا الشخص ظل جالسا ساكنا ، يرفض أن يتكلم . وكانت الجلبة لا تنقطع ، وكان الهياج يزداد . وفجأة قام فلتشانينوف ، وقد فار غضبه ، فضرب هذا الرجل لأنه يصر على السكوت ، فلما ضربه شعر بلذة غريبة . ان فظاعة هذا العمل والألم الذي شعر به فد خنقا قلبه خنقا ، ولكن هذا نفسه كان هو قوام تلك اللذة

القريبة . وثارت ثائثرته ، فضربه مرة ثانية ، فثالثة ، وسكر من الحنق والذعر وأصابه ما يشبه الجنون الممتلىء هو أيضا بلذة لا نهاية لها ، فأخذ يضرب ويضرب بغير توقف دون أن يعد الضربات . كان يريد أن يحطم هذا ، كان يريد أن يحطم كل هذا . غير أن شيئا جديدا قد حدث على حين بغتة : أخذ جميع الناس يصرخون ، ثم التفتوا نحو الباب كأنهم ينتظرون . وفي تلك اللحظة رن الجرس ثلاث مرات ، ولكن رنينه كان قويا جدا ، حتى لكان الذى قرعه كان يريد أن يقتله اقتلاعا . فاستيقظ فلتشائينوف فجأة . . فاء الى نفسه ، وقفز من سريره وأسرع نحو الباب . كان على يقين من أن رنين الجرس لم يكن وهما ، وإن أحدا قد قرعه فعلا . « ليس طبيعيا أن يكون صوت واضح هذا الوضوح وهما لاكثر » . ولكن وجد ، على دهشة منه ، أن رنين الجرس لم يكن الا استمرارا لحلمه . فقد شق الباب وخرج الى سطح الدرج ، ونظر في السلم ، فلم ير أحدا . ورأى الجرس يتدلى ساكنا . فعاد الى غرفته دهشا ولكن على رضا . وفيما هو يشعل شمعة ، تذكر انه قد رد الباب ردا ، ولم يقفله بالمفتاح ، ولا شد المفلاق . كان يتفق له في كثير من الاحيان ، حين يعود الى بيته ، أن ينسى اغلاق قفل الباب بالمفتاح ، وكان لا يولى ذلك كبير اهتمام . وقد لامته بيلاجيا على هذا مرات كثيرة . فعاد الى حجرة المدخل ليغلق الباب ، ففتحه مرة أخرى ، ونظر الى الخارج ، ثم دفع المزلاج ، وأهمل مع ذلك أن يدير المفتاح . ودقت الساعة الثانية والنصف . لقد نام اذن ثلاث ساعات .

وقد هزه الحلم الذى رآه هذا عنيفا فلم يشأ أن يعود الى النوم فورا ، وقرر أن يتجول في الغرفة نصف ساعة . « وهو الوقت الذى يستفرقه تدخين سيجار » . واقترب من النافذة بعد أن ارتدى بعض ملابسه ، فأزاح الستارة ، ثم أزاح الفلانة البيضاء . كان النهار قد طلع .

ان ليالى الصيف المضيئة ببطرسبرج كانت تثير أمصابه دائما ، وكانت أيضا تفاقم أرقه في هذه الأوقات الأخيرة . لذلك كان قد وضع على نوافذه ستائر ثقيلة تمنع تسرب النور حين يجكم أسدالها . فلما أزاح الستائر ، نسي الشمعة التى أشعلها على المائدة ، وأخذ يمشى في الفسرفة ، وقد استبد به إحساس ثقيل مؤلم . ان الشعور الذى أحدثه فيه الحلم لم يتبدد بعد . كان مجرد تفكيره

في انه رفع يده على ذلك الرجل وضربه ، يؤله الما شديدا .  
« ولكن ذلك الرجل لا وجسود له ، انه لم يوجد يوما . هذا  
حلم لا أكثر ، ففيم الألم والأتين ؟ »

وطاش صوابه ، فقال في نفسه ، وكأن همومها كلها تلتقي الآن  
في هذه النقطة : « اننى مريض ، اننى انسان مريض ! » .  
كان يشق عليه دائما أن يعترف لنفسه بأنه يضعف ويشيخ ،  
ولكنه كان في لحظاته السيئة يبالغ في تصور آلامه ، مكرًا ، عن  
عمد ، لكي يعذب نفسه .

دمدم يقول وهو يمشي في غرفته : « انها الشيوخوخة . لقد هرمت  
تماما . اننى افقد ذاكرتى ، وأرى أشباحا ، وأحلم أحلاما ، وترون  
الأجراس ... تبا للشيطان ... اننى أعرف بالتجربة أن مثل هذه  
الأحلام هي عندي دائما علامة الحمى ... أنا موقن أن « قصة »  
الشريط الاسود قد لا تكون كلها إلا حلما . ألم ار أمس اننى أنا  
الذى الاحقه ، وانه ليس هو الذى يلاحقنى . اننى أتخيل بصدده  
أسطورة كاملة ، ثم يستبد بى الدعر فأركض أختبئ تحت المائدة .  
ولماذا أعده وغدا ؟ قد يكون رجلا طيبا كريما . صحيح أن وجهه  
منفر جدا ، ولكن ليس فيه شيء قبيح قبيحا خاصا ، وملابسه  
كملابس سائر الناس .. غير أن في نظرتة شيئا ... هو ! هأنذا  
أعود فأفكر فيه . مالى ولنظرتة ؟ إلا أستطيع أن أمشى دون أن  
أفكر في « مقصوف الرقبة » هذا ؟

ومن بين الأفكار التى كانت تنبجس في خياله ، جرحته فكرة  
بعينها جرحا مؤلما : لقد بدا له فجأة انه على يقين من أن هذا  
الرجل ذا الشريط الاسود قد عرفه في الماضى معرفة وثيقة ، وانه  
الآن يهزا به حين يلقاه ، لأنه واقف على سر من أسرار ماضيه  
الهامة ، ثم هو يراه الآن قد سقط من منزلته وصار فى الحضيض .  
واقترب من النافذة على غير وعى ، ليفتحها ويستنشق هواء الليل  
و ... و ... فجأة ارتعش : بدا له أن شيئا عجيبا رهيبا يحدث  
لم يتسع الوقت لفتح النافذة ، ذلك انه ما أن اقترب منها حتى  
عاد فأختبأ عند طرفها : لقد لمح فجأة صاحب القبعة ذات الشريط  
الاسود ، واقفا على الرصيف المقابل أمام البيت تماما . كان الرجل  
يصوب نظره الى نوافذ البيت . لاشك انه لم يره ، كان واضحا  
انه يفحص البيت مستطلعا وهو يفكر . وكان يبدو أنه متردد متحير :  
لقد رفع يده ، ولمس جبينه بأصبعه . وعزم أمره أخيرا ، فالتقى

نظرة سريعة على ما حوله ، ثم تقاصر واجتاز الشارع على رءوس أصابعه ... نعم ... انه في الدهليز ، تحت الباب الصغير (الذى كان يترك مفتوحا حتى الساعة الثالثة من الصباح في بعض الاحيان) . فقال فلتشانينوف لنفسه فورا : « انه آت الى » ، فهرع الى حجرة المدخل على رءوس أصابعه أيضا ، ووقف أمام الباب ينتظر متوترا واضعا يده المرتعشة على المزلاج الذى دفعه قبل ذلك ، مصيخا بسمعه الى خشخشة الخطوات على السلم .

كان قلبه يخفق خفقانا شديدا ، حتى لقد خشى الا يستطيع سماع خطوات الرجل المجهول الذى يسير على رءوس أصابعه . كان لا يعرف ما الذى يجرى ، ولكنه كان يحس كل شيء بقوة مضاعفة . كان فلتشانينوف شجاعا بطبيعته ، حتى لقد كان يمضى في احتقار الخطر الى حد التهور في بعض الاحيان ، حتى حين لا يراه أحد ، وذلك للذته الخاصة وحدها . الا ان ثمة شيئا آخر الآن : ان الانسان الذى كان منذ لحظة سوداوى المزاج ، قلقا ، شاكيا ، باكيا ، قد تبدل الآن تبديلا تاما . انه غير الانسان الذى كانه منذ لحظة . ان ضحكة عصبية صامتة تجلجل في صدره . وكان يدرك ، من خلال الباب الموحد ، كل حركة من حركات الغريب .

« ها ... ها هو ذا يصعد . انه وصل . انه ينحنى مصيخا بسمعه .. انه لا يكاد يتنفس . هو ذا يتسلل . ها ... لقد أمسك بقبضة الباب . هو ذا يشدها . انه يعالج الباب . كأنه يأمل الا يجده مغلقا . انه يعرف اذن اننى أنسى اغلاق الباب أحيانا . ها هو يشد قبضة الباب مرة أخرى . أظن ان المزلاج سينكسر ؟ خسارة ان يرجع بخفى حنين ، اليس كذلك ؟ »

نعم ، لاشك ان كل شيء جرى على نحو ما كان يتصور . ان احدا قد وقف وراء الباب ، وعالج القفل ، برفق ، دون ضجة ، وشد القبضة . « بديهى ان له غاية يسعى اليها » . ولكن فلتشانينوف كان قد هيا حل المسألة . انه ينتظر اللحظة المناسبة بنوع من الحماسة ، كان يتهاى ، ويجمع قواه : كانت به رغبة جامحة في رفع المزلاج فجأة ، وفتح الباب على مصراعيه ، ومواجهة الرجل : « ماذا تعمل هنا ايها السيد العزيز ؟ » .

وذلك ما حدث فعلا: اختار فلتشانينوف اللحظة المناسبة ، ورفع المزلاج فجأة ، ودفع الباب ، فكاد يصدم الرجل صاحب القبعة ذات الشريط الاسود .



## يافل بافلوفتشش تروسوتسكى

جمد الرجل . ووقف كل منهما أمام الآخر ينظر في عينيه .  
وانقضت على ذلك لحظات ، فاذا فلتشانيوف بعدها يعرف زائره  
بغثة .

وفي هذه اللحظة نفسها أدرك الزائر أن فلتشانيوف عرفه ، لقد  
لمع هذا في عينيه ، ثم اذا بوجهه كله يسترخى في ابتسامة لطيفة  
متوددة . وقال بصوت عذب منغم يتنافى تنافيا مضحكا مع ظروف  
اللحظة :

— أظن اننى أتشرف بمخاطبة الكسى ايفانوفتشش ، اليس كذلك ؟  
فأجابه فلتشانيوف ، مشدوها ، بعد فترة من صمت :

— أنت يافل بافلوفتشش تروسوتسكى ؟  
— لقد تعارفنا منذ تسع سنوات فى ت . . . واذا تفضلت  
فسمحت لى بأن أذكرك ، قلت ان صلاتنا كانت صلات صداقة  
حميمة .

— نعم . . . هذا جائز . . . ولكن . . . الساعة الآن هى الثالثة  
من الصباح ، وقد ظللت عشر دقائق تحاول فتح بابى . . .  
فصاح الرجل وهو يخرج ساعته من جيبه ، وتلوح عليه علائم  
دهشة مؤلمة :

— الساعة الآن الثالثة ؟ ها . . . حقا انها الثالثة . عفوك ياالكسى  
ايفانوفتشش . كان ينبغى أن أفكر فى هذا قبل أن ادخل . أنا آسف  
كل الأسف . سأجىء مرة أخرى الأبسط لك الأمر ، والآن . . .  
— لا ، لا ، اذا كنت تريد أن تبسط أمرا ، فأرجوك أن تفعل  
ذلك حالا .

هذا ماقاله له فلتشانيوف ، وقد فاء الى نفسه ثم أضاف :  
— ادخل ، أرجوك . دع العتبة . . . هذه هى الغرف . لاشك

انك كنت تريد ان تدخل ، وما اظن انك جئت هنا لتجرب الأقال  
فحسب ...

كان مضطربا ، وكان في الوقت نفسه متحيرا بعض التحير . كان  
يحس انه لا يستطيع ان يجمع شتات افكاره ، حتى لقد شعر من  
ذلك بالعار : ما من سر ، ولا من خطر ، ولم يبق من جميع تلك  
التهاويل الا هذا الوجه القبي ، وجه رجل اسمه بافل بافلوفتش .  
ومع ذلك لم يكن واثقا كل الوثوق ان الامر بسيط هذه البساطة :  
كان يحس احساسا غامضا قلعا بشيء غريب .

وبعد ان اجلس ضيفه على احد المقاعد ، جلس هو فوق سريره ،  
على مسافة متر من المقعد ، وانحنى الى الامام ، ووضع راحتي  
يديه على ركبتيه ، وانتظر على مثل حر الجمر ان يتحدث الرجل .  
كان يتفرس فيه ويجمع شتات ذكرياته . ولكن الشيء الغريب ان  
الرجل كان صامتا كأنه لا يدرك ابدا ان عليه ان يتكلم «فورا» . حتى  
لقد كان ينظر الى صاحب البيت نظرة سائلة كأنه ينتظر شيئا .  
ربما كان سبب ذلك انه خائف لا اكثر من ذلك ، فما يشعر بشيء  
من الارتياح في اول لحظة ، مثله مثل فارة وقعت في مصيدة . ولكن  
فلتشانينوف ثارت ثائرتة ، فصاح قائلا :

— هيه ... اظن انك لست حلما ولا شبعا . هل جئت تلعب  
هنا لعبة الموتى ؟ هيا ابسط امرك يا عم !  
فاضطرب الزائر ، وابتمس ، وأبتدا يقول في كثير من الحكمة  
والحذر :

— ان الامر الذي يدهشك خاصة هو انني جئت في مثل هذه  
الساعة ، و ... في ظروف كهذه الظروف ... انني اذ اتذكر ما  
قد جرى بيننا وكيف افترقنا ، استغرب ان ... على انني لم  
اكن افكر في الدخول ، واذا جرت الامور هذا المجري ، فقد حدث  
ذلك مصادفة ...

— مصادفة ؟ ولكنني رايتك من النافذة تجتاز الشارع على  
رءوس الأصابع !

— ها ... رايتني ! اذن في هذه الحالة ، قد تعرف من هذه  
الامور اكثر مما أعرف ... ولكنني لاحظ انني اثير حنقك ...  
اليك الموضوع : انني هنا منذ ثلاثة اسابيع الامر يهمني .. انا بافل  
بافلوفتش تروسوتسكي . لقد عرفتني . انني اقوم بمساع لتغيير  
خدمتي ، والانتقال الى ادارة اخرى ، الى وظيفة أعلى . على ان

هذا ليس هو ما أريد أن أقوله ... المهم ، إذا شئت ، اننى أضيع وقتى هنا منذ ثلاثة أسابيع ، واننى أؤخر بنفسى قضية تعيينى ، فيما يتراءى لى ... والحق اننى ، حتى ولو تم الأمر ، سأنسى ، فيما أظن ، أن الأمر تم ، ولن أستطيع أن أترك بطرسبرج وأنا فيما أنا فيه من حالة نفسية . اننى أذهب وأجىء هنا وهناك ، كأننى ضللت هدفى ، ويكاد يسمعدنى اننى ضللت هدفى . ففى الحالة النفسية التى أنا فيها ...

فقاطعه فلتشانتينوف يسأله وقد نفذ صبره :  
- أى حالة نفسية ؟

فرقع الرجل عينيه اليه ، وتناول قبضته ، وأشار الى الشريط الاسود ، بحركة وقور هذه المرة :  
- نعم هذه هى حالتى النفسية !

كان فلتشانتينوف ينقل نظرتة البلهساء بين الشريط الاسود ووجه ضيفه . ثم اصطبغ وجهه فجأة بحمرة شديدة ، واضطرب ، وقال :  
- من ؟ ناتاليا فاسيليفنا ؟

- نعم . ناتاليا فاسيليفنا . فى شهر آذار الماضى .. بالسل ... وبسرعة ... شهرين ... ثلاثة أشهر . وهأنذا كما ترائى !  
قال الضيف ذلك مضطربا أشد الاضطراب ، وباعد ما بين ذراعيه اللتين تحمل يسراهما قبضته ذات الشريط الاسود ، وخفض رأسه الأصلع ، وظل على هذه الحال عشر ثوان فى أقل تقدير .

وكان هذا المنظر وهذه الحركة انعشتا فلتشانتينوف فجأة ، فتسللت الى شفثيه ابتسامة ساخرة ، وربما متحدية ، ولكن ذلك لم يدم الا لحظة : أن نبأ موت تلك المرأة ( التى عرفها منذ مدة طويلة جدا ونسيها نسيانا تاما ) قد هز نفسه الآن هزا مباقتا . ودمدم ينطق بأول كلام خطر بباله :

- هل هذا ممكن ؟ ولكن لماذا لا تجىء الى ببساطة ، لتقص على النبأ ؟

- أشكر لك عاطفتك التى أراها واحسها ، فرغم ...

- رغم ماذا ؟

- رغم أننا لم نلتق منذ عدد من السنين ، أظهرت لى من العاطفة الطيبة فى مشاركتى مصابى ما أعجز عن شكره ... هذا كل ما كنت أريد أن أقوله . وليس معنى ذلك اننى أشك فى أصدقائى الآخرين ، اننى أستطيع أن أجد هنا أصدقاء مخلصين جدا . (ستيفان

مبخائيلوفتشس باجاوتوف مثلاً ، ، غير أن علاقائنا ، يا الكسى  
ايفانوفتشس ( وأستطيع أن أقول صداقتنا ، لأننى ما زلت أذكر هذه  
الصداقة شاكراً ) قد انقطعت منذ تسع سنين . انك لم تعد إلينا  
منذ ذلك الحين ، ولا تبادلنا الرسائل ..

كان الزائر يتكلم كمن يلقى درساً حفظه ، ولكن بينما كانت كلماته  
تدقق ، كان نظره مثبتاً على الأرض ، رغم أنه يرى كل ما يجرى ،  
ما فى ذلك شئ . وأنشد ذلك كان شئاً يثير شئاً فى نفسه .  
كان يصفى إلى بافل بافلوفتشس ويتفرس فيه ، وفى نفسه عاطفة  
غريبة ما تنفك تشتد ، حتى إذا توقف صاحبه عن الكلام اجتاحت  
ذهنه ، فجأة أفكار مشتتة غير متوقعة .

وصاح يقول منتعشاً :

— ولكن لماذا لم أعرف حتى الآن انك أنت ؟ لقد التقينا خمس  
مرات وجها لوجه ، أنفا لأنف ...

— أتذكر ذلك . كنت توجد دائماً فى طريقى ، مرتين ، وربما ثلاث  
مرات ...

— بل كنت أنت توجد دائماً فى طريقى !

ونفض فلتشانينوف ، وانفجر فجأة يضحك ضحكة غير منتظرة .  
وظل بافل بافلوفتشس متحيراً مشوشاً خلال لحظة ، ونظر إلى صاحبه  
نظرة منتبهة ، ثم ما لبث أن استأنف يقول :

— أنت لم تعرفنى فذلك امرطبيعى . انك قد نسيتنى . زد  
عنى ذلك هذا الجدر الخفيف الذى قرصنى بعد فراقنا ، وخلف  
فى وجهى بعض الآثار .

— جدر ؟ حقا ان فى وجهك آثار جدر ! ولكن كيف ؟

— كيف قرصنى ؟ ان هذا يحدث يا الكسى ايفانوفتشس ! لا يتوقعه  
المرء ، ثم يقرصه فجأة ...

— عجيب مع ذلك ... طيب ، اكمل كلامك ، اكمل كلامك أيها  
الصديق العزيز !

— رغم أننى صادفتك ...

— قف ! لماذا قلت « قرصنى ؟ » ... طيب ، اكمل ، اكمل ؟

وأخذ المرح يتسرب إلى الزائر شيئاً فشيئاً ، لا يدري إلا الله  
لماذا ! ان الهياج الذى هز نفسه منذ لحظة قد حلت محله الآن  
عاطفة أخرى مختلفة عنه كل الاختلاف .

كان يقطع الغرفة طولا وعرضا بخطا سريعة .



— رغم اننى صادفتك ، ورغم اننى كنت اعتقد اننى سألقاك  
حين أجيء الى بطرسبرج ، فاننى ، أعود فأقول لك ذلك ، اهانى  
حالة نفسية بلغت من... نعم اننى بلغت من فرط التحطم النفسى ،  
منذ شهر آذار أن ...

— ها ... نعم . أنت محطم النفس منذ شهر آذار . انتظر .  
الا تدخن ؟

— أثناء حياة ناتاليا فاسيليفنا ، أنت تعلم ...  
— نعم نعم ، أعلم ، ولكنك منذ شهر آذار ...  
— ربما أدخن سيجارة صغيرة .

— هذه سيجارة . أشعلها ، واكمل كلامك . اكمل كلامك ، لقد  
أحدثت فى نفسى من ...

وأشعل فلتشانينوف سيجارا كبيرا ، ثم جلس فجأة على سريره .  
وتوقف بافل بافلوفتش .

— ما أشد اضطرابك ؟ هل تشكو من شىء فى صحتك ؟  
— دع صحتى للشيطان ... اكمل كلامك .

ولكن الضيف ، رغم اضطراب رب البيت ، كانت تزداد فى وجهه  
علائم الرضا وامارات الثقة بالنفس . قال :

— وماذا أقول؟ تخيل' أولا يا الكسى ايفانوفتش ، رجلا مقتولا،  
مقتولا تماما ان صح التعبير ، رجلا عاش مع زوجته عشرين عاما ،  
ثم تغيرت حياته تغيرا تاما ، فأصبح يتسكع فى الشوارع الفبراء ،  
كأنه يسير فى الصحراء ، ليس له من هدف واضح ، ولا يكاد يعنى  
نفسه ... ثم يستمد من غياب الوعي هذا لذة ... من الطبيعى  
فى مثل هذه اللحظات ، اذا أنا التقيت مصادفة بشخص أعرفه أو  
بصديق ، أن اتحاشاه عامدا ، حتى لا أقرب منه . ولكن ، فى  
لحظات أخرى ، تبلغ قوة الذكريات ، ويبلغ الظمأ الى رؤية شاهد  
من شهود هذا الماضى القريب الذى ذهب ولن يعود ، وتبلغ شدة  
خفقان القلب لهذه الذكرى ، أن المرء يركض فيرمى على عنق  
صديقه ، سواء اكان ذلك فى الليل أم فى النهار، ولو تعرض لابقاظه  
فى الساعة الثالثة من الصباح . لقد أخطأت فى تقدير الساعة  
فحسب ، ولكنى لم أخطئ فى تقدير الصديق ، لأننى كوفئت فى  
هذه اللحظة أحسن مكافأة . أما عن الساعة ، فقد كنت أظن حقا  
انها منتصف الليل ، لأننى لم أشعر بحاجة الى النوم . ان المرء

يشرب حزنه ، ويسكر به . وليس الحزن هو الذى يقضمنى الآن ، بل شيء آخر .

فقال له فلتشانينوف ، وقد اربد وجهه ، وظهرت عليه اقصى علامات الجذ فجأة :

— انك تعبر عن نفسك تعبيرا غريبا .

— نعم ، اعبر عن نفسى تعبيرا غريبا .

— اليس تهزح ؟

فصاح بافل بافلوفتش ، وقد استبدت به دهشة مؤلمة :

— امزح ؟ وفى اللحظة التى اخبر فيها ...

— اسكت عن هذا ، أرجوك .

قال فلتشانينوف ذلك ، ونهض ، ثم اخذ يسير فى الغرفة . وانقضت على هذا ثلاث دقائق . وقام الضيف بحركة لينهض ايضا ، ولكن فلتشانينوف صرخ يقول له : « لا تقم ، لا تقم » . — ولكن ما اكثر ما تغيرت ! لقد تغيرت تغيرا رهيبا ! لكأنك انسان آخر .

هذا ما اضافه فلتشانينوف وهو يقف امامه فجأة ، كان هذه الفكرة قد شدهته على حين غرة .

— لا غرابة فى هذا ... انقضت تسع سنين !

— لا لا لا . لا شأن للسن بهذا . ليس مظهرك هو الذى تغير ، بل

شيء آخر .

— نعم ، هذا ممكن : تسع سنين !

— أم منذ شهر اذار ؟

فابتسم بافل بافلوفتش ابتسامة مأكرة ، وقال :

— ها ها ... فكرة لطيفة . ولكن هل أجروا ان أسالك ما هو

ذلك التغير ؟

— بصراحة ... كان بافل بافلوفتش قبل ذلك رجلا محترما ،

لائقا ، بسيطا ... أما الآن فهو رجل تافه (١) ...

لقد بلغ به الغضب والحق تلك الدرجة التى تند فيها من

أحسن الناس كلمات زائدة .

— تافه ؟ هذا رأيك ؟ ولم أعد « بسيطا » ؟ لم أعد « بسيطا »

البتة ؟

(١) بالفرنسية فى الاصل .

قال بافل بافلوفتش ذلك ، وهو يطلق ضحكة رضا صغيرة .  
 - لم تعد « عاقلا » البتة ! وربما كنت الآن مسرفا في الذكاء .  
 وقال فلتشائينوف بينه وبين نفسه : « اننى وقع ، وهذا  
 الوغد أوقع منى . ولكن ... ما هى غايته ؟ » .

صاح الضيف وقد ثارت نفسه فجأة واضطرب فى مقعده :  
 - أوه ... يا صديقى العزيز ، يا صديقى الحبيب الكسى  
 ايفانوفتش . مالنا ولهذا ؟ لسنا الآن فى المجتمع الراقى ، لسنا فى  
 المجتمع الراقى الاثيق ! انما نحن الآن صديقان قديمان ، اجتماعا  
 على صدق واخلاص ، وتذكرا تلك الرابطة الغالية جدا التى كانت  
 المرحومة أجمل حلقة فيها .

وبلغت عواطفه من الغليان ، فيما بدا ، انه خفض رأسه مرة  
 أخرى كما فعل منذ قليل ، وأخفى وجهه فى قبعته . فكان  
 فلتشائينوف يفحصه مشمئزاً قلقلًا .

وقال لنفسه فجأة : « من يدري ؟ قد لا يكون الا مهرجا ...  
 ولكن لا لا ! لا أظن انه سكران .. قد يكون سكرانا مع ذلك :  
 ان وجهه أحمر . وهبه سكرانا ... لا فرق ... ماذا يدبر ؟  
 ماذا يبيت ؟ ماذا يريد هذا الوغد ؟ » .

صاح بافل بافلوفتش وهو يزيح قبعته شيئا فشيئا ، ويبسّو  
 مسترسلا فى ذكرياته :

- هل تتذكر ؟ هل تتذكر ؟ هل تتذكر جولاتنا فى الحقول ،  
 وسهراتنا ، واجتماعاتنا الراقصة ، والعابنا الصغيرة فى منزل صاحب  
 المعالى سيميون سيميونوفتش الجواد الكريم ؟ هل تتذكر قراءاتنا  
 نحن الثلاثة فى المساء ؟ ولقاءنا الاول حين جئتنى ذات صباح تسألنى  
 معلومات تتصل بعمل من الاعمال ؟ لقد غضبت يومئذ فى أول الامر ،  
 ولكن ظهرت فجأة ناتاليا فاسيليفنا ، فما هى الا عشر دقائق حتى  
 أصبحت الصديق الحميم للأسرة . ودام ذلك سنة بكاملها ، كما فى  
 مسرحية تورجينيف « الريفية » ؟

كان فلتشائينوف يتجول فى الفرقة ببطء مطرقا الى الأرض . كان  
 يصفى الى ضيفه ناقد الصبر ، مشمئزاً ، ولكنه كان يصفى اليه  
 بانتباه . فقاطعه يقول مرتبكا بعض الارتباك :

- لم تخطر « الريفية » ببالى يوما ... ولم تتحدث انت يوما  
 بصوت حاد كهذا ، وبهذه اللهجة ... التى ليست لهجتك . لماذا  
 ذلك ؟

فاستأنف بافل بافلوفتش يقول بحرارة :  
 - حقا ... كنت قبل الآن أصمت في أكثر الاحيان ... أعني  
 أنني كنت أكثر صمتا . ذلك أنني كنت أفضل الاستماع حين كانت  
 المرحومة تتكلم . ألا تتذكر كيف كانت تتكلم ؟ بذكاء ؟ أما عن  
 « الريفية » وعن ستوبنديف خاصة ، فأنت على حق أيضا ...  
 اننا لم نقارن ، أنا والمرحومة الغالية ، بين لقائنا الاول وبين مسرحية  
 تورجينيف ، الا فيما بعد ، أعني بعد سفرك ، حين كنا نتذكرك  
 ... وكانت المقارنة تتناول ستوبنديف ...  
 - أي ستوبنديف ، سحقا لك !

هكذا صاح فلتشانينوف وهو يضرب الأرض برجله ، ويضطرب  
 اضطرابا شديدا من هذا الاسم الذي كان يوقظ فيه ذكرى بعيدة .  
 فأجابه بافل بافلوفتش ، بصوت عذب منغم :  
 - ستوبنديف ؟ انه احدى شخصيات الملهاة . هو « الزوج »  
 في مسرحية « الريفية » . الا أن هذا يتصل بسلسلة أخرى من  
 ذكرياتنا الجميلة الغالية ، تمت بعد سفرك ، حين شرفنا ستيفان  
 ميخائيلوفتش باجاوتوف بصداقته ، مثلك تماما ، ولكن خلال خمس  
 سنوات بكاملها .

فتسمر فلتشانينوف في مكانه ، سائلا :  
 - ماذا ؟ باجاوتوف ؟ أي باجاوتوف ؟  
 - باجاوتوف ، ستيفان ميخائيلوفتش ، الذي شرفنا بصداقته ،  
 بعد سفرك بسنة تماما ، ومثلك تماما ...  
 فهتف فلتشانينوف يقول وقد فهم الأمر :  
 - ها ... نعم . باجاوتوف ... لقد كان موظفا في مدينتنا ...  
 فصاح بافل بافلوفتش بحماسة شديدة يقول :  
 - نعم نعم ، كان ملحقا بالحاكم . شهاب من المجتمع الراقى  
 ببطرسبرج ، لم أر الأناقة مثيلا .  
 - نعم ، نعم . فيم كنت أفكر ؟ نعم ... هو أيضا اذن ؟ ...  
 فأجاب بافل بافلوفتش بتلك الحماسة نفسها ، ملتقيا تلك الكلمة  
 الطائشة التي ندت عن محادثته :

- هو أيضا ، هو أيضا . وعندئذ انما مثلنا « الريفية » على  
 مسرح هواة ، في منزل صاحب المعالي سيميون سيميونوفتش ،  
 الجواد الكريم . لقد مثل ستيفان ميخائيلوفتش دور الكونت ،  
 ومثلت أنا دور الزوج ، ومثلت المرحومة دور « الريفية » ، ولكنهم



سحبوا منى دور الزوج ، بالحاح من المرحومة . فلم امثل اذن دور « الزوج » ، كانوا يقولون اننى لا احسن تمثيل هذا الدور ...  
- ولكن اى شيطان يدعى انك ستوبنديف ؟ انك بافل بافلوفتش تروسوتسكى ، ولست أبدا ستوبنديف ...  
هكذا صرخ فلتشانينوف بفظاظة دون تخرج . كان يكاد يرتعش حنقا وغيظا . ثم اضاف يقول :

- ثم اسمح لى ... ان باجاوتوف هذا هو الآن هنا ، بيطرسبرج ، رايته بنفسى فى الربيع . فلماذا لا تذهب اليه ايضا ؟  
- اننى اذهب اليه كل يوم ، منذ ثلاثة اسابيع . ولكنهم يرفضون ان ادخل عليه . انه مريض ، ولا يستطيع ان يستقبلنى . وتصور اننى علمت من مصدر موثوق انه كان حقا مريضا مرضا خطيرا . صديق قديم . آه يا الكسى ايفانوفتش ، لقد قلت لك واكرر قولى اننى ، فى الحالة التى انا فيها ، اشتهى احيانا ان اغيب حقا تحت الارض . وفى لحظات اخرى احس اننى مستعد لان ارتدى بين ذراعى واحد من اولئك الذين شهدوا حياتى الماضية ، واحد من اولئك الذين شاركوا فى حياتى الذاهبة ، لا لشيء الا لنبكى معا ... نعم لا لشيء الا لآبكى ... اقول ذلك صادقا ...  
قال فلتشانينوف بخشونة :

- هيا ... يكفىك اليوم هذا ...  
- يكفى ويزيد ، يكفى ويزيد . ان الساعة الآن هى الرابعة ، وقد ازعجتك ازعاجا فيه كثير من الانانية ...  
قال بافل بافلوفتش ذلك ، ونهض فجأة .  
- اسمع . سأجىء اليك حتما ... قل لى بصراحة : الست اليرج سحرانا ؟  
- سحران ؟ أبدا .

- ألم تشرب قبل ان تجىء الى هنا ، او قبل ذلك ايضا ؟  
- ان حرارتك مرتفعة حقا يا الكسى ايفانوفتش .  
- سأجىء اليك غدا قبل الساعة الواحدة .  
- اننى لاحظ منذ برهة انك تبدو فى حالة هذيان تقريبا .  
قال بافل بافلوفتش ذلك ملحا على هذا الموضوع ، وهو يشمر بشوع من الرضا . ثم اردف :  
- يؤسفنى حقا ان خراقتى ... انا ذاهب ، انا ذاهب . اما انت فاستلق على فراشك وحاول ان تنام .

- صاح به فلتشانينوف يقول وقد فاء الى نفسه :
- ولكنك لم تقل لى اين تسكن .
- ألم اقل لك ذلك ؟ اننى اسكن فى فندق بوكروفسكى ؟
- ما هذا الفندق ايضا ؟
- قريب جدا من كنيسة بوكروف . فى شارع صغير ، نسيت اسم الشارع ، ونسيت الرقم . ولكن الفندق الى جانب الكنيسة - سأجده
- أهلاً وسهلاً بالضيف العزيز
- قال بافل بافلوفتش ذلك ، وكان قد أصبح على السلم . فصاح به فلتشانينوف مرة أخرى قائلا :
- قف . ان ترحل عن هذا الفندق ؟
- كان بافل بافلوفتش قد هبط ثلاث درجات على السلم ، فالتفت محملاً ، على ابتسامة فى شفتيه ، وقال :
- كيف « ارحل » ؟
- فكان كل جواب فلتشانينوف على ذلك أن صفق الباب بقوة ، ثم أدار المفتاح برفق ، ودفع المزلاج . فلما عاد الى غرفته بصق مشمئزاً كأنه اتسخ .
- وظل واقفاً ، ساكناً ، فى وسط الغرفة ، خلال خمس دقائق ، ثم ارتقى على سريره دون أن يخلع ملابسه ، فما لبث أن نام . والشمعة التى نسي أن يطفئها ذابت على المنضدة حتى آخرها .



## الزوجة والزوج والعشيق

نام نوما عميقا ، واستيقظ في الساعة التاسعة والنصف تماما ،  
فنهض فوراً ، وجلس على سريريه ، وأخذ يفكر في موت « تلك المرأة » .  
ان « الهزة » التي شعر بها أمس حين علم بموت تلك المرأة قد  
تركت فيه نوعاً من الاضطراب وشيئاً من الألم ، خنقتهما ، الى  
حين ، فكرة خامية نشأت عن رؤية بافل بافلوفتش . اما اليوم ،  
حين استيقظ ، فان كل ما حدث قبل تسع سنين يطوف الآن في  
ذهنه واضحا الى اقصى حدود الوضوح .

ان هذه المرأة ، المرحومة ناتاليا فاسيليفنا ، زوجة « تروسوتسكى  
هذا » ، قد احبها فلتشائينوف ، وكان عشيقها ، اثناء اقامته في  
ت . . . سنة كاملة ، لعامل من الأعمال (كان هذا العامل دعوى خلاف  
على ارث ايضا ) . وكان ذلك العمل لا يقتضى اقامة طويلة كل ذلك  
الطول ، في واقع الامر ، وانما كانت تلك العلاقة هي السبب  
الحقيقى لهذه الاقامة الطويلة . وقد استبدت تلك العلاقة وذلك  
الحب بنفسه استبدادا قويا ، حتى أصبح عبدا لناتاليا فاسيليفنا  
ان صح التعبير . كان يمكن ألا يتردد لحظة واحدة عن القيام بأشد  
الاعمال شدة وذا وجونا ، اذا شاءت له ذلك نزوة من نزوات تلك  
المرأة . ولم يقع شيء يشبه هذا ، لا قبل ذلك ولا بعده . وفي  
نهاية السنة ، حين أصبح الفراق امرا لا بد منه ولا محيص عنه ،  
بلغ الحزن واليأس بفلتشائينوف انه اقترح على ناتاليا فاسيليفنا ،  
عند اقتراب الموعد المشئوم ، رغم ان هذا الفراق فراق الى حين  
لن يطول ، اقترح عليها ان تهرب معه ، ان تترك زوجها ، ان  
تهجر كل شيء ، وأن تسافر معه الى الخارج الى الأبد . ولم  
يصده عن هذا المشروع ، ولا اكرهه على السفر وحده الا مخزيات  
هذه السيدة وصلابتها (يجب ان نذكر انها كانت في اول الامر تحب  
الفكرة تحبيدا كاملا ، ربما على سبيل المزاح ، او على سبيل التسلية) .  
ولكن ما أن انقضى على ذلك الفراق شهران ، حتى كان يطرح

على نفسه ببطرسبرج هذا السؤال : احقا احب تلك المرأة ام ان ذلك لم يكن الا نوعا من « السحر » ؟ ولم يطرح فلتشانينوف على نفسه ذلك السؤال عن خفة وطيش ، ولا بتأثير هوى جديد اشتعلت ناره في نفسه : لقد كان خلال هذين الشهرين في بطرسبرج ، خارجا عن طوره حقا ، ولعله كان لا يولى النساء أى التفات ، رغم انه جدد علاقاته القديمة قورا وأتيخ له أن يرى مئات النساء . ثم انه كان يعلم كل العلم ، رغم جميع الشكوك التى قامت في نفسه ، انه لو عاد الى ت . . . لاستعبده ، مرة أخرى ، فتنة تلك المرأة التى تستبد بالنفس . حتى لقد ظل مقتنعا بذلك بعد خمس سنين . غير انه كان عندئذ لا يعترف لذه . بهذا الا وبفض

وكان لا يستطيع أن يتذكر « تلك المرأة » الا ويشعر نحوها بالكره والبغض . كان يخجل من هذه السنة التى قضاه في ت . . . ولا يستطيع أن يتصور كيف يمكن أن يستعبد فلتشانينوف هوى « غبى » كهذا الهوى . كان يعد جميع الذكريات التى تتصل بهذا الهوى مخلة بالكرامة موجبة للخجل ، فكان اذا تذكرها يحمر وجهه احمرارا شديدا ، حتى ليكاد يبكى ، وكان يفرق نفسه بألوان من اللوم الموجه والتقريع المؤلم . ولكنه شعر بعد بضع سنين بشيء من الهدوء ، فلقد حاول أن ينسى كل شيء ، وظفر بذلك تقريبا . وها هو ذا كل شيء ينبعث الآن فجأة ، بعد تسع سنين ، انبعاثا غريبا ، حين علم بموت ناتاليا فاسيليفنا .

جلس على سريريه ، وغزته أفكار مشوشة كانت تتسارع في ذهنه مزدحمة ، فكان لا يحس احساسا واضحا ولا يفهم فهما واضحا الا شيئا واحدا ، هو أن موت هذه المرأة ، رغم ما أحدثته فيه إثباتا من « اضطراب » لم يؤثر فيه ، ولا أجزئه . فكان يتساءل : « انا لا اشعر أذن حتى بشيء من الأسف لموتها » . الحق انه أصبح يستطيع الآن ، بعد أن مضى كرهه لها وحقدته عليها ، أن يقضى في أمرها برأى اقرب الى الحياد والانصاف . كان رآيه الذى قام في ذهنه منذ مدة طويلة خلال هذه السنين التسع من الفراق ، هو ان ناتاليا فاسيليفنا واحدة من سيدات الريف العاديات جدا ، واحدة من سيدات المجتمع « الراقى » في الريف : « من يدري » قد تكون كذلك حقا ، وقد اكون انا الشخص الوحيد الذى صنع لنفسه عنها أفكارا خيالية . وكان يقدر دائما مع ذلك ان رآيه هذا قد يشتمل على بعض الخطأ . وهو يحس هذا الآن . ثم ان



الوقائع جاءت تكذب ذلك الرأي : لقد قامت بينها وبين باجاوتوف هذا علاقة أخرى دامت بضع سنين . لقد « فتن » باجاوتوف هذا أيضا بها . وباجاوتوف ينتمى في الواقع الى أعلى طبقة بطرسبرجية . ولما كان « شخصا تافها تماما » (هكذا كان يقول عنه فلتشانيوف) فانه كان لا يستطيع ان يعيش حياة ناجحة الا في بطرسبرج ، ومع ذلك ازدرى بطرسبرج هذه التي تعده بكثير من المزايا والمنافع ، وعاش في ت . . . . خمس سنين من حياته ، في سبيل هذه المرأة وحدها . . . . ولعله لم يعد الى بطرسبرج ، الا بعد أن رمى ، كما « يرمى حذاء أصبح من البلى لا يصلح أن ينتعل » . فلا بد إذن أن يكون في هذه المرأة شيء خارق ، هو القدرة على الاجتذاب والاضاع والسيطرة .

ومع ذلك كان يلوح انها لا تملك ما به تجذب وتستعبد : انها لم تكن على حظ كبير من الجمال ، ولعلها لم تكن على أى حظ من الجمال . كانت في الثانية والعشرين من عمرها حين رآها فلتشانيوف . كان في وجهها حين ينتعش ويتحرك نوع من الفتنة . على انه لا يمتاز بحسن كثير . الا أن عينيها كانتا منفرتين : كان في نظرتها قسوة مفرطة . وكانت نحيلة جدا . وكان نموها العقلي ضعيفا . كان لها فكر نافذ ولاشك ، ولكنه فكر متعصب في أكثر الأحيان . وكان سلوكها سلوك امرأة ريفية واقية ، ولكنها كانت تمتاز ، الى ذلك ، بكثير من الرهافة ، واللباقة ، والحق يقال . وكان لها ذوق مرهف . ولكن هذا الذوق المرهف كان لا يظهر الا في ملابسها ، فلقد كانت تعرف كيف تلبس . . . . وكان طبعها يتصف بالحزم والسيطرة : انك لا تستطيع أن تتفاهم معها في أى أمر من الأمور نصف تفاهم : « اما كل شيء ، واما لا شيء » . وكانت كريمة كرما كبيرا . ولكنها كانت الى ذلك ظالمة ظلما شديدا : يستحيل عليك أن تتناقش مع هذه السيدة : أن ٢ × ٢ لا معنى لها عندها . لم يتفق لها يوما أن عدت نفسها على خطأ ، حتى لسكانها معصومة من الزلل . كانت خياناتها المستمرة الكثيرة لزوجها لا تثقل على ضميرها . كان فلتشانيوف يشبهها هو نفسه بتلك « العذراوات » ، عذراوات الفرق الدينية المنشقة اللواتي يعتقدن مخلصات انهن « أمهات الرب » . كانت وفية لعشاقها ، الى أن تشبع منهم . وكان يلد لها أن تعذبهم ، ثم سرعان ما تكافئهم . ان طبيعتها جامحة قاسية شهوانية . كانت تكره الفجور ، وتستنكره

استنكارا شديدا ، ولسكنها كانت فاجرة . وما من شيء كان يمكن أن يحملها على التسليم بأنها فاجرة . « من المحقق أنها تجهل ذلك ، صادقة كل الصدق » . هذا ما كان يقوله فلتشانينوف لنفسه حين كان لا يزال في ت . . . ( ويجب أن نذكر ، عابرين ، انه كان يقول ذلك لنفسه حين يشارك في فجورها ) . وكان يقول لنفسه أيضا : « هذه امرأة من أولئك النساء اللواتي كأنما خلقن ليخن أزواجهن . ان أولئك النساء لا تزل بهن القدم ما دمن بنات لم يتزوجن بعد . ان طبيعتهم تقضى بالايقع لهن هذا الا حين يتزوجن . ان زوج أحدهن هو أول من يهاشرها ، ولكن بعد الزواج ، لا قبله . وما من فتاة تتزوج مثلما يتزوجن ببراءة وسهولة . والزوج هو المسئول عن العشيق الأول . ويجرى كل شيء بصدق واخلاص ، فهن لا يرين انهن تنكين طريق الواجب ، وأن ما يعملنه ليس من حقهن . . . وهن يعددن أنفسهن بريئات كل البراءة بطبيعة الحال » .

كان فلتشانينوف مقتنعا بوجود هذا النموذج من النساء حقا ، ولكنه كان موقنا أيضا بوجود نموذج من الأزواج يقابل هذا النوع من النساء ، نموذج من الأزواج ليس لوجوده من مبرر غير الانطباق على هذا النموذج من النساء . وكان في رأيه ان الصفة الأساسية في هؤلاء الرجال هي ان أحدهم « زوج أبدى » ان صح التعبير ، أو قل انه ليس في الحياة الا زوجا . « ان رجلا من هذا النموذج لا يولد ولا ينمو الا ليتزوج وليصبح تنمة لزوجته ، ولو كان يملك طبيعا خاصا لا مشاحة فيه . ان العلامة التي تميز زوجا مثله هي زينة ما في رأسه . يستحيل عليه الا يكون له قرنان ، كما يستحيل على الشمس الا تضيء . وهو لا يجهل ذلك دائما فحسب ، بل لابد ان يجله ، بحكم قوانين طبيعته » كان فلتشانينوف يؤمن ايمانا جازما بوجود هذين النموذجين ، ويأن بافل بافلوفتش تروسوتسكى كان في ت . . . يمثل أحدهما . غير ان بافل بافلوفتش الذي جاءه أمس ، يختلف اختلافا واضحا عن بافل الذي عرفه في ت . . . لقد رأى فلتشانينوف أن الرجل تبدل تبديلا هائلا ، ولكنه كان يعرف ان هذا التبدل أمر كان لابد أن يقع ، وانه طبيعي تماما : ان السيد تروسوتسكى لا يمكن أن يكون الآن ما كان اثناء حياة زوجته ، انه لا يمثل الآن الا جزءا من كل ، جزءا ترك في العالم شيئا غريبا لا يشبهه شيء .

اما بافل بافلوفتش الذي كان في ت . . . فاليكم الصورة التي

احتفظ بها فلتشانينوف عنه . وأخذ يتذكرها الآن .  
 في ت ... لم يكن بافل بافلوفتش إلا زوجا ، ولا شيء غير ذلك .  
 ولئن كان عدا هذا موظفا ، مثلا ، فما ذلك إلا لأن أعماله جزء من  
 واجباته زوجا . لقد دخل الوظيفة لأنه نظر بعين الاعتبار إلى مركز  
 زوجته في مجتمع ت ... رغم أنه كان ، بحد ذاته ، موظفا نشيطا  
 شديد الحماسة لعمله . كان عمره حينذاك خمسة وثلاثين عاما ،  
 وكان يملك بعض الثراء ، بل كانت ثروته ضخمة بعض الشيء .  
 لم تكن له كفاءات بارزة ، ولكنه لم يكن عاجزا عجزا بارزا كذلك .  
 وكانت له صلات بالمجتمع الراقى ، وكان يعيش حياة عريضة .  
 وكان الناس في ت ... يقدرون ناتاليا فاسيليفنا كثيرا ، ولكنها  
 كانت لا تحفل بهذا كبير احتفال ، وتعد اعتبار الناس لها حقا  
 من حقوقها . كانت تحسن الاستقبال ، وقد روضت بافل بافلوفتش  
 حتى أكسبته كثيرا من اللباقة ، فصار يجيد استقبال أضخم قبعات  
 ت ... إذا اقتضى الأمر ذلك . ولعله كان ذكيا أيضا (هكذا كان  
 يقول فلتشانينوف لنفسه) ، ولكن ناتاليا فاسيليفنا كانت لا تحرص  
 على أن يتكلم زوجها كثيرا ، فكان الناس لا يلاحظون ذكائه . ولعله  
 كان ينعم بعدد من المزايا الطبيعية ، كما كان يتصف ببعض العيوب ،  
 أما المزايا فكانت مغطاة بدثار أن صح التعبير ، وأما الغرائز السيئة  
 فقد خنقت خنقا كاملا على وجه التقريب . يتذكر فلتشانينوف ،  
 مثلا أن السيد تروسوتسكى كان يحاول في بعض الأحيان أن يهزأ  
 بجاره ، ولكن ذلك كان محظورا عليه بقسوة . وكان يجب في بعض  
 الأحيان أن يروي قصصا ، ولكن ذلك كان مراقبا أيضا : كان  
 لا يسمح له بأن يقص إلا حكايات ليس لها دلالة . وكان يجب أن  
 يجتمع ببعض الرفاق خارج البيت ، بل كان يميل إلى الشرب مع  
 هؤلاء الرفاق ، ولكن هذه الميول قد اجتشت من جذورها . ومع  
 ذلك ، إذا نظر المرء إلى المظاهر وحدها ، لم يدر في خلده أن  
 الرجل تحت حذاء زوجته . كانت ناتاليا فاسيليفنا تبدو زوجة  
 مطيعة ، ولعلها كانت تعتقد هي بذلك اعتقادا صادقا . ولعل بافل  
 بافلوفتش كان يحب زوجته حبا يبلغ حد الجنون ، ولكن لم يكن  
 في وسع أحد أن يلاحظ ذلك : كان يستحيل أن يعرف أحد شيئا  
 عن هذا ، ربما بفضل الإجراءات التي تتخذها ناتاليا فاسيليفنا  
 بهذا الصدد . لقد تساءل فلتشانينوف مرات كثيرة ، أثناء إقامته  
 في ت ... هل يشبه الزوج بعض الاشتباه في علاقاته بزوجته .

حتى لقد طرح هذا السؤال غير مرة على ناتاليا فاسيليفنا بكثير من الجد ، فكانت تضيق ذرعا بالسؤال وتجيبه بأن زوجها لا يعرف شيئاً ولا يمكن أن يعرف شيئاً ، وأن هذا كله « لا يعنيه أبداً على أية حال من الأحوال » . وثمة شيء آخر طريف ، هو انها كانت لا تسخر أبداً من بافل بافلوفتش ، ولا تجد فيه أى شيء يثير الضحك أو يبعث على النفور ، ولو تجرأ أحد فنال منه أو لم يتأدب معه لدافعت عنه دفاعاً حاراً . ولم يكن لها أولاد ، لذلك أصبحت سيدة من سيدات « الصالونات » فحسب . ولكنها كانت تحوّل على حياتها المنزلية أيضاً . ان ملذات الصالونات لم تكن تستغرقها كل الاستغراق ، وكانت تحب أن تعنى بمنزلها وبأعمال السيدات . لقد تذكر بافل بافلوفتش أمس قراءاتهم العائلية عند المساء في ت . . . وهذا صحيح : لقد كان فلتشانينوف هو الذى يتولى القراءة في بعض الأحيان ، وكان بافل بافلوفتش يتولاها في أحيان أخرى : كان بافل بافلوفتش يقرأ فيجيد القراءة ، وكان فلتشانينوف يعجب من ذلك أشد العجب . أما ناتاليا فاسيليفنا فكانت تتابع القراءة بهدوء وانتباه مع استمرارها على التطريز بوجه عام . كانوا يقرأون روايات لديكنز ، ومجلات روسية ، وكانوا يقرأون في بعض الأحيان أشياء « جدية » . وكانت ناتاليا فاسيليفنا تقدر ثقافة فلتشانينوف كثيراً ، ولكنها لا تتحدث في ذلك . كان ذلك أمراً مقررًا ، منسلماً به ، لا داعى الى الكلام فيه . كانت ناتاليا فاسيليفنا قليلة الاحتفال بكل ما هو علم وكتب ، كأن هذه الأمور لا تعنيها ، رغم ما قد يكون لها من فائدة . أما بافل بافلوفتش فقد كان يحبها حب هوى في بعض الأحيان .

وقد انتهت هذه العلاقة فجأة . حين بلغ حب فلتشانينوف أقصى درجاته ، حتى كاد يصير الى جنون ، طرد بفتة ، ببساطة ، رغم أن كل شيء قد رتب ترتيباً من شأنه أن يجعله يسافر دون أن يعرف انه «رمى كما يرمى حذاء أصبح من اليلى لا يصلح أن يستعمل» . لقد ظهر في ت . . . قبل سفره بشهر ونصف شهر ضابط من ضباط المدفعية أنهى دراساته في مدرسة الفتيان منذ برهة وجيزة . وأخذ هذا الضابط يتردد الى بيت تروسوتسكى ، فأصبح العدد الآن أربعة لا ثلاثة . وكانت ناتاليا فاسيليفنا تستقبل الفتى بترحيب وحفاوة ، ولكنها كانت تعامله كما يعامل الأطفال ، فلم يشك فلتشانينوف في شيء . ثم ان ثمة شيئاً آخر كان يشغل باله ، ذلك



انه ابلغ فجأة ان الفراق أصبح امرا لا بد منه . وقد اوردت ناتاليا فاسيليفنا مئات من الحجج للتدليل على ان سفر فلتشانيوف يجب ان يتم بسرعة ، وكانت احدى تلك الحجج انها حبلى : كانت تعتقد انها حبلى ، فلا بد اذن ان يغيب فوراً ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر على الأقل ، وذلك حتى لا يراود الزوج بعد تسعة أشهر أى شك اذا حاول أحد أن يشى بها . وكانت الحجة ضعيفة . وقد اقترح فلتشانيوف عليها أن تهرب معه الى باريس أو الى أمريكا ، بتأثير ما كان يتأجج في نفسه من حب عنيف . ولكنه سافر بعد ذلك وحده الى بطرسبرج ، شريطة ألا يغيب إلا «مدة قصيرة جداً» أى ثلاثة أشهر أو أربعة أشهر في أكثر تقدير ، والا لما سافر قط ، رغم جميع الحجج والأدلة التى يمكن ابدائها . وبعد شهرين تماماً تلقى فى بطرسبرج رسالة من ناتاليا فاسيليفنا ترجوه فيها ألا يعود أبداً الى ت . . . لأنها تحب الآن شخصاً آخر . أما عن حملها ، فقد قالت فى الرسالة انها كانت على خطأ . ولم يكن فلتشانيوف فى حاجة الى هذا الشرح . ان كل شيء غداً واضحاً : لقد تذكر الضابط الصغير . انتهى الأمر الى الأبد . وقد علم فلتشانيوف بعد بضع سنين ان باجاوتوف الذى كان فى ت . . . قد مكث فيها خمس سنين . وعلل طول مدة هذه العلاقة بأن ناتاليا فاسيليفنا كانت بسبب تقدمها فى السن تزداد تعلقاً بعشيقها حتماً .

ظل فلتشانيوف جالساً الى سرير - مدة ساعة تقريباً . فلما ثاب ~~ثنى نفسه~~ ، قرع الجرس لما فرا ، فجاءته بقهوته ، فاحتساها بسرعة ، وارتدى ملابسه وخرج فى الساعة الحادية عشرة تماماً ، ليحضى بأحسا عن فندق بوكروفسكى . لقد راودته فى هذا الصباح فكرة جديدة حول هذا الموضوع . ثم انه كان خجلاً بعض الخجل من طريقته فى استقبال بافل بافلوفتش ، الليلة البارحة . فيجب اخراج هذا كله الى النور .

كان يقول لنفسه الآن ان قصة القفل كلها ، هذه القصة العجيبة ، لم تكن إلا بنت الصدفة ، لم تكن إلا ثمرة سكر بافل بافلوفتش ، وثمره شيء آخر أيضاً . ولكنه على وجه الاجمال لا يتصور تصوراً واضحاً الغاية التى يهدف اليها من مضيه الى تجديد علاقاته بالزوج السابق ، رغم أن كل ما بينهما قد انتهى نهاية طبيعية جداً . كان ثمة شيء يجره الى ذلك جراً . لقد شعر شعوراً خاصاً ، وكان هذا الشعور هو بعينه علة ذلك الاندفاع .

- 5 -

## ليزا

لم يخطر ببال بافل بافلوفتش ان « يرحل » عن الفندق . ولا يعلم الا الله لماذا طرح عليه فلتشانينوف هذا السؤال امس . حقا لقد كان مضطرب الفكر . في دكان صغير ، قرب ميدان بوكروف ، دلوه على فندق بوكروفسكى الذى يقع على بعد بضع خطوات ، في شارع صغير . وقيل له في الفندق ان السيد تروسوتسكى يتزل في غرفة مؤثثة عند امرأة يقال لها ماريا سيسويفنا ، بملحق يقع في آخر الفناء . فبينما هو يصعد الى الدور الثانى الذى فيه الغرف المؤثثة ، على سلم حجري ، ضيق ، قدر ، تفضيه الأوساخ ، سمع فجأة صوت بكاء . أنه بكاء طفلة في السابعة او الثامنة من عمرها . وكان البكاء اليما . كان نشيجا مخنوقا ، ينفجر فجأة ، ويختلط به صراخ حائق ، حاد ، اجش ، ينطلق من رجل ، كما تختلط به دبذبات اقدام على الارض . يلوح للمرء ان الرجل يحاول ان يسكت الطفلة ، ولا يريد ان يسمع أحد بكاءها ، ولكنه يحدث من الصخب اكثر مما تحدث ، مع محاولته ضبط نفسه . كانت الصرخات وحشية ، وكان يبدو ان الطفلة تتوسل الى الرجل ان يصفح عنها . فلما دخل فلتشانينوف في رواق ضيق على جانبيه بابان مفتوحان ، صادف امرأة طويلة بدينية مكشوفة الصدر ، فسألها عن بافل بافلوفتش ، فأشارت بأصبعها الى الباب الذى كان يسمع من وراءه البكاء . ان هذه المرأة تبلغ الأربعين من العمر ، كان وجهها الكثيف المحمر يعبر عن شيء من الاستياء والاستنكار . قالت بصوت خفيض وهي تهبط السلم :

- انظروا كيف يتسلى

هم فلتشانينوف ان يطرق الباب ، ولكنه عدل عن ذلك ، وفتحه على حين فجأة . فرأى بافل بافلوفتش واقفا في وسط

غرفة صغيرة ، مزدحمة بأثاث ملون بألوان فظة غليظة . لم يكن بافل بافلوفتش يرتدي ملابس كاملة : كان بلا صدرية وبلا سترة . وكان وجهه أحمر يشيع فيه القضب والحنق. كان يصرخ ويحرك يديه ، حتى لكانه يشد قبضتيه ليضرب بهما ، ( هذا ما بدا لفلتشانينوف ) ، محاولا أن يسكت طفلة صغيرة في نحو الثامنة من العمر . وكانت الطفلة ترتدي ثوبا فقيرا ، ولكنه ثوب أنسة مع ذلك ، ثوب قصير من الصوف الاسود . كان يبدو أنها في نوبة عصبية ، كانت تمسك يديها نحو بافل بافلوفتش ناشجة منتحبة ، كأنها تريد أن تشده إليها ، وأن تمنقه ، وأن تتوسل إليه . وما هي الا طرفة عين حتى تبدل هذا كله ، فما أن رأت البنية شخصا غريبا حتى صرخت ، ومركت كالسهم الى غرفة مجاورة . أما بافل بافلوفتش فانه ذهل عن نفسه لحظة ، ثم ما لبث أن انبسط وجهه بابتسامة عذبة كأمس تماما ، حين فتح فلتشانينوف باب السلم فجأة عليه .

صاح دهشا :

— الكنى ايفانوفتش . حقا لم اكن اتوقع أن تجيء الآن ...  
اجلس هنا . هنا على هذا «الديوان» اوعلى ذلك المقعد ، وأنا ...  
قال ذلك وأسرع يرتدي سترته ، ناسيا ان يلبس الصدرية .  
— لا داعى الى الرسمية ! ابق كما كنت !  
قال فلتشانينوف ذلك وجلس على كرسى .

— لا ، لا . اسمح لى ببعض الرسمية . هانذا الآن على ما يقتضى الادب . ولكن لماذا جلست بعيدا في ذلك الركن ؟ اجلس على هذا المقعد قرب المائدة ... نعم ... حقا لم اكن انتظر أن تجيء ! ...

— لماذا لم تكن تتوقع أن أجىء ؟ لقد قلت لك أمس اننى سأجىء اليوم ، في هذه الساعة بالذات .

— قدرت انك لن تجيء ، وحين أدركت عند يقظتى في هذا الصباح كل ماجرى أمس ، فقدت كل أمل في رؤيتك بعد ذلك أبدا .

كان فلتشانينوف يلاحظ الغرفة اثناء ذلك. كانت الغرفة في فوضى شاملة ، فالسرير لم يرتب ، وفي كل مكان ملابس القيت على غير هدى . والمائدة حافلة بكؤوس وبقايا قهوة ، وفتات خبز، وزجاجة شمبانيا مفتوحة ، فارغ نصفها ، والى جانبها قدح . والقى

فلتشاينوف نظرة على الغرفة المجاورة ، ولكن كل شيء كان فيها ساكنا ، فقد صمتت الطفلة .

— هل كنت تشرب ؟

قال فلتشاينوف ذلك وهو يشير الى زجاجة الشمبانيا .  
فاضطرب بافل بافلوفتش ، وقال :

— هذه بقايا ...

— ما أكثر ما تغيرت !

— عادات سيئة ... اعتدتها فجأة : منذ ذلك . لا اكذب .  
يستحيل على أن أمنع نفسي . لا تخف يا الكسى ايفانوفتش .  
لا ، لست الآن سكرانا ، ولن أقول كلاما سخيفا ، كالذي قلته  
أمس ، في بيتك . ولكننى أقول لك الحقيقة يا الكسى ايفانوفتش :  
لقد بدأت هذه العادة منذ ذلك . ولو قد قال لى أحد ، قبل ستة  
أشهر فحسب ، اننى سأزعزع هذا التزعزع كله ، لو ارانى أحد  
وجهى فى المراة ، لما صدقته ...

— اذن كنت أمس سكرانا .

قال بافل بافلوفتش يعترف بصوت منخفض ، وهو يفيض طرفه  
خجلا :

— نعم ، ولكنى لم اكن سكرانا تماما ، لاننى شربت قبل أن اגיע  
اليك ببضع ساعات . أقول لك ذلك ، لأن الحالة عندى تزداد  
سوءا بعد السكر : فمتى ذهب السكر أصبحت شريرا قاسيا ،  
وصرت كالمجنون وعندئذ يتفاقم حزنى . ولعل هذا الحزن هو  
الذى يحملنى على الشرب . اننى أصبح قادرا على ارتكاب أسوأ  
الحماقات ، وأسعى الى المشاجرات . ألم أبد لك غريبا أمس ؟  
— ألا تتذكر ؟

— كيف لا ؟ اننى أتذكر كل شيء .

قال فلتشاينوف بلهجة لطيفة مصالحة :

— ها ... هذا ما قدرته ، وهذا ما فسرت به الأمور يا بافل  
بافلوفتش . ولقد كنت انا أيضا مهتاجا بعض الاهتياج أمس ،  
وكنت نافد الصبر ... أسلم لك بذلك . اننى أشعر فى بعض  
الاحيان بانقباض شديد ، ثم أن زيارتك فى الليل ، على غير توقع ...  
فهز بافل بافلوفتش رأسه كأنه يدهش من نفسه وكأنه يلوم  
نفسه :

— نعم ، فى الليل ! وما الذى دفعنى الى هذا ؟ على اننى ما



كان يمكن أن أدخل عليك ، بحال من الأحوال ، لولا أنك أنت فتحت الباب .. كنت سأمضي ما في ذلك شك . وقد سبق أن جئت قبل ذلك يا الكسي ايفانوفتش ، منذ أسبوع تقريبا ، فما وجدتك . ولكن كان يمكن ألا أعود أبدا . ان لي كبريائي يا الكسي ايفانوفتش ، رغم اني في الحالة التي أنا فيها . لقد التقينا في الشارع ، ولكنني قلت لنفسي : « وإذا لم يعرفني ... اذا أشاح بوجهه عني .. ذلك انها تسع سنين .. مدة ! » فلم أعزم أمرى على التعرض لك . أما أمس فقد كنت راجعا من الضاحية ، وكنت قد فقدت احساسى بالزمن تماما . والمسئول عن ذلك هو هذه ( أشار الى الزجاجاة ) وعواطفى . انها لغباوة ! انها لغباوة شديدة ! ولو فعلت ذلك مع غبرك ، لفقدت كل أمل في تجديد التعارف . أما أنت فقد تذكرت الماضي فجئت الى ، رغم كل ما حدث أمس .

كان فلتشانينوف يصفى الى كلامه بانتباه . وكان يبدو أن الرجل يعبر عن شعوره تعبيرا صادقا ، حتى لقد كان في كلامه شيء من الرصانة والوقار . ولكن فلتشانينوف كان لا يصدق حرفا مما يقول ، منذ دخل عليه .

— قل لي يا بافل بافلوفتش ، ألسنت اذن وحدك هنا ؟ لمن هذه البنت التي رأيتها عندك منذ برهة ؟

فدهش بافل بافلوفتش كثيرا ، ورفع حاجبيه ، وألقى على فلتشانينوف نظرة صافية بشوشا :

— لمن هذه الطفلة ؟ انها ليزا ... ليزا ...

قال ذلك وهو يتسم ابتسامة لطيفة .

فدمدم فلتشانينوف يقول وقد شعر بشيء يهتز في نفسه :

— أى ليزا ؟

كان شعورا مباغتاً . انه حين دخل منذ لحظة ، فرأى ليزا ، دهش بعض الدهشة ، ولكن لم يساوره أى شعور خاص ، لم تراوده أية فكرة خاصة . فكرر بافل بافلوفتش يقول ، وهو لا يزال يتسم :

— ولكنها ليزا ، بنتنا ليزا !

— بنتك ؟ ولكن هل ... هل أنجبت ناتاليا فاسيليفنا أولادا ؟

سأل فلتشانينوف هذا السؤال خجلا مترددا ، بصوت مختنق بعض الاختناق .

— كيف؟ ها ... نعم . الحق معك . وكيف كان يمكن أن تعرف

ذلك ؟ نعم ، بعد سفرك انما من علينا الله بها .  
 وارتجف بافل بافلوفتشش على كرسیه ، كان انفعالا قويا هز نفسه ،  
 ولكنه انفعال ممتع .  
 قال فلتشانينوف :  
 — لم اكن اعرف ذلك .  
 وامتقع وجهه .

قال بافل بافلوفتشش بصوت رقيق عذب :  
 — صحيح ، صحيح . ومن ذا الذى كان يمكن ان ينبئك بذلك !  
 انت تذكر اننا ، انا والمرحومة ، كنا قد فقدنا كل امل ، ولكن  
 الله انعم علينا . آه ... لا يدرك الا الله ما شعرت به عندئذ من  
 عواطف ! كان ذلك بعد سفرك بسنة تماما ، لا بل بعد سفرك باقل  
 من سنة . اظن ، اذا لم تخدعنى ذاكرتى ، انك تركتنا فى شهر  
 تشرين الاول ( اكتوبر ) ... ام فى شهر تشرين الثانى ؟  
 — سافرت من ت ... فى اوائل ايلول ، فى ١٢ من ايلول  
 ( سبتمبر ) . اتذكر ذلك جيدا ...

— فى ايلول ؟ صحيح ؟ كنت اظن ...  
 قال ذلك بافل بافلوفتشش دهشا كل الدهشة ، واردف :  
 — اذا صح ذلك ... اذن انت سافرت فى ١٢ من ايلول ، وليزا  
 ولدت فى ٨ من ايار ( مايو ) ... معنى ذلك : ايلول ، تشرين الاول ،  
 تشرين الثانى ، شباط ، آذار ، نيسان ... ثمانية اشهر وبضعة  
 ايام . نعم ، هذا هو . ليتك تعلم كم المرحومة ...  
 — ارنها . اتنى بها .

قال فلتشانينوف ذلك بصوت متقطع .  
 فاضطرب بافل بافلوفتشش ، وقطع عبارته فجأة ، كأنها لا قيمة  
 لها ، قائلا :

— طبعاً سأتيك بها حالا ، سأقدمها اليك فوراً .  
 ثم مضى بخفة وحرارة الى غرفة ليزا .  
 وانقضت ثلاث دقائق او اربع . كان فى الغرفة الصغيرة همس  
 مريع منخفض . وكان صوت ليزا لا يكاد يسمع . قال فلتشانينوف  
 لنفسه : « انها تتوسل اليه الا يخرجها » . وظهر أخيراً .  
 قال بافل بافلوفتشش :  
 — هى ذى ! انها لا تزال خجلى . ان بها حياء ... وهى  
 صورة المرحومة تماماً !

كانت ليزا قد انقطعت عن البكاء . كانت عيناها مطرقتين ، وكان  
أبوها يجرها من يدها . انها بنية فارعة الطول ، نحيلة القوام ،  
جميلة جدا . رفعت عينيها الواسعتين الزرقاوين نحو فلتشانيوف  
بسرعة ، ولكنها ما لبثت أن خفضتهما ، بعد أن نظرت إليه نظرة  
مستطلعة قاتمة ، كان في نظرتها ما يلاحظ من جد في الأطفال الذين  
إذا بقوا وحدهم مع غريب لا يعرفونه جلسوا في ركن من الأركان ،  
واخذوا من هنالك يلاحظون ، برصانة وحذر ، الضيف الذي لم  
يروه من قبل . ولكن لعل نظرتها كانت تشتمل أيضا على شيء  
آخر ، على فكرة ليست من الطفولة في شيء . فهذا ما بدا  
لفلتشانيوف الذي جاء بها أبوها إليه .

— عمك هذا قد عرف أمك من قبل . كان صديقنا . فلا تخافي ،  
مدبي يدك إليه .

فانحنيت البنت انحناء يسيرة ، ومدت يدها نخجلى .

— لم تشأ ناتاليا فاسيليفنا أن تعلمها كيف تشنى ساقها الى الوراء  
عند التحية احتراماً . . علمتها الطريقة الانجليزية ، وهى أن تحنى  
رأسها قليلا ! وأن تمد يدها .

ذلك ما قاله بافلوفتش لفلتشانيوف .

كان فلتشانيوف يعرف ان صاحبه يلاحظه ويراقبه ، ولكن لم  
يخطر له ببال أن يخفى انفعاله . كان جامدا على كرسيه ، ممسكا  
يد ليزا بيده ، ينظر الى الطفلة بانتباه شديد . ولكن ليزا كانت  
تبدو مشغولة الفكر . لقد تركت يدها في يد الرجل الغريب ،  
ولكنها كانت لا ترفع نظرها عن أبيها ، وكانت تصفى الى كلامه  
خائفة وجلة . تعرف فلتشانيوف على عينيها الواسعتين الزرقاوين على  
الفور ، ولكن ما لفت نظره أكثر من أى شيء آخر هو البياض  
العجيب والنعومة في بشرتها ، ولون شعرها . ان هذه الصفات  
ذات دلالة . أما استدارة وجهها وشكل شفيتها فقد ذكرها بناتاليا  
فاسيليفنا . كان بافل بافلوفتش لا يزال أثناء ذلك يتكلم منذ مدة  
طويلة ، ويظهر أنه كان يتكلم بحرارة وعاطفة . ولكن فلتشانيوف  
كان لا يسمع شيئا ، ولم يدرك الا العبارة الأخيرة :

— . . . لا تستطيع أن تتصور يا الكسى ايفانوفتش الفرح العظيم  
الذى شعرنا به حين أنعم علينا بهذه الابنة . لقد أصبحت ، منذ  
ولادتها ، كل شيء مندى . فكنت أقول لنفسي : إذا شئت ارادة

الله أن تذهب عنى سعادتى الهادئة ، فسوف تبقى لى ليزا . كنت واثقا من دنا على الأقل !

فسأله فلتشانينوف بقوله :

— وناتاليا فاسيليفنا ؟

فانقبض وجه بافل بافلوفتش قليلا ، ثم أجاب :

— ناتاليا فاسيليفنا؟ أنت تعرفها حق المعرفة ، لاشك انك تتذكر انها كانت لا تحب أن تظهر عواطفها كثيرا . ولكن ما كان اروع وداعها لها ، وهى على فراش الموت !.. لقد عبرت عندئذ عن كل شيء ... قلت لك « على فراش الموت » ... ولكنها قبل موتها بيوم واحد ، أخذت تضطرب فجأة وتغضب ... قالت اننا نريد أن نقتلها بهذه الأدوية الكثيرة ، وان كل ما بها حمى بسيطة ، وان طبيبينا لا يفقهان شيئا ، وانها ستنهض من فراشها بعد أسبوعين ، متى عاد كوخ ( هل تتذكره ؟ طبيبنا العسكرى ، العجوز القصير؟ ) . وأكثر من ذلك أيضا انها قبل أن تحتضر بخمس ساعات تذكرت ان عليها بعد ثلاثة أسابيع أن تزور حتما عمتها ، اشبينة ليزا ، بمناسبة عيد ميلادها .

نهض فلتشانينوف فجأة دون أن يترك يد ليزا . لقد بدا له ان فى النظرة المحمومة التى تسدها الى ابيها شيئا من اللوم . قال بصوت موجز غريب :

— ليست مريضة ؟

فأجاب بافل بافلوفتش ، وقد بدا فى وجهه الحزن والهم :

— لا أظن ذلك . ولكن شئوننا تجرى مجرى ... انها طفلة غريبة الأطوار ، عصبية منذ الآن . لقد مرضت على أثر موت أمها أسبوعين ... انها ابنة هستيرية . ومنذ لحظة ، حين دخلت علينا ، كانت تبكى بكاء عجيبا . هل تسمعين يا ليزا ، هل تسمعين ؟ ولماذا كانت تبكى ؟ لأننى أخرج وأتركها وحدها ، ومعنى هذا ، فيما تظن ، اننى لا أحبها كما كنت أحبها أثناء حياة أمها . هذا ما تتهمنى به . انظر الى هذه الاخيلة التى تنبثق فى ذهن بنية ينبغى ألا تهتم الا بألعابها وعرائسها . ولكن ليس هنا أحد يمكن أن تلعب معه .

— ولكن كيف تعمل أنت ؟ .. انتما وحيدان هنا تماما ؟

— نعم ، وحيدان . ان الخادمة لا تأتى الا لخدمة البيت ، مرة

فى اليوم .



— وحين تخرج أنت ، هل تتركها وحدها ؟  
 — وهل أستطيع أن أفعل غير ذلك ؟ حين خرجت أمس ، أقفلت عليها هذه الغرفة : ولهذا السبب انما بكينا اليوم . ولكن ما العمل ؟ احكم في الأمر بنفسك . منذ ثلاثة أيام ، نزلت الى الفناء وحدها ، فرماها صبي بحجر على رأسها . وفي مرة أخرى ، أخذت تبكي ، وتتوسل الى جميع الناس أن يقولوا لها ابن ذهب . وهذا غير لائق طبعاً . أما أنا فأنعم بى ... أخرج لساعة ، ثم لا أعود الا في صباح غد ، كما فعلت أمس . ومن حسن الحظ ان صاحبة البيت استطاعت أن تخرجها اثناء غيابى ، استقدمت قفلاً فتح الباب . انه لعار ! اننى لأشعر أنا نفسى بأن هذه الاعمال أعمال شيطان لا انسان . وكل ذلك لأن رأسى مضطرب . نعم ، الآن رأسى مضطرب .

قالت الصغيرة خائفة قلقة :

— بابا

— عدنا ؟ عدنا ؟ ماذا قلت لك منذ لحظة ؟  
 قالت ليذا وقد تملكها اللدع ، ومدت يديها نحوه بسرعة :  
 — لن أفعل ذلك بعد الآن ، لن أفعل ذلك بعد الآن .  
 عندئذ تدخل فلتشانينوف فى الأمر ، وقد عيل صبره ، فقال بلهجة السيد :  
 — لا يمكن أن تستمر الحال على هذا المنوال . انك رجل غنى ، فكيف تعيش هذه المعيشة ، فى هذا الجناح ، ضمن هذه الظروف ؟  
 — فى هذا الجناح ؟ ولكننا قد نسافر بعد أسبوع ، وقد أنفقنا الى الآن مالا كثيراً ، وهبنى غنيا ...  
 — كفى كفى .

هكذا قاطعه فلتشانينوف ، وقد ازداد نفاد صبره ، وكأنما أراد أن يفهمه ما يلى « لا حاجة الى هذا الكلام . اننى أعرف كل ماتريد أن تقوله وأعرف الهدف الذى تقصد اليه من قوله » . وأردف :  
 — اسمع ، سأقترح عليك هذا الاقتراح : لقد قلت الآن انك ستبقى هنا أسبوعاً ، وربما أسبوعين . أعرف هنا بيتاً هو بيت أسرة كأنها أسرته ، أعرفها منذ عشرين عاماً . رب الأسرة رجل يقال له بوجورلتسييف ، وهو مستشار سرى يمكن أن ينفعك فى قضيتك . والرجل وذووه هم الآن فى الريف ، حيث يملكون فيلا رائعة . ان كلافديا بتروفنا بوجورلتسييف هى لى بمثابة أم ، بمثابة

أخت . وللأسرة ثمانية أطفال . فدعني آخذ ليذا اليهم . ذلك حتى لا نضيع الوقت . سيستقبلونها فرحين ، ويعاملونها كأنها ابنتهم ، خلال هذه المدة كلها ، نعم كأنها ابنتهم . قال بافل بافلوفتش متكلفا وهو ينظر الى عيني فلتشائينوف نظرة مأكرة ، فيما خيل اليه :

— هذا حقا مستحيل .

— لماذا ؟ لماذا مستحيل ؟

— كيف لماذا ؟ أن أترك الطفلة هكذا ، فجأة ، مع صديق مثلك ، فهذا . . . أوافق عليه . . . طبعا . . . أما أن أدعها الأسرة لا أعرفها ، أسرة من الطبقة الراقية . . . فهذا ما أتساءل كيف يمكن أن يقبل ؟ صاح فلتشائينوف شبه حائق :

— ولكنني ذكرت لك أنني قد كنت عند هؤلاء الناس كائن في أسرتي . سيسعد كلافديا بتروفا أن تستقبلها في بيتها ، بكلمة مني ، كأنها ابنتها . تبأ لك . أنك لتعلم حق العلم أنك لا تقول هذا الكلام إلا على سبيل الثثرة . هذا واضح . . . قال ذلك وضرب الأرض بقدمه .

— بل قلت ذلك لأنني أخشى أن يبدو الأمر غريبا . سيكون على أن أذهب لرؤيتها مرة أو مرتين . فما عساهم يقولون حين لا يرون الأب . . . هاها . . . وفي بيت ثرى هذا الثراء . . . صرخ فلتشائينوف يقول :

— أنها أسرة بسيطة ، وليست « ثرية » . . . وقد قلت لك أن لهم ثمانية أولاد . ستنتعش البنية . . . هذا هو السبب . . . سأقدمك اليهم منذ غد إذا شئت . وسيكون من واجبك أن تذهب اليهم للشكر . وسنذهب اليهم كل يوم معا إذا أجيببت . . . مع ذلك . . .

— كفى سخافة ! أنت تعرف أن هذا سخافة . اسمع : تعال الى هذا المساء ، فنقضي الليلة عندي ، ثم نسافر في ساعة مبكرة من الصباح حتى نصل اليهم ظهرا .

قال بافل بافلوفتش :

— يا لك من رجل لطيف ! نقضي الليلة عندي ؟ هذا لطف حقا . ثم سأل وهو يظهر كثيرا من الرقة والتأثر :

— أين تقع الفيلا ؟

— في ليسنوى .

— وملابسها ؟ عند أسرة غنية ... وفي المصيف أيضا ... أنت تعرف ... قلب الأب !

— وما حاجتها الى ملابس أخرى ؟ انها تلبس الآن السواد . هل تستطيع أن تلبس غير هذه الملابس ؟ ان ثيابها مناسبة . كل ما هي في حاجة اليه بعض البياض ومنديل ( الحق ان بياضها والمنديل في غاية الوساخة ) .

أسرع بافل بافلوفتش يقول :

— حالا . ستغير ملابسها فوراً . وسأهنيء لها بياضاً للتبديل . انه في الفسيل ، عند ماريا سيسويفنا .

قاطعته فلتشائينوف يقول :

— يجب اذن ان نستدعى عربة . بأقصى سرعة ان أمكن ذلك . الا ان عقبة ظهرت . لقد اعترضت ليزا على الفكرة . كانت تتابع الحديث مذعورة . ولو أتيح لفلتشائينوف ان ينظر الى وجهها اثناء محاولته اقناع بافل بافلوفتش ، اذن لراى الحزن الشديد الذى كان يعبر عنه هذا الوجه الصغير .

قالت بصوت ضعيف ولكنه جازم :

— لن اذهب .

— هل ترى ؟ هل ترى ؟ انها صورة أمها .

— لا ، لست صورة أمي ، لست صورة أمي !

هكذا صرخت ليزا ، وقد بلغت غاية الحزن والقم ، وهي تمض يديها الصغيرتين ، كأنها تحتج امام أبيها احتجاجاً قوياً على هذا الاتهام الفظيع بأنها تشبه أمها . ثم أضافت :

— اذا تركتني يا أبت ...

وهرعت فجأة نحو فلتشائينوف الذى اصيب بدعـر شديد

— اذا اخذتني ، فسوف ...

ولكنها لم تستطع ان تكمل كلامها ، فقد أمسك بافل بافلوفتش يدها ، وجرها الى الغرفة المجاورة دون ان يخفى حنقه وغيظه . وهناك قام مرة أخرى بهمس وبكاء مخنوق . وهم فلتشائينوف ان يدخل عليهما ، فاذا ببافل بافلوفتش يخرج ، ويقول له بابتسامة مكشـرة ان الصغيرة ستأتى حالا . فحاول فلتشائينوف الا ينظر اليه ، وحول بصره عنه .

دخلت ماريا سيسويفنا ، وهى تلك المرأة نفسها ، التى لقيها وهو يدخل الى الرواق . فوضعت فى حقيبة صغيرة جميلة البياض

الذي جاءت به الى ليزا . وسألت فلتشانينوف :  
 - أنت الذي تأخذ الطفلة ياعم ؟ هل لك أسرة ؟ انك تحسن  
 صنعا ايها العم . انها ابنة دمثة لطيفة . وانك لتنقذها من جحيم .  
 فتمتم بافل بافلوفتش يقول ملجلجا :  
 - ماذا تقولين يا ماريا سيسويفنا .  
 - نعم ، ماذا ؟ ماريا سيسويفنا ! كل الناس يعلمون ان هذا  
 اسمى . اليس جحيما بيتك ؟ هل يليق أن تشهد طفلة تفهم كل  
 شيء ، هل يليق أن تشهد مثل هذه الفضائح ؟ لقد استدعينا لك  
 عربية ياعم . هل السفر الى ليسنوي ؟  
 - نعم نعم

- أتمنى لك سفرا سعيدا .  
 وظهرت ليزا شاحبة اللون ، خافضة الطرف . فتناولت حقيبتها  
 الصغيرة ، دون أن تنظر الى فلتشانينوف . وكبحت نفسها ، فلم  
 تسرع الى أبيها لتعانقه ، كما فعلت منذ قليل ، حتى وهي تودعه .  
 كانت لا تريد أن تنظر اليه . فقبلها بافل بافلوفتش على جبينها  
 باحتشام ، ولعب شعرها . فانمطت شفتا الطفلة لهذه الحركة ،  
 واختلجت ذقتها ، ولكنها مع ذلك لم ترفع عينيها . كان بافل  
 بافلوفتش شاحبا بعض الشيء ، وكانت يداه ترتعشان . ولاحظ  
 فلتشانينوف ذلك ، رغم انه بذل كل ما يملك من جهد حتى لا ينظر اليه .  
 كان لا يريد الا شيئا واحدا ، هو أن يسافر بأقصى سرعة . وكان  
 يقول لنفسه : « لست آثما ، لقد وقع ما كان يجب أن يقع ! »  
 ونزلوا . تعانقت ماريا سيسويفنا وليزا ، ولم ترفع ليزا بصرها  
 الى أبيها بعد أن ركبت العربية . وفجأة ، ضمت يديها ، وانطلقت  
 منها صرخة . ولو لبشت الخيل ثانية واحدة ، لو ثبت ليزا من  
 العربية تسرع نحو أبيها ، ولكن الخيل انطلقت .



- ٦ -

## النزوة الجديدة

سألها فلتشانينوف مدعورا :  
 - أنت مريضة ؟ أتريدين أن أستوقف العربى ، وأن أطلب لك  
 ماء ؟ ..  
 فرمته بنظرة عنيفة حارة تفيض لوما وتقريما . ثم سأله بصوت  
 لاذع متقطع :  
 - الى أين تأخذنى ؟  
 - انها أسيرة لطيفة يا ليزا ، تسكن فى فيلا جميلة جدا . وهناك  
 أطفال كثيرون ، سيحبونك أصدق الحب . انهم أناس طيبون جدا .  
 لا تفضبنى منى يا ليزا . اننى أريد لك الخير ...  
 ما اشد ما كان يمكن أن يبدو غريبا فى هذه اللحظة لأولئك الذين  
 يعرفونه ، لو أتيح لهم أن يروه ! ..  
 - أنت ... أنت .. آه كم أنت شرير !  
 هذا ما قالته ليزا وهى تخفق نسيجها وتحقق اليه بعينها  
 الجميلتين المتقدتين غضبا .  
 - ليزا ، أنا ...  
 - أنت رجل شرير ، شرير ، شرير .  
 طاش عقل فلتشانينوف .  
 - ليزا ، حبيبتى ، لو علمت كيف يحزننى اشد الحزن ...  
 - هل صحيح انه سيأتى غدا ؟ هل هذا صحيح ؟  
 قالت ذلك بلهجة جازمة ، فأجابها :  
 - نعم صحيح ، صحيح . سأتى به أنا نفسى . سأذهب اليه  
 لأنى به .  
 فتمتمت ليزا وهى تخفض بصرها :

— سيخضعنا !

— أهو لا يحبك يا ليزا ؟

— لا يحبني .

— هل كان يسئ إليك ؟ هل كان يؤذيك ؟

فنظرت اليه ليزا نظرة قاتمة مظلمة ، وسكتت . وأشاحت بوجهها مرة أخرى ، وخفضت رأسها باصرار وعناد . وحاول فلتشانيوف أن يقنعها ، فكان يكلمها بحرارة ، وقد استبد به هو نفسه نوع من الحمى . وكانت ليزا تصفي اليه اصفاء شك وحذر وعداوة . ولكنها كانت تصفي اليه . وقد سره انتباهها كثيرا . حتى لقد أخذ يشرح لها ما هو الرجل الذي يشرب . وقال لها انه يحبها ، وانه سيسهر على ايها . رفعت ليزا عينيها أخيرا ، ونظرت اليه بانتباه . قص عليها كيف عرف أمها ، فلاحظ انها تهتم كثيرا بما يقول . وشيئا فشيئا ، أخذت تجيب عن أسئلته ، ولكن اجاباتها كانت حذرة ، بكلمات قليلة ، وبشوع من العناد . اما الأسئلة الهامة فكانت لا تجيب عنها أبدا : كانت تصر على الصمت في كل ما يتصل بعلاقتها بأبيها . وقد تناول فلتشانيوف يدها بيده أثناء الحديث ، ثم لم يتركها ، فلم تسحبها ليزا . ثم ان الطفلة لم تبق صامتة طوال الوقت ، بل أسمعته أخيرا بمبارات غير واضحة انها كانت في أول الأمر تحب أباهما أكثر مما تحب أمها ، لأن أباهما كان في أول الأمر يحبها أكثر مما تحبها أمها ، غير ان أمها ، أثناء موتها ، قد عانقتها عناقا قويا جدا وهي تبكي ، حين خرج كل من كان في الغرفة فبقيتا وحدهما .. وانها تحب الآن أمها أكثر مما تحب أي شيء في العالم ، وانها تزداد حبا لها كل ليلة . غير ان الطفلة كانت في الواقع ذات كبرياء : فلما لاحظت انها تحدثت أكثر مما كان ينبغي ان تتحدث ، اعتصمت بالصمت من جديد . حتى لقد رشقت فلتشانيوف الذي حملها على الكلام ، رشقته بنظرة حاقة . فلما أشرف السفر على نهايته ، كانت عصبيتها قد هدأت بعض الهدوء ، ولكنها أصبحت حالة ذاهلة ، تنظر نظرات وحشية ، ويبدو في وجهها الحزن والعناء . كان يبدو ان اخذها الى اناس لا تعرفهم ولم تذهب اليهم يوما ، ليس هو الفكرة التي تشغل بالها الآن . وان شيئا آخر كان يؤلمها ويعذبها . وقد فهم فلتشانيوف هذا الشيء . أدرك انها تشمر بالخجل والعار، كان يخجلها ان أباهما تركها بمثل هذه السهولة ، كأنه يريد ان يتخلص منها .

قال فلتشانينوف لنفسه : « انها مريضة ، وقد تكون مريضة جدا .. ويل لك ايها السكير الجبان ! اننى افهمك الآن » . واستحث الحوذى على الاسراع . كان يبنى آمالا كبارا على الفائدة التى ستجنيها من الهواء الطلق فى الريف ، ومن الحديقة ، والأولاد ، والحياة الجديدة .. ثم ... أما ما سيحدث بعد ذلك فما كان يشك فيه : ان مستقبلا مشرقا حافلا بالآمال يلوح الآن أمامه . وكان على كل حال ، واثقا من انه لم يشعر يوما بما يشعر به فى هذه اللحظة ... ومن ان الحياة كلها هى هذا فى نظره ! فكان يقول لنفسه بحماسة : « هذا هو الهدف ! هذه هى الحياة ! » . كانت الأفكار تتراكم مزدحمة فى ذهنه ، ولكنه كان لا يتوقف عليها ، وكان يتحاشى التفاصيل باصرار . كان كل شيء يبدو واضحا قويا ، بدون هذه التفاصيل . وارتسمت خطته العامة من تلقاء نفسها فكان يقول لنفسه : « يجب ان تؤثر فى ذلك الشقى بتوحيد قواني . سيترك ليذا عند أسرة بوجورلتسيف ، لفترة معينة يحددها فى أول الأمر ، ثم يسافر وحده ، وتبقى لى ليذا . هذا كل شيء . وماذا يجب اكثر من ذلك ؟ ثم ... انه يرغب هو نفسه فى هذا ... والا فلماذا يعذبها ؟ .. »

وصلت العربية أخيرا . كانت فيلا أسرة بوجورلتسيف تقع حقا فى مكان جميل . ظهر قطيع الأطفال الصاخب على الباب ، وهرع اليهما يستقبلهما أحسن استقبال . ان فلتشانينوف لم يأت اليهم منذ مدة طويلة ، ففرح الأطفال بوصوله فرحا شديدا . كان هنا محبوبا . وصرخ كبارهم ، حتى قبل ان ينزل من العربية ، يسألونه : - الدعوى ؟ ماجرى للدعوى ؟

واستولى الصغار منهم على هذه الجملة ، فأخذوا يرددونها ضاحكين صارخين . كانوا يناكدونه هنا فى موضوع دعواه . ولكنهم ما ان راوا ليذا حتى أحاطوا بها ، وأخذوا يتأملونها ، باستطلاع صامت منتبه هو ذلك الاستطلاع الذى يعرف به الأطفال . ثم جاءت كلافديا بتروفا يتبعها زوجها ، فكانت أول كلمة قالاها هى سؤاله عن الدعوى أيضا .. مع الضحك .

ان كلافديا بتروفا سيدة فى نحو السابعة والثلاثين من العمر ، سمراء ، ممتلئة ، ولا تزال جميلة . وجهها نضر متورد . أما زوجها فهير فى الخامسة والخمسين . وهو رجل ذكى ، واسع الحيلة ، مكر ، ولكنه طيب قبل كل شيء . كان فلتشانينوف يشعر عندهم انه « فى منزله »

حقاً ، على حد تعبيره . وكان لهذا سبب خاص : ان كلافديا بتروفنا قد  
أوشكت ، منذ عشرين عاماً ، أن تتزوج فلتشانينوف الذى لم يكن  
يومئذ الا صبياً ، طالباً . كان الحب الذى نشأ بينهما اول حب لهما  
كليهما . وكان حبا حاراً ، مضحكا هيللاً . ولكنها فى آخر الأمر  
تزوجت بوجورلتسيف . وبعد خمس سنين التقيا من جديد ،  
فقامت بينهما صداقة رائعة هادئة . وقد بقى لهما من ذلك الحب  
مودة كانت تضىء ما بينهما من صلات الصداقة . كان كل شيء  
تقياً لا غبار عليه ، فى ذكريات فلتشانينوف عن ذلك الماضى ، وكان  
فلتشانينوف يحرص على هذا أشد الحرص ، خاصة لأنه ربما  
كان الاستثناء الوحيد فى حياته . . . هنا ، فى هذه الأسرة ، كان  
فلتشانينوف بسيطاً ، ساذجاً ، طيباً . كان يهتم بالأولاد ، وكان  
موقفه صادقاً وصريحاً دائماً ، وقد أقسم الأسرة بوجورلتسيف  
يوماً ليحيى اليهم عاجلاً أو آجلاً ، فيسكن معهم ، ويقيم عندهم  
الى آخر الحياة . وكان يفكر فى هذا الأمر تفكيراً جاداً .

قص عليهم ، تفصيلاً ، كل ما يجب أن يعرفوه عن ليزا . وكان  
حسبه ، على كل حال ، أن يبدى رغبة من الرغبات ، دون الدخول  
فى شروح طويلة . فقبلت كلافديا بتروفنا « اليتيمة » ، ووعدت  
أن تعمل كل ما فى وسعها أن تعمله . واستولى الأطفال على ليزا ،  
وقادوها الى الحديقة تلعب معهم . وبعد حديث حار ، دام نصف  
ساعة ، نهض فلتشانينوف واستأذن . كان شديد نفاد الصبر ،  
فلاحظوا جميعاً ذلك . ودهشوا : لقد طال غيابه عنهم ثلاثة أسابيع ،  
وهاهوذا يتركهم بعد نصف ساعة من وصوله اليهم . كان يضحك ،  
ويحلف ليعودن غداً . فذكروا له أن فى وجهه علائم انفعال شديد .  
فأمسك يدي كلافديا بتروفنا فجأة ، وادعى ان ثمة أمراً هاماً نسى  
أن يحدثها عنه ، وسار بها الى الفرفة المجاورة .

— هل تتذكرين ما افضيت به اليك وحدك ، وما يجهله زوجك  
نفسه ، عن موضوع السنة التى قضيتها فى ت . . . ؟  
— أتذكره تماماً ، فلقد كنت تتحدث عنه أحياناً كثيرة .

— لم اكن اتحدث عنه ، وإنما كنت ابوح لك باعترافات ، لك  
وحده . اننى لم اذكر لك اسم تلك المرأة . فاعلمى الآن انها  
زوجة هذا الرجل ، تروسوتسكى . هى التى ماتت ، وليزا  
ابنتها ، ابنتى !

— أنت واثق من ذلك ؟ السنت مخطئاً ؟



هكذا سألته كلافديا بتروفنا ، منفعلة . فأجابها فلتشانينوف وهو يفيض حماسا :

— لا ، لا ، لست مخطئا أبدا .

ثم قص عليها كل شيء بالايجاز الذى قدر عليه ، وبسرعة مرتعشة . كانت كلافديا بتروفنا واقفة على كل شيء من قبل ، ولكنها كانت لا تعرف اسم السيدة . كان فلتشانينوف يخشى أن يلتقى أحد من معارفه يوما بالسيدة تروسوتسكى ، فيتساءل كيف أمكنه ، هو فلتشانينوف ، أن يحب هذه المرأة ذلك الحب ، فلم يجرؤ أن يكشف عن اسم « هذه المرأة » حتى لصديقه الوحيدة كلافديا بتروفنا .

فلما انتهى من حديثه سألته :

— والاب ، ألا يعرف شيئا ؟

فأجابها بحرارة :

— يعرف ... والشئ الذى يعذبني هو اننى لم أفهم بعد كل شيء . انه يعرف ، يعرف ، لاحظت ذلك أمس واليوم . ولكن يجب أن أفهم ما الذى يعرفه على وجه الدقة . ومن أجل هذا انما أترككم الآن بسرعة . سيجيء فى هذا المساء . على اننى لا أفهم كيف أمكنه أن يعرف ، أن يعرف كل شيء . انه على علم بكل ما يتصل بباجاتوف . لاشك فى هذا . اما انا ؟ لا أدري ! انك تعرفين كيف تستطيع النساء ، فى مثل هذه الأحوال ، أن يقتعن أزواجهن . لو هبط ملاك من السماء ، فلن يصدق الزوج ، بل سيصدق زوجته . لا تهزى رأسك ... لا تدنيني ... لقد حكمت على نفسى بنفسى ، وأدنت نفسى بنفسى ، منذ مدة طويلة ، طويلة جدا ! .. اسمعى : لقد بلغت من قوة الاعتقاد بأنه يعرف كل شيء اننى اتهمت نفسى امامه على وعى وعمد . صدقيني اذا قلت اننى أشعر بكثير من الخجل والعار ، أشعر بأننى ارتكبت وزرا كبيرا ، حين استقبلته أمس ذلك الاستقبال الفظ الغليظ (سأقص عليك هذا فيما بعد، تفصيلا) ! لقد جاء الى أمس ، تدفعه رغبة شريرة خبيثة ، لا تقاوم ، فى أن يفهمنى انه يعرف الاهانة التى لحقت به ، ويعرف اسم الشخص الذى الحقها به . ذلك هو السبب الوحيد لمجيئه القبى ليلا ، نصف سكران . ولكن هذا شيء طبيعى منه ! لقد جاء الى ليربكنى ويشوشنى . فأدرت الأمر كله بحماسة مفرطة ، أمس واليوم . لقد كنت غيبا قليل التروى !

ففضحت نفسي بنفسى . لما اذا ظهر فى لحظة كنت فيها شديد  
العصبية والنزق ؟ هل تعلمين انه كان يسوم ليزا سوء العذاب ؟  
كان يريد ان يذلها . كان يريد ان يصب غضبه ولو على طفلة !  
نعم ، انه الآن هائج . ومهما يكن تافها ، فانه ممتلىء خبثا وشرا .  
انه مهرج ، ما فى ذلك شك ، مع انه كان يبدو فى الماضى ، اقسام  
لك ، انسانا شريفا شريفا ، على قدر ما كان يستطيع ذلك . ولكن  
من الطبيعى ان يرتدى الآن فى احضان الرذيلة . يجب ، يا صديقتى  
العزيزة ، ان ننظر الى هذه الامور كلها نظرة مسيحية . هل  
تعلمين يا عزيزتى ؟ اننى اريد ان اغير موقفى منه تغيرا تاما : اريد  
ان اكون معه دما لطيفا ، وسيكون هذا « عملا طيبا » منى ،  
فيما اعتقد . لانى ، مهما يكن من امر ، قد اسأت اليه ، قد  
اجرمت فى حقه . اسمى . سأعترف لك بشيء آخر . ذات مرة ،  
فى ت . . . احتجت فجأة الى اربعة آلاف روبل : هل تعلمين انه  
اقرضنى هذا المبلغ فورا ، دون ان اوقع له اية ورقة ، نعم ،  
ولقد اسعده كثيرا جدا انه استطاع ان يخدمنى ! نعم ، لقد  
اقترضت منه مالا ، قبلت المال من يديه ، هل تصدقين ؟ لقد  
اقترضت منه مالا كما يقترض صديق من صديقه .

قالت كلافديا بتروفا بشيء من القلق :

— ولكن يجب عليك ان تتروى قليلا . انك الآن شديدة  
الحماسة . وانى لاخاف عليك حقا . صحيح ان ليزا هى الان ابنتى .  
ولسكن لا تزال هناك امور كثيرة تحتاج الى توضيح ! عليك بالتروى  
خاصة ! يجب ان تتصرف بكثير من الحيلة والحذر ، حين تكون  
سعيدا او متحمسا ، كما انت الآن . انك مسرف فى الكرم (اضافت  
ذلك مبتسمة) .

خرج جميع من فى البيت يشيع فلتشانينوف . وجاء الأولاد  
بليزا التى كانت تلعب معهم فى الحديقة . كان يبدو انهم اصبحوا  
ينظرون اليها بمزيد من الحيرة والارتباك . فلما قبلها فلتشانينوف  
امامهم جميعا ، وهو يودعها ويردد وعده حارا بان يأتى مع ابيها  
فى الغد ، فقدت سيطرتها على نفسها . كانت حتى هذه اللحظة  
تنظر اليه دون ان تنطق بكلمة . ولكنها أمسكت الآن بكفه فجأة ،  
وشدته بعيدا ، وهى تتوسل اليه بعينيها . كانت تريد ان تقول  
له شيئا . فسارت به الى الغرفة المجاورة .  
سألها بصوت رقيق مقنع :

— ماذا هنالك ، يا ليزا ؟  
 فألقت حولها نظرات قلقة ، وجرت الى ركن بعيد . كان يبدو  
 انها تريد ان تختفى عن جميع الناس .  
 — ماذا يا ليزا ؟ ماذا ؟  
 وظلت ليزا صامتة ، لم تعزم امرها على الكلام . كانت تحرق  
 اليه بعينيها الزرقاوين ، وكان وجهها الصغير لا يعبر الا عن ذمر  
 مجنون .

ثم تمت كانهما تهذي ، قائلة :  
 — سوف ... يشنق نفسه ...  
 — من سوف يشنق نفسه ؟  
 — هو ... هو ... لقد اراد ان يمقد حول عنقه حبلا هذه  
 الليلة ( قالت ذلك بصوت متمجل ، لاهث ) . رايته بعيني . كان  
 يريد ان يشنق نفسه . قال لي ذلك ! قال لي ذلك ! انه يريد  
 ان يفعل ذلك ، دائما ... رايته في الليل ...  
 فتمتم فلتشانينوف يقول مضطربا :  
 — هذا لا يمكن ...

وفجأة اخذت تقبل يديه . كانت تبكي ، وكان النسيج يخنقها  
 خنقا . وكانت تتوسل اليه ، تتضرع اليه . ولكنه لم يستطع ان  
 يفهم كلماتها المتقطعة . لقد تذكر دائما ، فيما بعد ، النظرة  
 المدمورة في هذه الطفلة المذبذبة . وكانت عينساها المجنونتان من  
 الخوف ، الحدقتان فيه على امل عظيم ، تلاحقانه حتى في أحلامه .  
 كان يتساءل بينه وبين نفسه أثناء عودته الى المدينة ، وقد  
 تملكته الفيرة ، واستبد به الحسد ، ونفذ صبرة ، وضاق ذرعا :  
 « هل يمكن ان تحبه كل هذا الحب ؟ لقد قالت هي نفسها منذ  
 قليل انها تحب امها أكثر مما تحبه ... اف يكون هذا اذن بغضا  
 لا حبا .

ثم ما قصة الانتحار هذه ؟ يشنق نفسه ؟ ما هذا الكلام ؟ هذا  
 الابله يشنق نفسه ؟ .. يجب توضيح كل هذه الأمور ، يجب  
 توضيحها . يجب ان نجد حلا بأقصى سرعة ... حلا حاسما » .

## الزوج والعشيق يقبل أحدهما الآخر

كانت تضطرم في نفسه رغبة عنيفة لا تقاوم ، في «معرفة» الأمر .  
قال في نفسه وهو يتذكر لقاءه الأول مع ليزا : «كنت عندئذ قلقا ،  
لم يتسع وقتي لأدراك الأمر ، أما الآن فيجب أن أعرف كل شيء» .  
وأراد أن يستعجل الأمور فقرر ، وقد نفذ صبره ، أن يذهب الى  
تروسوتسكى رأسا ، ولكنه لم يلبث حتى عدل عن هذا الرأي ،  
قائلا في نفسه : « بل الأفضل أن يجيء هو الى ، وبانتظار ذلك  
سأنهى تلك القضايا اللعينة الكريهة بأقصى سرعة » .

واندفع يعمل محموما ، ولكنه اضطر أن يعترف بأنه في هذه  
المرّة ذاهلٌ مسرف في الذهول ، وان من المستحيل عليه أن يعمل  
في هذا اليوم . وفي الساعة الخامسة ، بينما كان ذاهبا الى المطعم  
ليتناول طعام الغداء ، تراءت له على حين غرة ، لأول مرة ، فكرة  
بدت له مضحكة : ترى اليس يعرقل مجرى الدعوى حقا بتفخيزه  
وكثرة حركته ، وتنقله بين المحاكم ، ومطاردته المحامي الذي كان  
واضحا أنه يتحاشاه ؟

أضحكته هذه الفكرة اضحكا مَرِحًا . وقال في نفسه ، وقد  
ازداد سرورا : « لو راودتني هذه الفكرة أمس ، لأحزنتني حقا » .  
ولكنه رغم فرحه ومرحه ، كان يزداد ذهولا ونفاد صبر ، حتى  
لقد صار أخيرا الى حالة من التشبث . كان فكره القلق يحاول  
أن ينصب على أشياء مختلفة ، دون التركيز على ما كان يهيمه .  
قال لنفسه أخيرا : « اننى في حاجة اليه ، اننى في حاجة الى  
هذا الرجل . يجب أن أحل ألفازه ، وبعدئذ يكون ما يكون .  
انها لمبارزة حقيقية » .

فلما عاد الى البيت في الساعة السابعة لم يجد بافل بافلوفتش،  
فأدهشه ذلك في أول الأمر ثم أغضبه ، ثم ولد فيه شعورا



مرعجا : لقد خاف - « لا يعلم الا الله كيف تنتهي هذه الامور » .  
 ذلك ما كان يردده في نفسه ، وهو يدرع الغرفة جيئة وذهابا  
 تارة ، ويستلقى على اريكته تارة اخرى ، دون أن يغيب بصره عن  
 الساعة في الحالين . وكانت الساعة قد شارفت على التاسعة حين  
 وصل بافل بافلوفتش اخيرا . قال فلتشائينوف لنفسه : « اذا  
 كان هذا الرجل يمكر ، فلن يجد خيرا من هذه الوسيلة لاجراحي  
 عن طوري . اننى مشوش تماما » . ولكنه ما ان خطرت بباله  
 هذه الفكرة حتى شعر فجأة براحة ومرح شديد .

فلما سأل بهجة مرحة : « لماذا تأخرت كل هذا التأخير ؟ »  
 ابتسم ابتسامة متصنعة ، وجلس بشيء من اليسر والسهولة ، على  
 خلاف أمس ، ثم رمى على أحد الكراسي قبعته ذات الشريط  
 الاسود ، رماها بحركة مهمة . لاحظ فلتشائينوف وضعه هذا  
 فورا ، فاستعد .

تبدد الانفعال الذى كان يضطرم في نفسه منذ قليل ، فأخذ  
 يحدثه بهدوء ، دون زيادة في الكلام ، عن سفرته مع ليزا ، فوصف  
 له استقبالهم لها ، وأوضح له ان اقامتها هناك مفيدة  
 لصحتها . وشيئا فشيئا صار لا يتحدث الا عن أسرة بوجورلتسيف ،  
 كأنما هو نسي ليزا : تكلم عن طيبة قلوبهم ، وعن روابط الصداقة  
 القديمة التى كانت تجمعهم بهم ، وعن المركز الخطير الذى يحتله  
 بوجورلتسيف ، عن نفوذه ، عن بشاشته ولطفه ، وعن أشياء أخرى  
 من هذا القبيل . كان بافل بافلوفتش يصفى اليه ذاهلا ، وكان  
 يبتسم في بعض الأحيان ابتسامة مأكرة مستخفة ، ويرميه بين الفينة  
 والفينة بنظرات متخفية .

قال أخيرا وهو يبتسم ابتسامة خبيثة سيئة :

— انت رجل متحمس .

فقال فلتشائينوف مداعبا :

— وانت اليوم رجل لا يطاق .

فانفجر بافل بافلوفتش فجأة ، كأنما حركه نابض ، فقال :

— ولماذا لا أكون سيئا على غرار جميع الناس ؟

لكأنه كان لا ينتظر الا الفرصة ليثب .

فقال فلتشائينوف وهو يبتسم ابتسامة ساخرة :

— لك ما تشاء . انما ظننت ان شيئا وقع لك .

فصاح بافل بافلوفتش كأنه يعتز :

— نعم ، وقع لى شيء .  
— ما هو ؟

فتأخر بافل بافلوفتش عن الإجابة لحظة ، ثم قال :  
— أيضا ... صاحبنا ستيفان ميخائيلوفتش ... باجاوتوف ،  
هذا الرجل الأنيق من رجال بطرسبرج ، هذا السيد المهدب من  
سادة المجتمع الراقى .

— مرة أخرى ... لم يستقبلوك ؟  
— بل استقبلونى ... سمحوا لى بالدخول عليه لأول مرة .  
فاستطعت أن أنظر الى وجهه ، وأن أتأمل قسماته .. ولكن  
قسماته كانت قسمات ميت ! ..  
— كيف ؟ مات باجاوتوف ؟

سأل فلتشائينوف هذا السؤال دهشا ، رغم انه ليس ثمة ما  
يحمل على الدهشة جملة .

— نعم ، صديقنا القديم المخلص ! لقد مات أمس فى الظهيرة ...  
لم أكن أعرف عن ذلك شيئا ... ولعلنى فى تلك اللحظة انما ذهبت  
أسأل عنه . الدفن غدا . هو الآن فى التابوت المزدان بالمخمل الأحمر  
الموشى بصفائر الذهب ... مات بالحمى الحارة . نعم ، لقد سمحوا  
لى بأن أدخل عليه ، وأن أتأمل ملامحه . قات لهم انه يعدنى  
صديقا حميما ، فقبلوا أن أدخل . ولكن قل لى : ما هذا  
« المقلب » الذى دبره لى هذا الصديق العزيز القديم ؟ لعلنى لم  
اقم بهذه الرحلة الى بطرسبرج الا لأراه ، فكيف مات قبل أن أراه ؟  
— ليس لك أن تفضب . انه لم يفعل ذلك عمدا .

— أقول هذا لأننى آسف حزين على الصديق الممتاز .. هل  
تعرف ماذا كان بالنسبة الى ؟

سأل بافل بافلوفتش هذا السؤال ، ثم رفع اصبعيه فجأة ،  
بحركة غير منتظرة ، فنصبهما على جبينه الأصلع ، كأنهما قرنان ،  
وضحك ضحكة صامتة طويلة . وظل على هذه الحال ، ضاحكا ،  
بقرنين مدة نصف دقيقة ، وهو يسدد الى فلتشائينوف نظرة صامدة  
فيها نوع من الوقاحة المظفرة . فتجمد فلتشائينوف ، كأنه أمام  
شبح . ولكن أساء هذا لم يدم الا لحظة قصيرة ، ثم طافت  
فى شفثيه ابتسامة ساخرة هادئة تشبه أن تكون وقحة . وسأله  
دون مبالاة ، وهو يجزى الكلام جرا :

— ما معنى هذا ؟

فأجاب بافل بافلوفتش بخشونة ، وهو ينزل أخيرا أصبعيه :  
- هذان قرنان ؟

- قرناك أنت ؟

- نعم قرناي أنا ، حصلت عليهما عن جدارة !  
قال بافل بافلوفتش ذلك ، ثم ابتسم مرة أخرى ابتسامة خبيثة .  
وصمت الرجلان .  
قال فلتشائينوف :

- انك لشجاع .

- لماذا ؟ الأننى أظهرتك على هذين القرنين ؟ اسمع يا الكسى  
ابفانوفتش ، الأفضل أن تقدم لى شيئا ما ... لقد استقبلتك  
وأطعمتك فى ت ... خلال سنة برمتها ، أطاب لنا زجاجة . لقد  
جف حلقى .

- بسرور ... كان يتبقى لك أن تقول هذا منذ مدة . ماذا تريد  
أن تشرب ؟

- بل قل ماذا نريد أن نشرب . سنشرب معا ، أليس كذلك ؟  
قال بافل بافلوفتش هذا وهو ينظر إليه نظرة تحمل معنى التحدى ،  
ولكنها تشتمل أيضا على قلق غريب .  
- شمبانيا ؟

- وهل ثمة غيرها ؟ اننا لم نصل بعد الى الكحول .  
فنهض فلتشائينوف بلا اسراع ، وقرع الجرس لمافرا ، وألقى  
إليها ببعض الأوامر .

قال بافل بافلوفتش يحاول أن يمزح دون أن يظفر بذلك :  
- سنشرب تكريما للقائنا السعيد بعد فراق تسع سنين . أنت  
الآن ، أنت وحدك صديقى الحقيقى . لقد مات ستيفان  
ميخائيلوفتش باجاوتوف . وكما يقول الشاعر :  
نعم قد مات « باتروكل » العظيم

ولكن عاش « ترسيت » اللئيم

ذكر اسم « ترسيت » وهو يشير بأصبعه الى نفسه .  
قال فلتشائينوف يخاطبه بينه وبين نفسه : « هيا ، أيها الحيوان ،  
هيا اكشف عما فى نفسك . اننى لا أحب التاميع » كان الغضب  
يغلى فيه ، حتى لقد أصبح منذ مدة لا يستطيع كظم غيظه . قال :  
- ولكن قل لى ، اذا كنت تتهم ستيفان ميخائيلوفتش هذا  
الاتهام ( أصبح لا يسميه الآن باجاوتوف ، بلا كلفة ) ، فلا بد أن

يسعدك ان من الحق بك الالهانة قد مات. فما الذى يسوؤك اذن ؟  
 - لماذا لا بد ان يسعدنى موته ؟ اى سعادة هذه ؟  
 - اننى اقضى فى الأمر وفقا لعواطفك .  
 - ها ها ... انك اذن مخطيء فى معرفة عواطفى . قال احد  
 الحكماء : «موت عدوك نعمة ، وبقاؤه على قيد الحياة نعمة اكبر» .  
 ها ها ها ...  
 - ولكنك رايت حيا خلال خمس سنين ، رايت كل يوم ، فيما  
 اظن ، فأتيج لك ان تتأمله مليا .  
 قال فلتشانيوف ذلك بخبث ووقاحة .  
 فانفجر بافل بافلوفتش فجأة ، كأنما حركة نابض مرة أخرى ،  
 فقال بشيء من الفرح ، كأن السؤال الذى كان ينتظره مدة طويلة  
 قد طرح عليه أخيرا :  
 - ولكن هل كنت ايامئذ أعرف الأمر ؟ من تظننى اذن يا الكسى  
 ايفانوفتش ؟  
 والتمع فى نظره تعبير جديد ، غير متوقع ، وتبدل وجهه الذى  
 كانت تعقفه الى ذلك الحين كثرة سيئة خبيثة ، تبدل تبديلا تاما .  
 فقال فلتشانيوف متحيرا وقد بلغ غاية الانشدهاء :  
 - كيف ؟ هل يعقل انك كنت لا تعرف شيئا ؟  
 - أعرف شيئا ؟ أعرف هذا الأمر ؟ آه منكم انتم يا سلالة  
 جوبيتر ! الانسان فى نظركم كلب لا اكثر . انكم تنظرون الى جميع  
 الناس بمنظار طبيعتكم الصغيرة المسكينة ! هذا انتم ...  
 قال بافل بافلوفتش ذلك ، وضرب المائدة حائقا . ولكن حركته  
 هذه ما لبثت ان اخافته ، فاذا هو يلقي نظرة وجلة .  
 وانتصب فلتشانيوف :  
 - اسمع يا بافل بافلوفتش ، سيان عندي ان تكون واقفا على  
 الأمر عندئذ أو غير واقف . وعلى كل حال ، فانه لشرف لك الا  
 تكون عالما بالأمر ، رغم ان ... ولكننى لا افهم لماذا اخترتنى انا  
 نجيا تفضي اليه بأسرارك .  
 تمتم بافل بافلوفتش ، وهو مطرق الى الأرض :  
 - ما قصدتك أنت ... لا تفضب ... ما قصدتك أنت .  
 ودخات مافرا تحمل الشمبانيا .  
 فهتف بافل بافلوفتش يقول وقد أسعده هذا التحول عن  
 الموضوع :



— هذه هي الشهبانيا ! هات كئوسا ، ياعمة ، هات كئوسا .  
عظيم . لسنا في حاجة الى شيء آخر ، يا عزيزتي . ها ، والزجاجة  
مفتوحة أيضا ! عظيم ، عظيم ، أنت أنسنة رائعة . والآن امضي  
الى سبيلك ! ..

فلما استرد رباطة جاشه ، عاد فنظر الى فلتشانيوف نظرة  
وقحة . ثم قال فجأة بلهجة متضاحكة :

— ولكن عليك أن تعترف بأن هذا كله يهيك كثيرا ، وبأنك لست  
تقف منه موقف من لا « يباليه » ولا يحفل به ، كما تفضلت  
فزعمت . وأنا على يقين أنك ستستاء إذا أنا قمت في هذه اللحظة  
ومضيت دون أن أشرح لك شيئا .

— حقا ، لن استاء أبدا .  
فابتسم بافل بافلوفتش ابتسامة تقول : « أنت تكذب ! » .  
— فلنبدا .

قال ذلك ، وملا القدحين خمرًا ، ثم رفع كأسه وقال :  
— فلنشرب ، فلنشرب نخب ذلك الصديق المسكين ستيفان  
ميخائيلوفتش الذي توفاه الله الى رحمته .  
وشرب .

فقال فلتشانيوف وهو يرجع كأسه الى المائدة :

— لا أقبل نخبًا كهذا . لن أشرب .  
— لماذا ؟ انه لنخب لطيف .  
— قل لي ، ألم تكن سكرانا حين دخلت الى هنا ؟  
— كنت قد شربت قليلًا في الواقع . ولكن لماذا تسألني هذا  
السؤال ؟

— لا شيء . ولكن خيل الى أمس ، وهذا الصباح خاصة ،  
انك كنت حزينا حزنا صادقا على المرحومة ناتاليا فاسيليفنا .  
— ومن قال لك انني لست حزينا عليها الآن ؟  
قال بافل بافلوفتش ذلك فانتصب فلتشانيوف فجأة ، كما في  
المرّة السابقة :

— لا أعني هذا . ولكن يجب أن نسام بأن من الممكن أن تكون  
مخطئا في حق ستيفان ميخائيلوفتش ، وهذا أمر خطير كل الخطورة .  
فابتسم بافل بافلوفتش ابتسامة مأكرة ، وطرفت عينه .  
— ها ... انك تريد أن تعرف كيف استعظمت أن أقف على  
الحقيقة فيما يتصل بـ ستيفان ميخائيلوفتش !  
فاحمر وجه فلتشانيوف ، وقال :

— اكرر ان هذا الامر لا يعنينى .  
 ثم تساءل بينه وبين نفسه حائقا : « ماذا لو طردته هو  
 وزجاجته ؟ » وازداد وجهه احمرارا .  
 قال بافل بافلوفتش ، كأنه يريد ان يشجعه :  
 — لا بأس ، لا بأس .  
 ثم صب قدحا آخر ، وأردف يقول :  
 — سأذكر لك كيف علمت بكل شيء ، فأرضى بذلك أعنف ما  
 فى نفسك من رغبات حارة . . . ذلك أنك رجل عنيف حار ، يا الكسى  
 ايفانوفتش ، عنيف حار الى اقصى حدود العنف والحرارة . . .  
 ها ها . . . ولكن اعطنى سيجاره ، لآتى منذ شهر آذار . . .  
 — هذه سيجارة .

— لقد انحدرت الى الفجور والانحلال منذ شهر آذار يا الكسى  
 ايفانوفتش . واليك كيف حدث ذلك . اصغ الى قليلا . ان السل ،  
 كما تعلم ، ايها الصديق العزيز جدا ( اخذ بافل بافلوفتش يرفع  
 الكلفة شيئا فشيئا ) مرض عجيب . انه ليتفق كثيرا للمسلول ان  
 يموت دون ان يدور فى خلده ، دون ان يخطر بباله انه لن يكون غدا  
 على قيد الحياة . قلت لك ان ناتاليا كانت تستعد ، قبل موتها  
 بخمس ساعات ، لزيارة عمتها بعد اسبوعين ، فى بلدة تبعد عنا  
 اربعين كيلومترا . ولعلك تعرف من جهة أخرى، تلك العادة او ذلك  
 الهوى لدى كثير من السيدات والسادة ، أعنى ذلك الحرص على  
 الاحتفاظ بجميع الأشياء القديمة المتصلة بالمراسلات الغرامية .  
 الأسلم من ذلك طبعا ان يرمى للراء هذه الأشياء فى النار ، الست  
 على حق ؟ ولكنهم لا يفعلون هذا ، بل يحتفظون بكل خرقة ورق  
 فى عليهم ، فى صناديقهم ، ويصنون بذلك أشد العناية ، حتى لقد  
 يرقمونها على حسب السنة ، والتاريخ ، ويصنفونها . قد يجدون  
 فى ذلك شيئا من العزاء والسلوى ، لا أدرى . وبسكنى اظن انهم  
 يفعلون ذلك لتجديد ذكريات ممتعة سعيدة . على كل حال ، حين  
 كانت ناتاليا فاسيليفنا ، قبل موتها بخمس ساعات، تستعد للسفر  
 قريبا الى عمتها ، لم يكن يخطر لها على بال ان نهايتها قريبة ،  
 وذلك حتى آخر لحظة ، بل كانت لا تزال تنتظر عودة الدكتور  
 كوخ . حدث اذن ان ماتت ناتاليا فاسيليفنا ، فبقى صندوقها  
 الصغير المصنوع من خشب أسود ، والمرصع بالفضة والصدف ، بقى  
 فى مكتبها . انه صندوق صغير جميل يقفل بمفتاح ، تملكه أسرته

منذ مدة طويلة ، وقد انحدر اليها من جدتها . نعم ، الى هذا الصندوق يرجع الفضل في اكتشاف كل شيء ، كل شيء ، دون استثناء ، يوما يوما ، سنة سنة ، منذ عشرين عاما ، وبما أن ستيفان ميخائيلوفتش كان يهوى الأدب ، حتى أنه أرسل الى إحدى المجلات ذات يوم قصة مؤثرة جدا ، فقد كان الصندوق يضم مائة رسالة من انتاجه ، في اقل تقدير . . . انتاج خمس ستين . وكان ثمة رسائل عليها تعليقات ناتاليا فاسيليفنا . هل هذا شيء يسر الزوج ؟ ما رأيك ؟

استجمع فلتشائينوف ذكرياته بسرعة ، فتذكر أنه لم يكتب الى ناتاليا فاسيليفنا في حياته رسالة ، حتى ولا بطاقة . صحيح أنه أرسل رسالتين من بطرسبرج ، ولكنه أرسلهما الى الزوج ، كما اتفق على ذلك . وهو لم يرد على الرسالة الأخيرة التي بعثت بها اليه تصرفه عنها الى الأبد .

لما ختم بافل بافلوفتش قصته ، سكت خلال دقيقة كاملة ، وهو يتسهم ابتسامة ملحاحة ، وكان كأنه ينتظر جوابا . فلما لم يجب فلتشائينوف سألته بألم ظاهر :

— لماذا لم تجبني عن سؤالى الصغير ؟

— أى سؤال ؟

— سؤالى عن المشاعر التي يحسها الزوج حين يكتشف صندوقا من هذا النوع .

— هو . . . ما لى ولهذا ؟

قال فلتشائينوف ذلك ، وهو يحرك يده متبرما ، ثم نهض وأخذ يمشى في الغرفة ذهابا وإيابا .

— أراهن على أنك تقول لنفسك الآن : « ما هذا الخنزير الذي يقص على ما لطنع شرفه من عار ؟ » ها ها ها . . . أنك تظهر الأسمزاز ، أنت ! . . .

— لا يخطر ببالى شيء من هذا . بالعكس ، لقد أحزنك موت الرجل الذي أساء إليك ، ثم أنك قد شربت فأسرقت . لست أرى في هذا كله شيئا عجيبا ، وأنتى لأفهم حق الفهم ما كنت تبشعر به من حاجة الى أن يكون باجاوتوف على قيد الحياة . أنتى أحترم حنقك ، ولكن . . .

— ولماذا كنت فى حاجة الى باجاوتوف ، فى رأيك ؟

— هذا شأنك .

- أراهن أنك فكرت في مبارزة ؟  
هنا صرخ فلتشائينوف وقد ضاق ذرعا ، وأصبح أعجز عن كبح جماح نفسه :
- ما هذا السخف ! كنت أظن أن كل إنسان شريف ، لا يسمح لنفسه ، في مثل هذه الحالات ، بشرثرات مضحكة ، وتكشيرات غبية ، وتلميحات سيئة تزيد اتساخا ، وإنما يتصرف تصرفا صريحا ، واضحا ، كما يليق ذلك برجل شريف !
- ها ها ها ... ولكن قد لا أكون رجلا شريفا !
- أعود فأقول : هذا شأنك . ولكن ما عسى أن تكون اذن حاجتك الى رؤية باجاوتوف ؟
- لم أقصد الى رؤية هذا الصديق العزيز ، إلا للاعجاب به .
- كان يمكن أن نفتح زجاجة فنستمع بشربها معا !
- لم يكن ليقبل أن يشرب معك !
- لماذا ؟ ألما تقضيه النبالة ؟ (١) . ألم تشرب معي أنت ؟
- أهو خير منك ؟
- لم أشرب .
- من أين جاء هذا الصلف المبالغ ؟
- أخذ فلتشائينوف يضحك ضحكا عصبيا ، ثم قال :
- تبا لك . أنك حقا « إنسان ضار » . كنت أحسب أنك لست إلا « زوجا أبديا » ، لا أكثر من ذلك .
- قال بافل بافلوفتش وهو يصيح بسمعه :
- ماذا تعني بقولك « زوج أبدي » ؟ من هو « الزوج الأبدي » ؟
- نموذج من نماذج الأزواج . هذا أمر يطول شرحه . دعنا من هذه الأمور ، فذلك خير . ثم لقد آن الأوان ، أننى سئمت منك .
- وماذا تعني بقولك « ضار » ؟
- قلت أنك « إنسان ضار » على سبيل المزاح والدعابة .
- من هذا « الإنسان الضار » ؟ أشرح لى ذلك يا الكسى
- أيفانوفتش ، أرجوك ، ناشدتك الله ، بل ناشدتك يسوع المسيح !
- يكفي هذا ! أن لك أن تذهب . هيا اذهب .
- قال فلتشائينوف ذلك بلهجة جازمة غاضبة .
- فصاح بافل بافلوفتش ، وهو يهبط :
- ... هذا لا يكفي . هبنى أضايقتك ، فأننى لم أكتف بعد .

(١) بالفرنسية فى الاصل .



ان علينا أولا أن نشرب معا وان ندق الأقداح . فلتشرب ، ومن ثم اذهب . اما الآن فهذا لا يكفي .

— بافل بافلوفتش ، ستذهب ، ستذهب الى الشيطان ؟  
— يمكن أن اذهب الى الشيطان ، ولكن يجب أولا أن نشرب .  
لقد قلت لي صراحة أنك لا تريد أن تشرب معي ، ولكنني أنا أريد أن تشرب معي .

أصبح لا يجعد وجهه ، ولا يسخر . ان شيئا فيه قد تبدل فجأة . تغير وجهه ، وتغير لهجته ، تغير أكبرا انشده له فلتشانينوف .  
— نعم ، يا الكسي ايفانوفتش ، يجب أن نشرب .  
قال بافل بافلوفتش ذلك ، وهو يمسك بيد صاحبه ، وينظر الى وجهه نظرة غريبة . كان واضحا ان الشيء الذي يهمله ليس هو هذا القدح من الخمر ...

فتمتم فلتشانينوف متجلجا يقول :  
— نعم ... ممكن ... طيب ... سأشرب ... ولكن ليس هذا بالخمر ...

— لم يبق الا كأسان ، صحيح انه ليس بالخمر الجيد ...  
ولكننا سنشرب وسندق الأقداح . خذ ، هذا كأسك !  
دقا قدحيهما أحدهما بالآخر ، وشربا .

— نعم ، هكذا اذن ، هكذا اذن . آه !  
قال بافل بافلوفتش ذلك ، ووضع يده على جبينه ، وظل على هذه الحال بضع لحظات . تراءى لفلتشانينوف أنه يهم أن يقول شيئا حاسما . ولكن بافلوفتش لم يقل شيئا ، بل نظر اليه ، وابتسم ابتسامة عريضة صامتة ، هي الابتسامة الماكرة الفائضة بالكنائيات التي طاقت في وجهه قبل ذلك . فثارت ثائرة فلتشانينوف ، وضرب الأرض بقدمه ، وصرخ :

— ماذا تريد مني أيها السكر اللعين ؟ اتهازا بي ؟ اتضحك علي ؟  
فأسرع الآخر يهدئه بحركة من يده قائلا :  
— لا تصرخ ، لا تصرخ ! فيم الصراخ ؟ انني لا أهزا بك ، ولا أضحك عليك . لا . هل تعلم ماذا أنت الآن بالنسبة الي ؟  
قال ذلك ، ثم تناول يده فجأة ، وقبلها . فجمد فلتشانينوف من الدهشة .

— هذا أنت بالنسبة الى الآن ! والآن اذهب ، لا اذهب الى الشيطان ! بل الى جميع الشياطين !

هتف فلتشائينوف ، وقد فاء الى نفسه :

— انتظر ، انتظر . نسيت ان اقول لك ...

فالتفت بافل بافلوفتش ، وكان قد وصل الى الباب .

دمدم فلتشائينوف يقول بسرعة ، وقد احمر وجهه :

— يجب ان تذهب في غد حتما الى أسرة بوجورلتسيف ...

تعرف اليهم ، وتشكرهم . يجب ان تذهب اليهم حتما ...

— نعم ، حتما . افهم ذلك حق الفهم .

قال بافل بافلوفتش هذا بسرعة كبيرة ، وهو يحرك يده حركة موجزة معناها ان ذلك امر مفروغ منه ، ولا داعي الى تذكيره به .

— زد على ذلك ان ليزا تنتظرك بصبر فارغ ، لقد وعدت ..

فعاد بافل بافلوفتش ادراجه وقال :

— ليزا .

ثم هتف فجأة وكأنه خرج عن طوره :

— هل تعرف ماذا كانت ليزا بالنسبة الى ؟ وماذا هي الان بالنسبة الى ؟ نعم ، ماذا كانت وماذا هي الان ؟ ولكن ... هه هه ... سأحدثك عن هذا فيما بعد . كل هذا سأحدثك عنه فيما بعد . والان ، يا الكسى ايفانوفتش ، ليس يكفينى اننا شربنا معا ، وانما اريد ايضا لذة اخرى .

ثم صاح بافل بافلوفتش مرة اخرى ، باندفاعة سكرى ، وعينين متقدتين :

— نعم، الان، الان... اليك ما اريد ان اقله لك . لقد تساءلت منذ برهة بينى وبين نفسى : « كيف ؟ هو ايضا !.. اذا كان هو ايضا ، فمن يجب اذن ان اصدق ؟.. » .

قال بافل بافلوفتش ذلك ، واخذ يبكى .

— هل فهمت الان أى صديق أنت بالنسبة الى ؟

قال ذلك ثم هرب ، وقبعته بيده .

ظل فلتشائينوف ساكنا بضع لحظات ، فى وسط الغرفة ، كما حدث عند الزيارة الاولى .

« انما هو مهرج سكران ، لا أكثر ! » .

قال فلتشائينوف هذا ، وحرك يده حركة احتقار .

وحين خلع ملابسه واستلقى على سريره ، ردد يقول مرة اخرى :

« نعم ، ليس أكثر من ذلك » .

- ٨ -

### ليزا مريضة

في صباح الفد كان فلتشائينوف يسير في غرفته جيئة وذهابا ، ويحتسى قهوته جرعات صغيرة ، ويدخن ، بانتظار وصول بافل بإقلافتش الذي وعد أن يأتي في الموعد المضروب للذهاب إلى أسرة بوجورلتسيف . كان فلتشائينوف يحس أثناء ذلك احساسا واضحا بأنه أشبه بانسان يستيقظ في الصباح فيتذكر أنه قد صفع في الليلة البارحة .

قال لنفسه مدعورا : « انه يفهم الوضع تماما ، وسينتقم مني متوسلا بليزا » .

وانبثقت في ذهنه الصورة الناعمة الحزينة ، صورة الطفلة البائسة . فلما تصور انه سيري قريبا ، بعد ساعتين ، عزيزته ليزا أخذ قلبه يخفق خفقانا سريعا . قال في نفسه متحمسا : « لاجدال في هذا ... انها حياتي وهدف وجودي . ما قيمة تلك الصفعات ، ما قيمة تلك الذكريات ؟ فيم أنفقت حياتي إلى الآن ؟ لم تكن حياتي حتى اليوم إلا فوضى وحزنا .. أما الآن فستجرى الأمور مجرى آخر ، مجرى مختلفا عن هذا المجرى كل الاختلاف ! » . ولكنه ، رغم حماسه هذه ، كان يزداد هما .

« سيعذبني ، متوسلا بليزا ، ذلك واضح . وسيعذب ليزا أيضا . بهذا سينتقم لنفسه من كل شيء ! .. لا أستطيع طبعاً أن أسمح له بعد الآن بتكرار ما فعله أمس ... » .

قال فلتشائينوف ذلك لنفسه ، وأحمر وجهه . « انه ، مع ذلك ، لم يأت حتى الآن ، وقد شارقنا على الظهر » . انتظر مدة طويلة ، حتى الثانية عشرة والنصف ، وكان قلقه يشتد . ثم رأودته مرة أخرى تلك الفكرة التي ساورتها منذ برهة ، وهي ان صاحبه سيتعمد ألا يجيء ، لايستأنف خطته التي استعملها

أمس ، فخرج عن طوره : « انه يعرف اننى رهن به . ما الذى سيحدث الآن لليزا ؟ وكيف أقابلها دون أن يكون معى ؟ » .  
 وأخيرا ، لم يستطع أن يحتمل أكثر مما احتمل ، فأسرع الى بوكروف . فقبل له فى الفندق أن بافل بافلوفتش لم يقض ليلته فى بيته ، وأنه لم يرجع الا فى الصباح ، وأنه عاد فخرج بعد ربع ساعة . كان فلتشائينوف واقفا قرب الباب يستمع الى شروح الخادمة ، ويدير قبضة الباب آليا يحاول فتحه . فلما ثاب الى نفسه ، ابتعد عن الباب ، وطلب أن يقاد الى ماريا سيسويفنا . ولكن ماريا سيسويفنا جاءت من تلقاء نفسها حين علمت بوجوده . انها امرأة طيبة ممتازة ، ذات « عواطف نبيلة » ، على حد تعبير فلتشائينوف فى وصفها حين نقل حديثها الى كلافديا بتروفنا بعد ذلك .

سألته ماريا سيسويفنا عن اقامة « الصغيرة » أولا ، ثم اخذت تقص عليه ما تعرفه عن بافل بافلوفتش . قالت : « لولا وجود هذه الطفلة لطرده من البيت منذ مدة طويلة . وقد سبق أن طرد من الفندق بسبب فضائحه . اليس عارا أن يأتى ببغايا الى بيته فى الليل ، فى حين أن هناك طفلة تفهم كل شيء ؟ كان يقول لها صارخا : ستكون هذه أمك اذا شئت أنا ذلك . نعم . وصدقنى اذا شئت : انها طفلة ، ولكنها بصقت فى وجهه . فصرخ : « لست ابنتى ، انت بنت زنا » .

صاح فلتشائينوف مدعورا :

— ماذا تقولين ؟

— سمعته يقول لها ذلك بأذنى . صحيح انه كان ثملا ، خارجا عن طوره ، ولكن أمورا كهذه لا يمكن أن تقال أمام طفلة . انها لا تزال صغيرة ، ولكن عقلها يعمل ، وهى تفهم . انها تبكى . انها تتألم . ومنذ بضعة أيام وقعت فى فناء البيت مصيبة : كان مفوض فى الشرطة قد استأجر غرفة فى المساء ، فاذا هو يشنق نفسه فى الصباح . يقال انه كان قد سرق الخزينة . وأسرع جميع الناس ، ولم يكن بافل بافلوفتش فى البيت ، وما كان أحد يراقب الطفلة . فماذا رايت ؟ رايت الطفلة واقفة فى الدهليز مع جمهور الناس ، وهى تنظر الى المشنوق نظرة غريبة . فأمسكت يدها ، وأرجعتها . فهل تعرف ما الذى وقع لها ؟ أخذت ترتعش ، واسود وجهها ، فما أن وصلت بها الى غرفتها حتى سقطت على الأرض ، وأخذت



تتشنج . ولم استطع أن أعيدها الى وعيها الا بعد عناء كبير . ومنذ ذلك الحين أصبحت مريضة دائما . ولما عاد ، هو ، وعلم بالامر ، اخذ يقرصها في كل جزء من اجزاء جسمها ، ذلك انه لا يضربها في العادة ، بل يقرصها قرصا . ثم سكر ، واخذ يخيفها ، قال لها : « سأشلق نفسي أنا أيضا ، بسببك أنت ، هذا هو الحبل الذي سأشلق نفسي به ، حبل الستارة » . واخذ يعقد الحبل أمامها . أصبحت الطفلة كالمجنونة ، فكانت تصرخ ، وتحيطه بذراعيها الصغيرتين ، قائلة : « لن أفعل ذلك بعد الآن ، لن أفعل ذلك بعد الآن ! » . كانت رؤيتها تثير الشفقة والرحمة !

كان فلتشائينوف يتوقع كل شيء ، ومع ذلك فقد بلغ من شدة الدهشة عند سماع هذه القصص انه لم يشأ أن يصدقها . واستمرت ماريّا سيسويفنا تتحدث . قالت : وفي ذات مرة أوشكت الطفلة أن ترمي بنفسها من النافذة ، لولا اننى كنت هناك .

خرج فلتشائينوف من الفندق ، يتمايل كأنه سكران ، ويردد قائلا : « سأقتله كما يقتل كلب ، سأقتله ضربا بالعصا على رأسه » .

وركب عربة ، وأمر السائق أن يذهب الى أسرة بوجورلتسيف . كانت العربة لا تزال في المدينة ، حين اضطرت الى الوقوف عند أحد المنعطفات ، قرب الجسر ، على القناة ، بسبب جنازة تمر . كان قد توقف الناس وتوقفت العربات ، على جانبي الجسر . انه لما تم غنى كل القنى . ان العربات طابور طويل . وفجأة ، لمح فلتشائينوف في باب إحدى العربات ، وجه بافل بافلوفتش . وما كان له أن يصدق عينيه لولا أن بافل بافلوفتش الذى أخرج رأسه من باب العربة ، قد حياه مبتسما ، وكأنما أسعده كثيرا أن يلقى فلتشائينوف ، حتى لقد حرك له يده بإشارة صداقة ومودة . فقفز فلتشائينوف من عربته ، واستطاع رغم الازدحام ورغم الشرطة ، ورغم أن عربة بافل بافلوفتش كانت قد دخلت الجسر ، استطاع أن يتسلل حتى وصل الى باب العربة . كان بافل بافلوفتش وحده . هتف يسأله :

— ما الذى وقع لك ؟ لماذا لم تجيء ؟ ما وجودك هنا ؟

— أقوم بأمر واجباتى ! لا تصرخ ! لا تصرخ ! اننى أقوم بأمر واجباتى ! أرافق صديقى الرائع ستيفان ميخائيلوفتش الى مقره الأخير !

قال بافل بافلوفتش ذلك وهو يضحك ضحكة خبيثة ، ويفمز بعينه .

فصرخ فلتشانينوف بصوت أعلى ، بعد أن بهت لحظة :  
 - هذا مستحيل ... كل هذا ... أيها السكر ، أيها المجنون !  
 انزل حالا ، تعال معي ، حالا .  
 - لا أريد ... ان الواجب ...  
 فزار فلتشانينوف يقول :  
 - ان لم تنزل ، شددتك بالقوة ...  
 - وأنا سأستدعي ، سأستدعي ...  
 كان بافل بافلوفتش يقول هذا الكلام ، وهو يزداد اغراقا في الضحك ، كأن الأمر مزاح ، ولكنه كان مع ذلك يزداد اندساسا في ركن العربة .

- انتبه ! ستدهس ...  
 بهذا صاح الشرطي .

وفعلا ، مرت في تلك اللحظة عربة ليست من الموكب ، فاخترقت الموكب ، وحدثت في الجمهور بعض الفوضى والاضطراب . فاضطر فلتشانينوف أن يتنحى ، فجاءت عربات أخرى فأبعدته أكثر من ذلك ، فبصق من شدة الغيظ وعاد الى عربته .  
 ثم قال لنفسه قلعا مبهوتا : « على كل حال » ، ما كان لي ان أخذه معي ، وهو على هذه الحال » .

وحين نقل الى كلافديا بتروفنا ما قصته عليه ماريا سيسويفنا ،  
 وحين أخبرها بلقائه لبافل بافلوفتش ، اطرقت تفكر ، ثم قالت له : « اننى خائفة عليك . يجب ان تقطع كل صلاتك به ، والسرعة في هذا أولى » .

فهمت فلتشانينوف يقول بحماسة :

- ما هو الا مهرج سكير ... لا أكثر من ذلك . أنا اخاف منه؟ وكيف أستطيع أن أقطع كل صلة به ، وهناك ليزا ؟ تذكرى ليزا ! كانت ليزا مريضة ، في سريرها . لقد انتابتها في مساء أمس حمى ، وهم ينتظرون الآن طبيبا مشهورا أرسلوا يستدعونه من المدينة في ساعة مبكرة من الصباح . اضطرب فلتشانينوف اضطرابا كبيرا . وذهبت به كلافديا بتروفنا الى المريضة . قالت وهي تقف أمام غرفة ليزا :

- لقد راقبتها أمس باهتمام . انها طفلة مغلقة على نفسها ذات

كبرياء . انها تشعر بالخجل من وجودها عندنا ، ومن هجر أبيها لها . وهذا هو سبب مرضها فيما يخيّل الى .

— لماذا تظنين ان اباها « هجرها » ؟

— يكفي انه تركها تذهب الى اناس لا يعرفهم ، ومع شخص لا يكاد يعرفه ايضا ، او كانت بينه وبينه صلات ...

— ولكنني اتيت بها الى هنا بالقوة ... لست ارى ان ...

— هوه ... ان ليزا ، الطفلة ، ترى ذلك . لن يأتى أبدا ... هذا هو الامر ببساطة .

وحين رأت ليزا ان فلتشائينوف جاء وحده ، لم يدهشها ذلك . بل ابتسمت ابتسامة حزينة ، وحولت وجهها المحترق من الحمى الى ناحية الجدار . ولم تجب بشيء على ما أخذ يقوله لها مواسيا ، ولا على الوعود التي راخ يبذلها قائلا انه سيأتيها بأبيها في غد . فلما خرج من الغرفة أخذ يبكي على حين فجأة .

ولم يصل الطبيب الا في المساء . فلما فحص المريضة ، أربهم جميعا بالكلمات الاولى التي نطق بها ، اذ لامهم على انهم لم يستدعوه قبل ذلك . حتى اذا قالوا له ان المرض لم يبدأ الا مساء أمس لم يشأ ان يصدقهم في اول الامر ، وقال اخيرا : « كل شيء رهن بهذه الليلة كيف تقضيها » . وبعد ان اصدر اليهم وصاياهم ذهب واعدنا ان يرجع في غد أبكر ما يمكن . اراد فلتشائينوف ان يقضى هذه الليلة في منزل بوجورلتسيف ، غير ان كلافديا بتروفنا نفسها اصرت عليه ان يحاول مرة اخرى ان « يجيء بذلك الشيطان » .

قال فلتشائينوف وقد ثارت ثائرتة :

— مرة اخرى؟ لسوف أربطه بالحبال واجيء به الى هنا رغم انفه! واستبدت به هذه الفكرة ، ان يوثق بافل بافلوفتش وأن يجره بالقوة ، فأصبح في شوق شديد الى تنفيذها . قال وهو يودع كلافديا بتروفنا : « أصبحت لا أشعر بأنني أثم في حقه » . وأضاف يقول حاتقا : « اننى اسحب جميع الكلمات العاطفية الخائرة التي قلتها هنا » .

كانت ليزا راقدة مغمضة العينين ، وكان يبدو انها نائمة ، وان صحتها تحسنت . فلما اتحنى عليها فلتشائينوف محاذرا ، كى يقبل طرف ثوبها على الأقل ، فتحت عينيها فجأة ، كأنما كانت تنتظره ، وهمست تقول له : « أخذنى معك » .

كانت كلمتها هذه رجاء رقيقا حزينا ، ليس فيه شيء من هياج  
الليلة البارحة . ولكنها كانت تعرف هي نفسها ان رجاءها هذا  
لن يلبي ، فما ان اخذ فلتشانينوف يقنعها بأن هذا مستحيل (وقد  
بلغ به الحزن غايته) حتى اغمضت عينيها بصمت ، دون ان تنبس  
بكلمة ، كأنها أصبحت لا تسمعه ولا تراه .

فلما وصل الى المدينة امر السائق ان يأخذه رأسا الى بوكروف .  
وكانت الساعة التاسعة . فلم يجد بافل بافلوفتش في بيته ،  
فانتظره نصف ساعة يذهب ويجيء في الدهليز نافذ الصبر متألما .  
فأقنعتة ماريا سيسويفنا أخيرا بأن بافل بافلوفتش لن يعود حتما  
الا في الفجر ، فقال فلتشانينوف لنفسه : « اذن أرجع في الفجر » .  
وعاد الى البيت ، خارجا عن طوره .

وماكان أشد أنشداها حين أخبرته مافرا ، وهو يصعد السلم ،  
ان الضيف الذي جاءه أمس ينتظره منذ الساعة العاشرة .  
وأضافت مافرا قولها :

— قدمت له الشاي ، وأرسلني اشترى خمرا ، كما فعل  
أمس : أعطاني خمسة روبلات .



- ٩ -

## الشمع

كان بافل بافلوفتش جالسا جلسة مريحة على الكرسي نفسه الذي جلس عليه أمس ، كان يدخن السجائر ، وقد صب القدر الرابع والآخر من الشمبانيا . وكان الى جانبه على المائدة ابريق الشاي وقدر من الشاي فرغ نصفه . وكان وجهه المحمر يشع رضا وراحة . حتى لقد خلع سترته وبقي بالصدرة .

فلما رأى فلتشائينوف أسرع يلبس سترته ، وهتف يقول :  
- عفوك أيها الصديق الوفي .

فاقترب فلتشائينوف من بوجه مخيف وسأله :

- ألم تستر بعد سكرًا تامًا ؟ هل يمكن التحدث معك ؟

ففقد بافل بافلوفتش هدوءه قليلا ، وقال :

- لا ، لم أسكر سكرًا تامًا ... لقد شربت احتفالا بذكرى

المرحوم ... ولكنني لم أبلغ من السكر غايته .

- هل تفهمني اذا كلمتك ؟

- ما جئت الى هنا الا لهذا ، لأفهمك .

فقال فلتشائينوف بصوت يختنق :

- اذن أبداً بأن أقول لك أنك انسان شقي .

فقال بافل بافلوفتش محتجا وقد ظهر عليه الرعب :

- اذا بدأت بهذا ، فماذا تنتهي ؟

ولكن فلتشائينوف ظل يصرخ دون أن يصفى اليه :

- ابنتك تحتضر . انها مريضة . هل تتركها ؟

- هل يمكن أن تكون في حالة احتضار ؟

- انها مريضة ، مريضة جدا ، انها من مرضها في خطر .

- ربما كانت هذه تويبات صغيرة بسيطة ...

- دعك من هذه السخافات . انها في خطر . يجب أن تذهب

اليها ، ولو من أجل أن ....  
 - أن أشكرهم على حسن استقبالهم لها . اننى أفهم حق الفهم ،  
 يا الكسى ايفانوفتش ، أيها الصديق ، الكامل .  
 قال ذلك وامسك فجأة يد فلتشائينوف بيديه ، ثم هتف يقول  
 بلهجة عاطفية ، متباكية ، كأنه يتوسل اليه أن يعفو عنه :  
 - الكسى ايفانوفتش ، لا تصرخ ، لا تصرخ . اذا مت الآن ،  
 اذا غبت فى نهر نيفا ، ثملا ... فما عسى أن يكون لهذا من قيمة  
 فى الظروف الراهنة ؟ أما ذلك السيد بوجورلتسيف ، فسيتسع  
 وقتنا دائما للذهاب اليه ...

ثاب فلتشائينوف الى نفسه ، وكظم غيظه قليلا ، وقال :  
 - انت الآن سكران ، ولست أفهم ماذا تريد أن تقول . اننى  
 مستعد للافضاء اليك بما تريد ، بل اننى ليسعدنى أن أفرغ من  
 هذا الموضوع . حتى لقد ذهبت ... ولكن اعلم قبل كل شيء  
 اننى سأنفذ ما أريد : ستنام الليلة عندى ، وغدا آخذك الى هناك .  
 لن أتركك ( هكذا زار فلتشائينوف مرة أخرى ) سأوثقك بالحبال ،  
 وأحملك الى هناك ... هل يريحك النوم على هذا « الديوان » ؟  
 ( قال ذلك ، وأشار ، لاهثا ، الى الديوان الواسع المريح الذى  
 يقابل ديوانه الذى ينام هو عليه ، قرب الجدار الآخر ) .  
 - ولكن كيف ؟ سأكون فى كل مكان ...

- لا ، ليس فى كل مكان ، بل على هذا الديوان . خذ : هذا  
 غطاء ، وهذا لحاف ، وهذه وسادة . ( أخرج فلتشائينوف هذه  
 الأشياء من الخزانة ، وقذفها بسرعة الى بافل بافلوفتش الذى كان  
 نادا ذراعيه يتناولها خاضعا مطيعا ) افرش سريرك حالا .  
 ظل بافل بافلوفتش واقفا فى وسط الغرفة خلال لحظة ، حاملا  
 هذه الأشياء التى حملة اياها فلتشائينوف . كان يبدو مترددا وقد  
 ارتسمت على وجهه ابتسامة سيكرى طويلة . ولكن حين كرر  
 فلتشائينوف أمره بصوت هائج ، أسرع ينفذ الأمر ، فدفع المائدة ،  
 وأخذ يمد الغطاء ويشده لاهثا . واقترب منه فلتشائينوف يساعده .  
 لقد شعر فلتشائينوف بشيء من الرضا حين رأى فى صاحبه الخضوع .  
 قال مرة أخرى بلهجة أمرة ، وهو يحس أن من المستحيل عليه  
 أن يتكلم بلهجة أخرى :

- أفرغ كأسك ، وارقد فى فراشك . هل انت أرسلت مافرا  
 لتشتري لك خمرا ؟

— نعم ... أنا ... خمرًا ... كنت أعلم يا الكسي ايفانوفتش  
 أنك لن ترسل أحدا ليشتري خمرًا .  
 — يعجبني أنك عرفت ذلك . ولكن يجب أن تعرف شيئًا آخر  
 أيضًا أقول لك مرة أخرى اننى قد عزمت أمرى ، وسأنفذ  
 تدابيرى . لن أقبل بعد الآن تهريجاتك .  
 — أنا أفهم من تلقاء نفسى ، يا الكسي ايفانوفتش ، أن ذلك  
 لا يمكن إلا مرة واحدة ، مرة واحدة لا أكثر .  
 قال بافل بافلوفتش ذلك وابتسم ابتسامة مأكرة :  
 وكان فلتشانيوف فى الغرفة يسير جيئة وذهابا ، فلما سمع هذا  
 انجواب توقف فجأة أمام بافل بافلوفتش ، وقال بلهجة فخمة :  
 — بافل بافلوفتش ، تكلم بصراحة . أنت رجل ذكى ، أسلم لك  
 بذلك مرة أخرى . ولكننى أؤكد لك أنك تسير فى طريق خطأ...  
 فابتسم بافل بافلوفتش ، مرة أخرى ، تلك الابتسامة الطويلة  
 المأكرة الخبيثة التى تخرج فلتشانيوف عن طوره . فصاح يقول :  
 — انتظر . اياك والمهزلة . اننى أقرأ فى ضميرك كما أقرأ فى كتاب .  
 أعود فأقول لك : اننى على استعداد للإجابة عن جميع الأسئلة ،  
 أعاهدك على ذلك عهد الشرف ، بل اننى مستعد لأن أقدم لك ما  
 يمكن وما لا يمكن أيضا من ألوان الأرضاء .  
 فاقترب بافل بافلوفتش من فلتشانيوف محاذرا وقال :  
 — ما دمت طبيبا كل هذه الطيبة ، فسأقول لك أن ما ذكرته  
 أمس عن « الانسان الضارى » قد شق على كثيرا .  
 فحرك فلتشانيوف يده حركة تدل على التبرم وضيق الصدر .  
 — لا يا الكسي ايفانوفتش ، لا يجب أن تضيق ذرعا ، لا يجب  
 أن ينفد صبرك ، أن كلامك يهمنى كثيرا ، حتى لقد جئت لأعرف  
 هل ... أن لسانى يتعثر قليلا ، فاعذرنى... لقد قرأت أنا نفسى  
 شيئا ما فى مجلة من المجلات ... مقالا نقسديا عن النموذج  
 « الضارى » والنموذج « المسالم » . وتذكرت المقال هذا الصباح  
 ... ولكننى نسيت ما قاله الكاتب ، أو قل اننى لم أفهمه  
 يومئذ . وأريد الآن أن أعرف الى أى نموذج ينتمى المرحوم ستيفان  
 ميخائيلوفتش باجاوتوف : هل الى النموذج « الضارى » أم الى  
 النموذج « المسالم » ؟  
 كان فلتشانيوف لا يزال يسير فى الغرفة صامتا ، فتوقف فجأة ،  
 وصرخ فى سورة من الغضب يقول :

— الانسان « الضارى » هو ذلك الذى كان يمكن ان يدس السم فى كأس باجاوتوف وهو يشرب معه الشمبانيا « احتفالا بلاقائهما السعيد » كما فعلت ذلك بى انا امس . ولكن ذلك الانسان « الضارى » ما كان له ان يشيع تابوت باجاوتوف الى المقبرة ، كما فعلت امس ، مدفوعا بدوافع خفية لا أدري ما عسى تكون ، ربما لمجرد التهريج !

— اما انه ما كان له ان يشيعه الى المقبرة ، فهذا صحيح ، ولكنك تعاملنى بطريقة ...

لم يصغ فلتشانينوف اليه ، بل ظل يصرخ وقد خرج عن طوره : — الانسان « الضارى » ليس ذلك الذى يلفق قصة خيالية ، وينفق وقته فى حساب ما له من حقوقها ، ويجتر أهانتة ، ويتباكى ، ويجعد وجهه تصنعا ، ويمثل المهزلة تلو المهزلة ، ويرتمى على أعناق الناس ، فاذا هو يضيع حياته فى سخافات وحماقات ... هل صحيح انك اردت ان تشنق نفسك ؟ هل صحيح هذا ؟

— هذا ممكن ، لأننى كنت ثملا . فكرة راودتنى ... لا اذكرها الآن ... اما قضية صب السم فى القدر ، فهذا ، يا الكسى ايفانوفتش ، أمر لا يليق بنا نحن . انا موظف مرموق ، ثم اننى عدا ذلك املك ثروة طيبة ، وقد أريد أخيرا أن أتزوج مرة ثانية . — ثم هناك الأشغال الشاقة .

— طبعاً ... قد يحدث هذا أيضا ، رغم ان المحاكم الآن تجد فى أكثر الأحيان أسبابا مخففة . أريد يا الكسى ايفانوفتش أن أروى لك هذه الحكاية الصغيرة المضحكة التى تذكرتها منذ برهة فى العربة . لقد قلت أنت الآن : « يرتضى على أعناق الآخرين » ، لملك تتذكر سيمون بتروفتش ليفتروف ، الذى جاء الى ت ... أثناء وجودك فيها . ان الأخ الأصغر لهذا الرجل ، وكان يعد شابا أنيقا من شباب المجتمع الراقى ببطرسبرج ، كان ملحقا بحاكم مدينة ف ... وكانت له مزايا رائعة . تناقش هذا الشاب ذات مساء مع جولوبنكو ، الكولونيل ، امام عدد من السيدات كانت بينهن السيدة التى يخفق لها قلبه . فرأى أثناء المناقشة انه قد أهين ، ولكنه بلع الإهانة ، وسكت . وبعد فترة من الوقت ، سرق منه جولوبنكو تلك السيدة ، وطلبها زوجة له . فانظر ما حدث : لقد استطاع ليفتروف هذا أن يصبح الصديق الحميم لجولوبنكو ، لم يصالحه فحسب ، بل أصر أن يكون له فتى الشرف ، فحمل التاج فوق رأسه أثناء



الاحتفال . حتى اذا انتهى كل شيء ، اقترب من جولوبنكو ليهنئه ويقبله ، فاذا به ، وهو في رداء الاحتفال مصفف الشعر معطرا ، امام الحاكم ، وامام المجتمع الاثيق كله ، يسدد الى بطنه طعنة قوية بالسكين ، فيخر جولوبنكو على الارض ! على ان هذا كله ليس شيئا ! الاتكى من ذلك ان ليفتزوف ما ان طعن السكولونيل تلك الطعنة حتى التفت الى من كانوا حوله يهتف قائلا : « آه... ماذا صنعت ؟ ماذا صنعت ؟ » واخذ يبكي ، وينتحب ، ويرتعش ، ويرتمى على اعناق الناس ، حتى السيدات ... « آه... ماذا صنعت ؟ ماذا صنعت ؟ هيء ، هيء ، هيء ... » كان المنظر يفتس من الضحك . ولم يكن ثمة الا جولوبنكو شخصا يثير الشفقة . قال فلتشانينوف بقسوة وهو يقطب ما بين حاجبيه :

— لست افهم لماذا قصصت على هذا .

فقال بافل بافلوفتش وهو يضحك ضحكا صامتا :

— من اجل تلك الطعنة . بديهي ان ذلك الرجل لم يكن ضاريا ... بل كان قاذورة من القاذورات ، لأن ذعره انساه جميع قواعد اللياقة ، فارتدى على اعناق السيدات والحاكم موجود . ومع ذلك فقد حقق هدفه ، اذ طعن صاحبه في بطنه . هذا ما كان في ذهني ، حين قصصت عليك هذه الحكاية .

فزار فلتشانينوف فجأة ، بصوت تبدل كل التبدل ، قائلا :

— اذهب الى الشيطان ، اذهب الى جميع الشياطين ، انت ونفسك المتخفية اللذيثة... انت وافكارك القدرة الملتوية المتمرجة . اتظن انك تخيفني ؟ .. انت لا تقدر الا على تعذيب طفلة ، أيها الجبان ، أيها الجبان .

هكذا صرخ ، وقد خرج عن طوره تماما ، واخذ يلهث لهاثا شديدا . فانتفض بافل بافلوفتش من مكانه ، وتبدد سكره فجأة ، واخذت شفتاه ترتعشان .

— انت تصفني بأننى « جبان » يا الكسى ايفانوفتش ! انت

تصفني أنا بأننى جبان ؟

ولكن فلتشانينوف ثاب الى نفسه ، فأجابه بعد صمت ، وقد اظلم وجهه وشرد فكره :

— أنا مستعد للاعتذار اليك ، شريطة ان تقبل ان تكون صريحا .

— لو كنت مكانك يا الكسى ايفانوفتش لاعتذرت ، بدون أى شرط .

فقال فلتشانينوف بعد صمت آخر :

— لك ما تشاء يا بافل بافلوفتش . اننى أعتذر اليك . ولكن يجب أن توافق أنت نفسك ، بعد الذى وقع ، على اننى لن أعد نفسى مدينا لك ، لا فيما يتصل بما قيل الآن، بل ولا فيما يتصل بكل شيء .

— الأمر بسيط . لا داعى الى هذه الحسابات . قال بافل بافلوفتش ذلك ، وهو يتسهم ، ويترك الى الأرض . — عظيم ، عظيم . والآن أفرغ كأسك ، وارقد فى فراشك ، لاننى لن أتركك ... — نعم ... الخمر ...

كان بافل بافلوفتش يبدو مضطربا حائرا بعض الشيء . واقترب مع ذلك من المائدة ، وفرض على نفسه واجب افراغ كأسه الذى صبه منذ مدة طويلة . لاشك انه كان قد شرب كثيرا ، لأن يده كانت ترتعش فاندلق الخمر ، فلطخ الأرض وقميصه وصدرته . ومع ذلك شرب الكأس حتى آخر قطرة ، كأنه لا يستطيع أن يدع فيها شيئا ، ثم أعادها الى المائدة باحترام ، ومضى يخلع ثيابه قرب سريره خاضعا .

وفجأة قال يسأل فلتشانينوف وهو يمسك بيده احدى حذائيه بعد أن خلعه :

— اليس الأفضل الا اقضى هذه الليلة عندك ؟ فأجابه فلتشانينوف بلهجة حازمة ، دون أن ينظر اليه ، وهو لا يزال يسير فى الغرفة :

— بل الأفضل أن تقضى هذه الليلة عندي . فأتهم بافل بافلوفتش خلع ملابسه ، ووقد فى فراشه . وبعد ربع ساعة ، رقد فلتشانينوف هو الآخر ، وأطفأ الشمعة . ولم يستطع أن يفقو . ان شيئا جديدا كان قد ظهر فزاد قضيته تعقيدا ، وكان من ذلك فى قلق ، وفى خجل من هذا القلق . وما ان بدأ يفقو قليلا حتى أيقظته ضجة خفيفة على حين فجأة . فألقي نظرة سريعة على سرير بافل بافلوفتش . كان الظلام شديدا ( كانت الستائر مسدلة تماما ) ، ولكن خيل اليه أن بافل بافلوفتش لم يكن راقدا ، بل كان جالسا على سريره . فسأله :

— ماذا بك ؟ فأجابه بافل بافلوفتش بعد لحظة من انتظار ، بصوت لا يكاد يسمع :

- شبح  
— ماذا ؟ أى شبح ؟  
— هناك ، فى هذه الغرفة . رأيت ما يشبه الشبح يمر أمامى .  
فسأله فلتشائينوف بعد بضع لحظات :  
— شبح من ؟  
— شبح ناتاليا فاسيليفنا .  
فوضع فلتشائينوف قدميه على السجادة ، ونظر الى جهة الغرفة المجاورة التى كان بابها يظل مفتوحا دائما . ولم يكن لتلك الغرفة من ستائر الا غلالة بيضاء . . . فكان الظلام فيها أقل .  
— ليس ثمة شيء ، وإنما أنت سكران . أرقد .  
قال فلتشائينوف ذلك ، وعاد فرقد متلفعا بالحاف . ولم يقل بافل بافلوفتش شيئا ، وتمدد على فراشه هو الآخر .  
وبعد عشر دقائق سأله فلتشائينوف :  
— هل سبق أن رأيت هذا الشبح قبل الآن ؟  
فأجابه بافل بافلوفتش ، بعد لحظات ، بصوت ضعيف :  
— يخيل الى اننى رأته مرة قبل ذلك .  
ثم خيم الصمت من جديد .  
لا يعرف فلتشائينوف ، على وجه اليقين ، هل نام أم لا . ولكنه ، بعد ساعة ، التفت مرة أخرى على حين فجأة . هل أيقظته ضجة ما ؟ ليس يدرى . ولكن تراءى له أن شيئا يقترب منه ، شيئا أبيض متميزا عن الظلام ، وصل الى وسط الغرفة . فنهض جالسا ، يحاول أن يشق ببصره الليل الذى يحيط به .  
— أهذا أنت يا بافل بافلوفتش ؟  
قال ذلك بعد دقيقة ، بصوت ضعيف . ان هذا الصوت الضعيف الذى ترجع صداه فى قلب السكون والليل بدا له هونفسه غريبا . ولم يجئه جواب . ولكنه الآن لايساوره أى شك : ان هناك شخصا يقف فى وسط الغرفة .  
— أهذا أنت يا بافل بافلوفتش ؟  
قال ذلك بصوت عال ، بصوت يبلغ من العلو أن بافل بافلوفتش لو كان نائما لاستيقظ وأجاب .  
ولم يجب أحد . ولكن تراءى له ان الشكل الأبيض الذى لا يكاد يرى واضحا فى هذا الظلام الدامس كان يزداد اقترابا . فحدث فى نفسه تغير مفاجئ . ان شيئا فى نفسه ينفجر ، فصرخ اقوى صراخ

يستطيعه ، بصوت لاهث يخنقه الحنق والفضب ، قائلا :  
 - اذا كنت تظن ايها السكير انك تستطيع ان تخيفنى ، فسالتفت  
 نحو الجدار ، وسأغطى رأسى بالحاف ، وسأظل ساكنا لا أتحرك  
 طوال الليل ، وذلك لأبرهن لك على مدى ما أشعر به نحوك من  
 احتقار ... ولو بقيت على هذه الحال من التهريج حتى الصباح ..  
 وهأنذا أبصق فى وجهك ! ..

قال ذلك وبصق حائقا على ما كان يفترض أنه بافل بافلوفتش ،  
 ثم استدار نحو الحائط ، وشد اللحاف فوق رأسه ، وسكن على  
 هذا الوضع سكونا تاما . وساد صمت عميق كأنه سكون الموتى .  
 وانقضت على ذلك خمس دقائق ، فاذا هو يسمع فجأة ، على بعد  
 خطوتين منه ، صوت بافل بافلوفتش يترجع ضعيفا كأنه الانين :  
 - لقد نهضت يا الكسى ايفانوفتش باحثا عن ... (سمى أداة  
 لا يستغنى عنها من أدوات المنزل ) فلم أجدها قرب سريري ، فأردت  
 أن أرى ... قرب سريرك ... دون أن أحدث ضجة .

- لماذا لم تجبنى ، حين صرخت ؟  
 سأله فلتشانينوف هذا السؤال بصوت متقطع :  
 - خفت ... كان صراخك قويا جدا ، فخفت ...  
 - هناك ، على الشمال ، عند الركن ، قرب الباب ، فى الخزانة  
 الصغيرة . اشعل الشمعة .

قال بصوت ذليل وهو يتجه نحو الخزانة الصغيرة :  
 - استغنى عن الشمعة . عفوك يا الكسى ايفانوفتش ، فأننى  
 أزعجتك . لقد شعرت فجأة اننى سكران تماما .  
 ولكن فلتشانينوف لم يجب . كان مستلقيا على فراشه ،  
 ملتفتا الى ناحية الجدار ، وظل على هذه الحال الى آخر الليل دون  
 أن يستدير نحو الجهة الأخرى مرة واحدة . هل كان يريد أن ينفذ  
 ما قطع على نفسه من عهد ، اظهارا لاحتقاره ؟ لقد كان هو نفسه  
 يجهل ما يشعر به . كانت أعصابه ثائرة حتى كاد يهدى ، وظل مدة  
 طويلة لا يستطيع أن ينام . وحين استيقظ فى الساعة العاشرة من  
 صباح غد وثب عن سريريه فجأة كأن أحدا هزه ، فلم يجد بافل  
 بافلوفتش فى الغرفة . كان سريريه خاليا ، منقوشا ... لقد هرب  
 عند طلوع النهار .. قال فلتشانينوف وهو يضرب جبينه بيده :  
 - « كنت أعرف ذلك »



- ١٠ -

### المقبرة

تحققت مخاوف الطبيب ، فقد ساءت صحة ليزا فجأة ، ساءت أكثر كثيرا مما كان يتوقع فلتشانينوف وتتوقع كلافديا بتروفنا ، أمس . وحين وصل فلتشانينوف في الصباح كانت الحمى قد أضنتها ، ولكنها كانت لا تزال في وعيها . وقد أكد فلتشانينوف ، فيما بعد ، انها ابتسمت له حين رآته ، بل ومدت اليه يدها الصغيرة المحترقة . هل وقع هذا حقا ، أم انه تخيله على غير ارادة منه تعزية لنفسه ؟ انه لم يستطع ان يتحقق من ذلك على كل حال . وما ان جاء المساء حتى فقدت المريضة وعيها ، ولم تفق من غيبوبتها بعد ذلك . وماتت في اليوم العاشر من وصولها الى أسرة بوجورلتسيف . وقد عاش فلتشانينوف في هذه الفترة حياة اليمة ، حتى ان أسرة بوجورلتسيف التي قضى بينها معظم هذه الايام القاسية كانت تخشى على صحته من فرط ما عانى من عذاب . كان في الايام الاخيرة من مرض ليزا يظل جالسا في ركن من الاركان ساعات برمتها ، كانه لا يفكر في شيء . وكانت كلافديا بتروفنا تحاول ان تواسيه ، ولكنه كان لا يكاد يجيبها بشيء ، بل كان يبدو عليه في بعض الاحيان انه يضيق ذرعا بأحاديثها . كانت كلافديا بتروفنا لا تتوقع « ان يؤثر فيه هذا الامر تأثيرا يبلغ هذه الدرجة من العنف والقوة » . وكان الأطفال يستطيعون ان يسلوه أكثر منها ، حتى لقد كان يضحك معهم في بعض اللحظات ، غير انه كان ما ينفك يترك ركنه الذي هو فيه ، ويمضي على رءوس الاصابع يلقي نظرة على المريضة . كان يخيل اليه في بعض الاحيان انها تعرفه . وكان كسائر من في البيت ، قد فقد كل أمل في شفائها ، غير انه كان لا يبتعد عن الغرفة التي تحتضر فيها ليزا . ومع ذلك فقد أظهر خلال هذه الفترة نشاطا جبارا ، مرة أو

مرتين . فكان يسرع الى بطرسبرج ، يبحث عن أشهر الأطباء ، ويحضر بهم الى المريضة ليفحصوها . وآخر مرة جاء فيها بالطبيب كانت قبل موتها بيوم واحد . وقد أصرت عليه كلافديا بتروفنا ، قبل ذلك بثلاثة أيام ، أن يمضي باحثا عن نوسوتسكى ، وأن يحضر به ، وقالت : « إذا وقع للطفلة مكروه قبل أن يأتى ، فلن نتمكن حتى من دفنها » . فقال لها فلتشانينوف بلهجة غامضة ذاهلة ، انه سيكتب اليه . فقالت بتروفنا عندئذ انها ستبعث اليه بالشرطة لتجىء به . وأخيرا عزم فلتشانينوف أمره على أن يكتب اليه بضع كلمات ، حملها بنفسه الى فندق بوكوروفسكى . لم يكن بافل بافلوفتش هناك ، على عادته ، فترك فلتشانينوف الرسالة عند ماريا سيسويفنا .

ماتت ليزا في مساء من أمسيات الصيف ، عند غروب الشمس . وفي تلك اللحظة بدا أن فلتشانينوف يثوب الى نفسه . فلما مددوا جثمانها على المائدة فى الصالون ، وغطوها بثوب أبيض من ثياب إحدى بنات كلافديا بتروفنا ، وضعوا أزهارا بين يديها الصغيرتين المضمومتين أحدهما الى الأخرى ، اقترب فلتشانينوف من كلافديا بتروفنا متقد العينين ، وقال انه ذاهب فورا لاقتياد «القاتل» ، ثم خرج .

كان يعرف أين يجد بافل بافلوفتش . انه لم يكن يذهب فى الآونة الأخيرة الى بطرسبرج لاستدعاء الأطباء فحسب ، بل كان يخيل اليه فى بعض الأحيان انه لو استطاع أن يقود بافل بافلوفتش الى ليزا ، فقد ترتد اليها الحياة حين تسمع صوت أبيها . فكان يركض باحثا عنه كالمجانين . كان بافل بافلوفتش لا يزال يسكن تلك الغرفة نفسها ، ولكن كان من العيب أن يبحث عنه فى غرفته . قالت ماريا سيسويفنا : « انه يتفق له أن يتغيب ثلاثة أيام متتالية ، دون أن يعود الى بيته لحظة واحدة . وإذا عاد مصادفة ، فانه لايمكث الا بضع دقائق ثم يخرج . لقد انحدر الى الدرك الأسفل » . وقال خادم الفندق لفلتشانينوف ، فيما قاله له ، ان بافل بافلوفتش يتردد الى البنات الساقطات فى شارع فوزنيسيكى . فلما بحث عنهن فلتشانينوف ، عثر عليهن بلا عناء . ولما دفع لهن بعض المال تذكرن فورا زبونهن صاحب القبة ذات الشريط الاسود ، وانتهرن هذه المناسبة لسبه وشتمه ، لأنه أصبح لا يحضر اليهن . قالت أحدهن ، واسمها كاتيا : انها تستطيع أن تجد بافل بافلوفتش

في كل ساعة « لأنه أصبح لا يترك ماشكا بروستاكوفا . ان المرء لا يرى لأمواله نهاية ... أما ماشكا تلك فليس اسمها بروستاكوفا بل بروكفوستوفا (١) . لقد كانت مريضة في المستشفى ، وتكفى وشاية صغيرة عليها ، حتى ترسل الى سيبيريا » .

لم تظهر كاتيا ، ذلك اليوم ، بالعشور على بافل بافلوفتش ، ونسكنها وعدت وعدا قاطعا بأن تعثر عليه في المرة القادمة .

فلما وصل الى المدينة في الساعة العاشرة ، استدعاه فوراً ، وسار معها بعد أن دفع لصاحب المحل أجرة الوقت الذي سيستغرقه طوافها . كان لا يعرف بعد ما الذي سيعمله . هل يقتل بافل بافلوفتش أم يكتفى بإبلاغه نبأ موت ابنته قائلاً ان دفنها مستحيل ما لم يتدخل هو في الأمر ؟ ولم توفق مساعيهما الأولى . وعلمنا ان معركة قامت منذ ثلاثة أيام بين مشكا بروكفوستوفا وبين بافل بافلوفتش ، وان شخصا مهنته « خازن » قد « ضربه بمنضدة فكاد يفتس رأسه في جسمه » . وطال البحث ، وطال ، فلما دقت الساعة الثامنة من الصباح ، كان فلتشانينوف خارجاً من مكان دلوه عليه ، فاذا هو أمام بافل بافلوفتش وجها لوجه .

كان بافل بافلوفتش في حالة سكر تام : كانت تجره امرأتان الى ذلك المكان ، وكانت أحدهما تسنده من ذراعه . وكان يتبعهم رجل ضخم قوى ، لاشك انه منافس ، يحرك يديه حركات عريضة ، ويوجه الى بافل بافلوفتش أفحش أنواع التهديد والوعيد . كان يقول ، فيما يقول صارخاً : « ان بافل بافلوفتش يستغله ويسمم حياته » . كان يبدو ان الخلاف على مبلغ من المال . وكانت المرأتان تستحشان خطاهما ، وقد ذعرتا ذعراً شديداً . فلما رأى بافل بافلوفتش صاحبه فلتشانينوف أسرع نحوه ، ماداً اليه يديه ، وقال :  
- النجدة أيها الأخ .

فما أن رأى المنافس فلتشانينوف ولاحظ جسمه الرياضي القوي ، حتى اختفى في مثل لمح البصر ، فأحس بافل بافلوفتش بأنه انتصر على خصمه ، فالتفت الى الوراء ، يلوح بيده ، وصرخ صرخة طويلة علامة الظفر . ولكن فلتشانينوف أمسكه من كتفيه ( لا يدري على وجه الدقة لماذا ) ، وأخذ يهره هزاً عنيفاً ، حتى صارت أسنانه تصطك من قوة ذلك الهز العنيف . فانقطع بافل بافلوفتش حالاً عن الصراخ ، والتفت الى جلاده ينظر اليه نظرة سكير خائف

(١) هنا لعب لفظي : ان كلمة بروكفوست الروسية تعني « وغد » .

مبهوت . ولعل فلتشائينوف كان لا يدري ما يصنع به ، ولكنه  
أجلسه بحركة وحشية على حافة الرصيف ، وقال له :  
- ماتت ليزا .

ظل بافل بافلوفتش جالسا على حافة الرصيف تسنده إحدى  
المراتين ، وهو لا يزال معلقا بصره بفلتشائينوف . وأخيرا فهم ،  
فإذا بوجهه يسترخى فجأة .  
- ماتت ...

لم يعرف فلتشائينوف هل ابتسم صاحبه ابتسامة سكير خبيثة ،  
أم تشنج وجهه قليلا . ولكن بافل بافلوفتش ما لبث بعد برهة  
وجيزة أن رفع يده اليمنى التي كانت ترتطمش ، محاولا أن يرسم  
إشارة الصليب . ولكن الحركة لم تتم ، وسقطت يده . وبعد  
لحظة قصيرة ، نهض متثاقلا ، وأمسك بذراع المرأة ، وأخذ يسير  
متوكئا عليها ، كأنه لا يعي ما حوله ، وكأنه نسي فلتشائينوف  
نسيانا تاما . ولكن فلتشائينوف قبض عليه مرة أخرى من كتفه ،  
وصرخ صراخا لا هثا يقول له :

- هل تفهم ، ياسكير ، يا شيطان ، ان من المستحيل أن تدفن بدونك ؟  
فتمتم بافل بافلوفتش يقول بصوت متلعثم :  
- هل تتذكر ... الملازم في المدفعية ؟  
فزأر فلتشائينوف يقول ، وهو يرتطمش ارتعاشا مؤلما :  
- ماذا ؟

- عليك بأبيه ، فابحث عنه ، من أجل الدفن ...  
فصرخ فلتشائينوف نائرا :

- أنت كاذب ... انك تقول هذا الكلام عن خبث وشر ...  
كنت أعرف انك ستلق هذا التلقيق ...  
قال ذلك ، وقد استبد به الحنق والقيظ ، ثم رفع قبضته القوية  
فوق رأس بافل بافلوفتش ، وهم أن يضربه ضربة تجهز عليه .  
فابتعدت المرأتان فجأة وهما تصرخان صرخات حادة ، ولكن بافل  
بافلوفتش لم يتزعزع ، وعبر وجهه بالقباضه عن كره وحشي .  
ثم تملص بعنف من بين يدي فلتشائينوف ، وارتطم ، وكاد يقع .  
فأمسكته المرأتان من أبطه ، وهربتا به ، تجرانه جرا ، وهما  
تصرخان . فلم يتبعهم فلتشائينوف .

وفي الساعة الواحدة من الفد جاء الى منزل بوجورلتسيف موظف  
طاعن في السن قليلا ، مهذب جدا ، يرتدى الزي الموحد ، فتقدم



من كلافديا بتروفنا وسلمها مظروفا مختوما بعث به اليها بافل بافلوفتش. كان المظروف يحتوى ، عدا الوثائق اللازمة لدفن ليزا ، على رسالة وثلاثمائة روبل . وكانت الرسالة موجزة تشتمل على كثير من الأدب والاحترام ، يعبر بها بافل بافلوفتش لصاحبة السعادة كلافديا بتروفنا عن عظيم شكره على الرعاية النبيلة التى احاطت بها اليتيمة ، والتى لا يستطيع الا الله ان يجزيها عليها ، ويقول بشيء من الغموض ان وعكة خطيرة المت به ، تمنعه من شهود دفن ابنته الشقية الحبيبة ، وانه يعتمد فى كل شيء على ما تتصف به صاحبة السعادة كلافديا بتروفنا من نبل ملائكى . أما الروبلات الثلاثمائة ، فيقول انها نفقات الدفن والنفقات التى اقتضاها المرض . فاذا فاض عن هذا المبلغ شيء فرجاؤه ، مع الخضوع وعظيم الاجلال ، ان ينفق فى اقامة قداس على روح ليزا . ولم يستطع الموظف ان يضيف شيئا على ما جاء فى الرسالة ، حتى لقد فهم من بعض كلامه انه لم يقبل حمل هذا الظرف بنفسه الى صاحبة السعادة كلافديا بتروفنا الا بعد الحاح شديد من بافل بافلوفتش . وقد شعر بوجورلتسيف من قول بافل بافلوفتش « النفقات التى اقتضاها المرض » بشيء من الاهانة ، فصرح بأن من الواجب الا يحتفظ من المبلغ الا بخمسين روبلا للدفن ( اذ يستحيل ان يحرم أب من دفع نفقات دفن طفله ) ، وان يرد الباقي فورا ، وهو مائتان وخمسون روبلا ، الى تروسوتسكى . ولكن كلافديا بتروفنا قررت أخيرا دفع هذا المبلغ الى كنيسة المقبرة ، على روح « العذراء اليزابت » ، واخذت « ابصالا » بذلك ، اعطته لفلتشانينوف من أجل ان يرسله حالا الى بافل بافلوفتش ، الذى اودعه البريد على عنوان الفندق . غاب فلتشانينوف عن الفيلا بعد دفن ليزا . وظل خلال اسبوعين كاملين ، يضرب فى المدينة على غير هدى ، على غير هدف ، وحيدا ، ذاهلا حتى ليصطدم بالناس فى الطرقات . وكان فى بعض الأحيان ايضا يبقى فى بيته اياما برمتها ، راقدا على سريره ، ناسيا حتى الامور الأولية . وقد ارسلت أسرة بوجورلتسيف تستدعيه عدة مرات ، فكان يعد بأن يجيء ثم ما يلبث ان ينسى . وجاءت اليه كلافديا بتروفنا بنفسها ذات يوم ، ولكنها لم تجده . وهذا ما وقع ايضا لمحاميه الذى جاء يحمل اليه خبرا هاما ، وهو انه استطاع ببراعته ان يرتب الامور ، فحمل الخصم على ان يعقد مع فلتشانينوف اتفاقا يضمن له جزءا كبيرا جدا من الارث موضوع

الخلاف ، ولم يبق الا أن يوافق فلتشانينوف على ذلك . فلما استطاع المحامي أخيرا أن يجتمع به ، أدهشه أشد الدهشة أن زبونه هذا الذي كان متعجلا الأمر ، قد استقبل النبأ بدون اكتراث . كانت تلك الأيام أشد أيام تموز (يوليو) حرارة ، ولكن فلتشانينوف كان قد فقد احساسه بالزمان . كان يعذبه خاصة أن ليزا لم تعرفه ، وانها ماتت قبل أن تدرك مدى ما يمكنه لها من حب اليم . أن الهدف الذي سطع أمامه ، قد انطفأ فجأة ، وغاب في الظلام الأبدى . أصبح فلتشانينوف يفكر في ذلك الهدف بلا انقطاع ، ويريد أن تشعر ليزا بما يضره لها من حب لن يزول ما بقي هو على قيد الحياة . وكان يقول لنفسه أحيانا ، وقد تملكته حماسة قائمة مظلمة : « ليس الأحـد ولا يمكن أن يكون لأحد هدف أعلى من ذلك الهدف . قد يكون ثمة أهداف أخرى ، ولكن ذلك الهدف أقدسها جميعا » .

كان يقول لنفسه : « أن حب ليزا كان يمكن أن يظهر نفسي ، وأن يفدى حياتي الماضية العقيمة السيئة ... كان يمكنني ، أنا الإنسان العاقل ، الفاسد ، المتعب ، أن أسعد بتدليل مخلوق نقي جميل ، تفقر لي من أجله كل الخطايا ، وأغفر لنفسي من أجله كل الخطايا » .

جميع أفكاره ، الواعية كل الوعي ، كانت مرتبطة ارتباطا لا انفصام له بذكرى الطفلة الميتة ، هذه الذكرى الواضحة ، الماثلة في ذهنه دائما ، المؤلمة لقلبه بغير انقطاع . كان يرى وجهها الصغير الشاحب ، ويتذكر كل تعبير لاح في ذلك الوجه . كان يراها كما كانت في نابوتها تحف بها الأزهار ... وكان يراها راقدة في فراشها ، وقد أضنتها الحمى ، وغابت عن الدنيا ، وجمدت عيناها . وتذكر فجأة أن أحد أصابعها الصغيرة قد اسود قبل الموت ، لا يدري إلا الله لماذا ؟ فأنثر فيه ذلك تأثيرا شديدا ، واشفق على هذا الأصبع اشفاقا كبيرا ، وفي تلك اللحظة أنها انبثقت في ذهنه لأول مرة ، فكرة البحث عن بافل بافلوفتش فورا ليقتله . أما قبل ذلك فقد كان « لا يحس شيئا » .

هل المذلة التي عاناها قلب هذه الطفلة هي التي حطمته ، أم حطمته الآلام التي سببها لها أبوها خلال ثلاثة أشهر ، ذلك الأب الذي حل محل حبه النكره على حين فجأة ، فأخذ يهينها ويشتمها ويعبث بخوفها ، ثم تركها لفرياء ؟ لم ينقطع فلتشانينوف عن التفكير

في هذا كله ، وظل يجتر هذه الأفكار ويقلبها على ألف وجه ووجه ، وتذكر بفتة ، صبيحة تروسوتسكى : « هل تعرف ما هي ليزا بالنسبة الى » ، فأدرك ان هذه الصبيحة لم تكن صبيحة سكران ، بل كانت صبيحة صادقة ، كانت حبا . « كيف استطاع هذا الوحش ان يقسو كل تلك القسوة على هذه الطفلة التي كان يحبها ذلك الحب كله ؟ هل هذا ممكن ؟ .. » . هكذا كان يتساءل أحيانا ، ولكنه كان في كل مرة يطرد هذا السؤال من فكره ، ويرميه الى بعيد . كان في ذلك شيء رهيب ، رهيب جدا .

وفي ذات يوم ، ذهب ، على غير وعى تقريبا ، الى المقبرة التي دفنت فيها ليزا ، واتجه نحو قبرها . لم يكن قد ذهب الى هناك مرة واحدة بعد الدفن . كان يبدو له انه سيعانى الما لا قبل له باحتماله ، فلم يجرؤ ان يذهب . ولكن الشيء الغريب انه حين اتحنى على القبر ، وطبع عليه قبلة طويلة شعر فجأة بشيء من الراحة . كان المساء صافيا والشمس تغرب . وقد نبتت حول القبور أعشاب كثيفة غضة نضرة . وكان ثمة نحلة تدندن في دغل من أشجار الزعرور . وكانت الأزهار والأكاليل التي وضعها اولاد كلافديا بتروفنا على القبر الصغير لا تزال هناك ، وقد تساقطت بعض أوراقها . فشعر فلتشائينوف ، لأول مرة ، منذ مدة طويلة ، بشيء من الأمل يحيى قلبه . قال في نفسه وقد تسال الى نفسه ما في المقبرة من هدوء ، وغاب بصره في السماء الصافية « ما أعذب هذا ! » . ان طمأنينة غريبة ، هادئة ، صافية قد صعدت فيه ، وملأت نفسه . قال : « ليزا هي التي ترسل الى هذا ، ليزا هي التي تخاطبني » .

وحين قفل راجعا ، كان الليل قد هبط . ومر ، في الطريق ، غير بعيد عن المقبرة ، بيت من خشب هو نوع من فندق ريفي . وكانت النوافذ مفتوحة ، فرأى في داخل البيت اناسا متعلقين حول مائدة . ثم بدا له فجأة ان واحدا منهم ، جالسا قرب النافذة ، يراه ايضا ، وينظر اليه نظرة مستطلعة : انه بافل بافلوفتش . فتابع سيره ، وما لبث ان سمع وقع خطوات وراه . انه بافل بافلوفتش يركض محاولا اللحاق به . لعل ما كان يشيع في وجه فلتشائينوف من هدوء وطمأنينة قد شجعه بل جذبه . فلما وصل اليه ، ابتسم ابتسامة خائفة ، ولكنها ليست ابتسامة السكر التي عهدا فيه . لم يكن الآن ثملا . وعبادلا تحية المساء .

## - ١١ -

### بافل بافلوفتش يتزوج

ما كاد ينطق فلتشائينوف بهاتين الكلمتين حتى استغرب ذلك هو نفسه . لقد أدهشه كثيرا ان رؤية هذا الرجل لم تثر فيه الفضب ، بل ايقظت فيه عواطف أخرى مختلفة عن الفضب كل الاختلاف ، او قل ايقظت فيه رغبة في الشعور بهذه العواطف الأخرى . قال بافل بافلوفتش بلهجة لطيفة :

— ما أجمل هذا المساء !

— ألم تسافر بعد ؟

قال فلتشائينوف ذلك ، وهو يتابع سيره ، وكأنه لا يطرح سؤالا بل يفكر بصوت عال :

— نعم ، لقد تأخرت بعض التأخر ، ولكنني حصلت على تعييني في منصب أعلى ، وسأسافر بعد غد حتما .

فسأله فلتشائينوف هذه المرة :

— حصلت على تعيينك ؟

فأجاب بافل بافلوفتش وهو يمز شفتيه قليلا :

— ولم لا ؟

— نعم ، نعم ، وإنما قلت ذلك ...

وقطب فلتشائينوف ما بين حاجبيه ، وجعل يتفرس في بافل بافلوفتش خلصة . فما كان أشد دهشته حين رأى ثياب السيد تروسوتسكى ، وقبعته ذات الشريط الأسود ، ومظهره كله ، قد أصبحت أليق كثيرا مما كانت منذ أسبوعين . فتساءل بينه وبين نفسه : « ترى ما وجوده في هذا الفندق ؟ »

وعاد بافل بافلوفتش يقول :

— كنت أنوى يا الكسى ايفانوفتش ان أنهى اليك فرحة أخرى .

— فرحة ؟



— اننى الزوج ..

— كيف ؟

— بعد العذاب ياتى السرور . هذه سنة الحياة . اود لو ...  
يا السكى ايفانوفتش ... ولكننى لا ادرى ... قد تكون مستمجلا.  
ان مظهرك ...

— انا مستمجل حقا واشعر بشيء من الاعياء .

لقد شمر فلتشانينوف فجأة برغبة فى التخلص من رفيقه . ان  
الاستعدادات الطيبة التى نبتت فى نفسه منذ قليل ، قد تبددت  
بغثة .

— كنت اتمنى لو ...

لم يقل بافل بافلوفتش ما كان يتمناه ، ولا اهتم فلتشانينوف  
بكلامه .

— اذن ارجىء ذلك الى مرة اخرى ، اذا نحن التقينا .

— نعم نعم ، الى مرة اخرى .

قال ذلك فلتشانينوف بسرعة دون ان ينظر اليه ، وهو يتابع  
سيره .

وساد الصمت دقيقة من الزمن . وكان بافل بافلوفتش يسير الى  
جانبه . وقال اخيرا :

— الى اللقاء ، اذن .

— الى اللقاء ، اتمنى لك ...

ورجع فلتشانينوف الى بيته وقد عاد اليه اضطراب شديد. ان  
رؤية « هذا الشخص » كانت حقا فوق ما تطيقه قواه . ولما  
استلقى فى سريره ، تساءل مرة اخرى : « ما وجوده قرب المقبرة ؟ » .

وفى صباح غد ، قرر اخيرا ان يذهب الى منزل بوجورلتسيف ،  
وقد قرر ذلك على مضض . كان يؤله كل مظهر من مظاهر العطف ،

حتى عطف أسرة بوجورلتسيف . ولكنهم كانوا فى قلق عليه ، فكان  
لابد ان يذهب اليهم . وخيل اليه فجأة انه سيشعر بشيء من العار

حين يعود الى رؤيتهم لأول مرة . كان يتساءل وهو يسرع فى الانتهاء  
من التهام افطاره « اذهب ام لا اذهب ؟ » ، فاذا هو يرى بافل

بافلوفتش بدخل فجأة عليه ، فيدهش من ذلك اشد الدهشة .  
كان فلتشانينوف ، رغم لقاء الأمس ، لا يستطيع ان يتخيل ان

هذا الرجل سيتخطى عتبة بيته يوما ، فبلغ من شدة ذهوله عند  
رؤيته انه نظر اليه دون ان يستطيع مخاطبته بكلمة . ولكن بافل

بافلو فتش حياه بدون تخرج ، وجلس على ذلك الكرسي نفسه الذي  
جلس عليه منذ ثلاثة أسابيع ، عند زيارته الأخيرة التي تذكرها  
فلتشانينوف فجأة بوضوح ما بعده وضوح . نظر فلتشانينوف الى  
الزائر نظرة يمتزج فيها القلق بالاشمئزاز .  
قال بافل بافلوفتش ، وقد أدرك معنى هذه النظرة :  
- أنت مندهش ؟ -

انه الآن أقل تخرجاً مما كان بالأمس ، ولكن المرء يشعر مع ذلك  
انه أكثر خجلاً وخوفاً . كان مظهره غريباً كل الغرابة . لم تكن  
نيابته لاثقة فحسب ، بل كانت انيقة أيضاً : كان يرتدى سترة صيفية  
خفيفة ، وسروالاً ضيقاً زاهراً ، وصدرية ناصعة ، وقفازين ، وقميصاً  
أبيض جديداً ، وكان يضع على إحدى عينيه نظارة ذهبية ، لا يدري  
الا الله لماذا ! كان ذلك كله أنيقاً غاية الأناقة . حتى لقد تطيب  
بالعطر . كان في مظهره هذا كله شيء مضحك يثير في الوقت نفسه  
فكرة غريبة ، مزعجة .  
تابع يقول بجهد ظاهر :

- واضح ، يا الكسي ايفانوفتش ان زيارتي تدهشك . اننى  
أحس بذلك ، ولكننى أقول ان هناك بين الناس دائماً شيئاً أسمى  
من جميع الاحتمالات ومن جميع الازعاجات التى يمكن ان تقع ،  
ليس كذلك ؟ -

- بافل بافلوفتش ، قل بسرعة كل ما تريد ان تقول ، قلّه بلا  
تكلف ولا تصنع .

قال فلتشانينوف ذلك ، وقطب ما بين حاجبيه .  
فأسرع بافل بافلوفتش يقول :

- اليك الأمر بكلمتين : سأتزوج ، وأنا ذاهب حالا الى خطيبتى .  
انها تسكن فى الريف أيضاً . وأتمنى لو أشرف بتقديمك الى هذه  
الأسرة ، لذلك أبيع لنفسى ان أرجوك بكثير من المذلة والخضوع  
( قال ذلك وأحنى رأسه ) أن ترافقنى اليها .  
- ارافقك الى أين ؟ -

قال فلتشانينوف ذلك محملاً .

- اليهم ، فى الفيلا التى يسكنونها . هفوك با الكسي ايفانوفتش ،  
اننى محموم قليلاً ، وقد أكون على شيء من الارتباك ، ولكننى أخاف  
كل الخوف ان ترفض تلبية رجائى .  
ونظر الى فلتشانينوف نظرة متوسلة دامعة .

قال فلتشانينوف ، وهو يلقي عليه نظرة سريعة ، ولا يكاد يصدق  
هينيه ولا اذنيه :

— تريد منى ان ارافقك الآن الى بيت خطيبتك ؟

قال بافل بافلوفتش وقد تملكه رعب شديد :

— نعم . لا تحقق على يا الكسى ايفانوفتش . ليس ذلك منى  
وقاحة ، بل رجاء ، رجاء ذليل . لقد تخيلت انك قد لا ترفض  
تلبية هذا الرجاء .

— أولا ، هذا مستحيل .

قال فلتشانينوف ذلك واخذ يتحرك على كرسيه . فتابع بافل  
بافلوفتش كلامه مصرا :

— هذه رغبة قصوى من رغباتى ، وليست شيئا آخر . ولا اکتک  
ان ثمة دافعا آخر يدفعنى الى هذا ، ولكننى لا اريد ان ابوح لك  
بهذا الدافع الا فيما بعد ، اما الآن ، فأرجوك ، والى فى الرجاء  
... حتى لقد نهض وقد امتلا احتراما واجلالا . فنهض فلتشانينوف  
ايضا وهو يقول :

— ولكن هذا مستحيل ، على كل حال . يجب ان توافقنى على ذلك .

— بل هو غير مستحيل يا الكسى ايفانوفتش . اننى انوى ان اقدمك  
اليهم ، كصديق . ثم انهم يعرفونك هناك . انهم أسرة زاخليبينين ،  
مستشار الدولة زاخليبينين .

فهمت فلتشانينوف متعجبا :

— كيف ؟

انه زاخليبينين هو مستشار الدولة ذاك نفسه ، الذى حاول  
فلتشانينوف ان يلقاه فى بيته ، والذى كان يرى فى دعوى الارث رايًا  
مخالفا لمصلحته .

قال بافل بافلوفتش ذلك وهو يبتسم ، كان الاندهاش الشديد  
الذى ظهر على فلتشانينوف قد بث فى نفسه شيئا من الشجاعة :

— نعم ، نعم . انه هو نفسه . هل تتذكره ؟ كنتما تسيران معا ،  
وكنت انا انظر اليكما من الرصيف الثانى ، انتظر ان تتركه لاقترب  
منه . لقد عملنا معا فى ادارة واحدة ، منذ عشرين سنة . ولكننى  
حين كنت اتهايا للاقتراب منه ، لم يكن فى ذهنى أى مشروع ، وانما  
انبعثت هذه الفكرة فى نفسى منذ اسبوع .

قال فلتشانينوف بدهشة ساذجة :

- ولكن يخيّل الى ان هذه الأسرة أسرة محترمة جدا .
- محترمة جدا جدا . وماذا ؟
- قال بافل بافلوفتش ذلك ، وانقبضت اسارير وجهه قليلا .
- اوه لا شيء ... ليس هذا ما كنت أريد أن أقوله ...
- قاطعه بافل بافلوفتش يقول بسرعة فرحة :
- انهم يتذكرون زيارتك ، يتذكرونها . ولكنك لم تستطع أن ترى الأسرة في ذلك اليوم . أما الأب فانه يتذكرك ، ويقدرك . لقد حدثته عنك بأجمل عبارات الاحترام .
- ولكنك لم تترمل الا منذ ثلاثة اشهر .
- لن يتم الزواج فورا . لن يتم الا بعد تسعة أو عشرة اشهر ، وبذلك أكون قد لبست السواد سنة كاملة . صدقني اذا قلت لك ان كل شيء حسن . أولا ، لقد عرفني فيدوسي بتروفتش طفلا ، وعرف بعد ذلك زوجتي ، وعرف كيف عشنا ، وهو واقف على عملي . ثم ان لي بعض الثراء ، وقد عينت لمنصب أرفع ... هذا كله له قيمته ...
- هي اذن ابنته ؟
- سأقص عليك هذا تفصيلا .
- قال بافل بافلوفتش ذلك وفرك يديه سرورا . ثم أردف يقول :
- ولكن اسمح لي بأن أشعل سيجارة . على انك ستري بأم عينك اليوم . ان رجال الأعمال من امثال فيدوسي بتروفتش يقدرون في دوائرهم كثيرا ، هنا بيطرسبرج ، حين يتوصلون الى إبراز انفسهم ، ولقت الانظار اليهم . انه يعوزه رأس المال . انه يعيش حياة رخية ، ولكنه لا يدخر شيئا ، خاصة اذا كانت أسرته كبيرة . ان لفيدوسي بتروفتش مثلا ، ثمان بنات ، وضيبا صغيرا . تصور انه لومات اليوم لما ترك لهم الا معاشا زهيدا . ثمانى صبايا ! لو اشترى لكل منهن حذاء ، لدفع من أجل ذلك مبلغا ضخما . ان خمسة منهن هن الآن في سن الزواج . كبراهن في الرابعة والعشرين من عمرها (فتاة فاتنة ، ستري) . أما السادسة ، وعمرها ستة عشر عاما ، فلا تزال في المدرسة الثانوية . يجب ايجاد أزواج للخمس الكبريات ، ويجب تدبير ذلك بسرعة : وعلى الأب اذن أن يمضي ببناته الى المجتمع الراقى . تصور كم يكلف هذا من نفقات ! هانذا أتقدم الى هذا البيت اول خاطب ...
- هل الكبرى هي التي خطبتها ؟
- لا ... أنا ... ليست هي الكبرى . لقد خطبت السادسة



التي لا تزال في المدرسة الثانوية .  
 فقال فلتشانينوف وهو يبتسم على غير ارادة منه :  
 - كيف ؟ ألم تقل ان سنها خمسة عشر عاما ؟  
 سنها الآن خمسة عشر عاما ، ولكنها ستكون بعد تسعة اشهر  
 ستة عشر عاما ، ستة عشر عاما وثلاثة اشهر . ثم ، لم لا ؟ ولما  
 كان ذلك لا يليق الآن ، فاننا لم نعلن شيئا . اتفقنا على ذلك مع  
 الأهل . كل شيء حسن . صدقني .  
 - اذن لم يتقرر الأمر بعد ؟  
 - بل تقرر . تقرر كل شيء . كل شيء حسن . صدقني .  
 - وهي ؟ هل تعلم ؟  
 - لا تحدث في ذلك ، مراعاة للمواضعات ، ولكن كيف يمكن  
 ان تجهل ذلك ؟  
 قال بافل بافلوفتش ذلك ، وغمز بعينه ، ثم اضاف يختم كلامه  
 - فماذا ؟ هل لك ان تفرحني هذه الفرحة ؟  
 - ولكن ماذا عساني اصنع هناك ؟  
 قال فلتشانينوف ذلك ، ثم اضاف بسرعة :  
 - على كل حال ، ما دمت لن اذهب ، فلا داعي الى ذكر الاسباب  
 التي تحملك على اصطحابي .  
 - الكسي ايفانوفتش ...  
 - ولكن كيف يمكنني ان اجلس الى جانبك في عربة ؟  
 ان شعور النفور والاشمئزاز الذي بددته ثرثرة بافل بافلوفتش  
 الى حين ، يستيقظ الآن في فلتشانينوف اقوى وأعنف ، حتى لكأنه  
 يهم ان يطرده من بيته . وكان فلتشانينوف يؤاخذ نفسه على ذلك .  
 - ستجلس الى جانبي يا الكسي ايفانوفتش ، ستجلس الى  
 جانبي ، ولن تندم على ذلك .  
 قال هذا بصوت متأثر . فلما رأى فلتشانينوف يحرك يده حركة  
 مفاجئة تدل على نفاد صبره ، اضاف :  
 - لا ، لا ، لا ، يا الكسي ايفانوفتش . الكسي ايفانوفتش ،  
 انتظر قليلا قبل ان تتخذ قرارا . يخيل الى انك ربما أسأت فهمي .  
 انني افهم اننا لا يمكن ان نكون رقيقين . لست من القباء بحيث لا  
 استطيع ان افهم ذلك . والخدمة التي ارجوك الآن ان تقدمها لي  
 لا تربطك بشيء للمستقبل . ثم انني مسافر بعد غد حتما ، فكان شيئا  
 لم يحدث . هو هذا اليوم وكفى . حين جئت اليك ، كنت ابني كل  
 امل على نبل عواطفك ، على هذه العواطف التي استطاعت في هذه

الآونة الأخيرة ، أن تستيقظ في قلبك .  
 بلغ بافل بافلوفتش أقصى حدود الاضطراب ، وكان فلتشانيوف  
 ينظر اليه مندهشا . قال وهو يفكر :  
 - انك تطلب منى تقديم خدمة لك ، وتلح في ذلك الحاحا  
 يدعونى الى الحذر والريبة . أريد مزيدا من المعرفة بالأمر .  
 - الخدمة التى أطلب منك أن تقدمها لى هى أن تصحبنى ،  
 ولا شىء غير ذلك . وبعد أن نعود ، سأقص عليك كل شىء .  
 ولكن فلتشانيوف أصر على رفضه ، خاصة وقد أحس بفكرة  
 غامضة سيئة تبرز في نفسه . كانت هذه الفكرة تضرب فيه  
 مبهمة منذ تحدث بافل بافلوفتش عن خطيبته . أهى مجرد حب  
 اطلاع ، أم هى رغبة أخرى لم تتبلور بعد ؟ كان ثمة شىء يدفعه  
 الى القبول ، ولكنه كان كلما ازداد الاغراء قوة ازداد هو مقاومة .  
 كان جالسا على كرسيه ، يفكر . وكان بافل بافلوفتش يتوسل اليه ،  
 وفجأة فال مضطربا ، قلقا بعض القلق :  
 - سأذهب .

فظهرت على بافل بافلوفتش امارات فرح عظيم . قال وهو يتوالب  
 حول فلتشانيوف الذى اخذ يرتدى ملابسه :  
 - ولكنى أرجوك يا الكسى ايفانوفتش ، أن تتأنق ، كما تجيد  
 ذلك كل الاجادة .  
 « لماذا يورط هذا السخيف نفسه في مثل هذا الامر ! » ذلك  
 ما قاله فلتشانيوف لنفسه .  
 - انتظر منك خدمة أخرى يا الكسى ايفانوفتش . ما دمت قد  
 وافقت على اصطحابى ، فكن الآن مستشارى .  
 - فى أى شىء مثلا ؟  
 - سؤال هام : الشريط الاسود ، البقيه ام ارفعه؟ ايها اليق؟  
 - كما تريد .  
 - لا ، لا ، اننى انتظر قرارك . ماذا كنت تفعل أنت ، لو كان  
 على قبعتك شريط اسود ؟ كان من رأى أن ابقيه ، لأن ذلك يدل  
 اعلى وفائى وعلى ثبات عواطفى ويزكىنى .  
 - يجب أن ترفعه بداهة .  
 - هل ذلك بدهى الى هذه الدرجة ؟  
 قال بافل بافلوفتش ذلك ، وسكت يفكر لحظة ، ثم أضاف :  
 - لا بل أوتر أن ابقيه .  
 - كما تريد .

قال فلتشائينوف لنفسه : « انه مع ذلك لا يثق بى » .  
 وخرجا . كان بافل بافلوفتش ينظر بكثير من الدهشة الى  
 فلتشائينوف الاثيق كل الاناقة ، وكان وجهه يعبر عن مزيد من  
 الاحترام وخطورة الشأن . كان وضعه يثير دهشة فلتشائينوف  
 الذى كان وضعه الخاص يدهشه اكثر من ذلك ايضا . كانت عربية  
 جميلة تنتظرهما عند الباب .

— هل استأجرت عربية قبل ان تصعد الى ؟ اكنت اذن واثقا  
 كل هذه الثقة من اننى ساوافق ؟

— طلبت العربية لنفسى ، وكنت على شبه يقين من انك ستجىء .  
 اجاب بافل بافلوفتش بذلك ، وقد لاحت في وجهه كل امارات  
 السعادة .

قال فلتشائينوف حائقا بعض الحق ، حين ركبا العربية ، وسارت  
 بهما :

— هيه ، بافل بافلوفتش ! الا تظن انك مسرف في الثقة بى .

فاجاب بافل بافلوفتش جادا كثيرا ، بصوت قوى :

— ما انت ، يا الكسى ايفانوفتش ، ما انت من يقول لى ان

هذا حماقة منى .

تساءل فلتشائينوف بينه وبين نفسه قائلا : « وليزا ؟ » ولكنه  
 ما لبث ان دفع هذه الفكرة عن نفسه ، كانه يخشى ان يدنس  
 المقدسات . وفجأة ظهر لنفسه صغيرا تافها ، وظهرت له الفكرة  
 التى كانت تغريه فكرة بائسة دنيئة ، فأحس مرة أخرى برغبة  
 قوية فى ان يدع كل شىء ، وان يقفز الى خارج العربية ، ولو  
 اقتضى ذلك ان يستعمل القوة مع بافل بافلوفتش . ولكن بافل  
 بافلوفتش عاد يتكلم ، فاستولى الاغراء مرة أخرى على نفسه .

— الكسى ايفانوفتش ، هل لك خبرة بالأحجار الكريمة ؟

— اى احجار كريمة ؟

— الماس .

— نعم ، لى به خبرة .

— أريد ان أقدم هدية صغيرة . فقل لى : هل يجب ان افعل

ذلك ؟

— فى رأى ، لا .

— أما انا فأريد ان أقدم هذه الهدية ، ولكن ماذا اشترى ؟

هل اشترى الطقم كاملا : حلية الصدر ، وقرطى الاذنين ، والسوار ،

أم أكتفى بشيء واحد ؟

— كم تريد أن تدفع في ذلك ؟

— أربعمائة أو خمسمائة روبل .

— أوه ... أوه ...

— هل هذا كثير ؟

قال بافل بافلوفتش ذلك قلقلًا . فأجابه فلتشانينوف :

— لا تشتري إلا سوارًا بمائة روبل .

بدا الحزن والأسف على بافل بافلوفتش . أنه يريد أن يدفع

أكثر من ذلك ، وأن يشتري طقمًا كاملاً . وأصر على ذلك .

ووقفت بهما العربية أمام أحد المخازن . ولم يشتريا مع ذلك إلا

سوارًا ، لا السوار الذي أحب بافل بافلوفتش أن يشتريه ، بل

السوار الذي أشار به فلتشانينوف . وقد أراد بافل بافلوفتش أن

يشتري السوارين كليهما ، وحين قبل الصائغ أن يبيع السوار بمائة

وخمسين روبلاً بعد أن طلب مائة وستين ، شعر بافل بافلوفتش

من ذلك ببعض الاستياء . أنه مستعد لدفع مائتين ، إذا طلب

منه ذلك . هكذا كانت رغبته في الانفاق قوية .

فلما استأنفت العربية المسير قال بافلوفتش ، وقد ازداد فرحاً :

— لاضر في أن أقدم بعض الهدايا منذ الآن . انهم ليسوا من

الطبقة المتكلفة المتصنعة ، هؤلاء أناس بسطاء .

ثم قال وهو يتسم ابتسامة مريحة متخابثة :

— البراءة تحب الهدايا الصغيرة . لقد ضحكت منذ هنيهة من

الأعوام الخمسة عشر ، يا الكسي ايفانوفتش ، ولكن هذا نفسه

هو ما ألهب خيالي ... انها لا تزال تذهب الى المدرسة ، ويدها

كيس صغير مما تحمله التلميذات ... هيء هيء هيء ! ذلك الكيس

هو الذي استولى على . اننى أحب البراءة يا الكسي ايفانوفتش .

قد يكون من الأفضل أن أنزع الشريط الأسود ، اليس كذلك ؟

— كما تريد .

— أنزعه .

خلع قبعته ، فنزع منها الشريط الأسود ، ورماه الى الطريق .

ولكن فلتشانينوف تساءل وقد تملكه غضب حقيقى : « أحقا

هذا كل شيء ؟ ألا ينطوى الحاحه على أى فتح ؟ أهو يعتمد حقاً

على كرمي وسماحتي ؟ » لقد بدا له هذا الافتراض الأخير مهيناً .



### عند أسرة زاخليبينين

كانت أسرة زاخليبينين «أسرة محترمة» حقاً كما قال فلتشانينوف منذ عشرين : كان الأب يشغل منصباً عالياً ، وكان رجلاً مرموقاً . وما قاله بافل بافلوفتش عن مواردهم المالية صحيح أيضاً : « أنهم يعيشون حياة مترفة ، ولكن لو مات الأب لما بقي لهم شيء » . واستقبل زاخليبينين صاحبنا فلتشانينوف بحرارة عظيمة . أصبح الخصم صديقاً . قال أول ما قال ، بلهجة لطيفة ولكنها رصينة : — أهنيك . هذا أفضل . لقد ألححت أنا نفسي على اللجوء إلى حل بالتراضي . أما بيوتر كارلوفتش (محمي فلتشانينوف) فإنه رجل ممتاز من هذه الناحية . ستقبض ستين ألف روبل ، بلا مناقشات ، ولا تأجيلات ... بينما كان يمكن أن تطول القضية ثلاثة أعوام !

وقدم فلتشانينوف رأساً إلى السيدة زاخليبينين . إنها سيدة متقدمة في السن ، بدينة جداً ، ذات وجه متعب مألوف . وجاءت البنات بعد ذلك ، بعضهن وراء بعض . انهن كثيرات : عشر ، أو اثنتا عشرة . لم يستطع فلتشانينوف حتى أن يعدهن . بعضهن يدخل ، وبعضهن يخرج ... ولكن كان بينهما بنات من الجيران ، وصديقات الأسرة . كانت فيللا أسرة زاخليبينين بناءً كبيراً من الخشب ، بنى على طراز مجهول غريب ، وله ملحقات ترجع إلى عهود مختلفة ، وحديقة واسعة تتصل بها ثلاث أو أربع فيلات أخرى ، فكانت الحديقة اذن مشتركة ، وكان هذا يسهل التقارب اذن بين الأنسات زاخليبينين وجاراتهن .

أدرك فلتشانينوف ، منذ الكلمات الأولى ، أنهم كانوا ينتظرونه ، وأنهم قد أبلغوا نبأ زيارته بشيء من الاحتفال ، على أنه صديق لبافل بافلوفتش يرغب في أن يتعرف بالأسرة . وسرعان ما استطاعت

نظرتة الثاقبة الخبيرة في هذه الشئون ، أن تكتشف النية الخاصة التي تثوى وراء هذه الحفاوة : فقد استنتج من هذا التودد الشديد الذي استقبله به الأبوان ، ومن ذلك التهيؤ وهذه الزينة في الأنسات ( وكن في أجمل حلة حقا ) أن بافل بافلوفتش قد عمد الى الحيلة فأيقظ في النفوس بعض الآمال بكلمات مستترة طبعها ، فوصف فلتشانينوف أمام هذه الأسرة بأنه رجل من « الطبقة الراقية » ، ذو ثراء ، قد سئم حياة العزوبة ، ويمكن أن « ينهيها » ، وأن يستقر ، خاصة وأنه قد « ورث منذ قليل » . كان واضحا أن كبرى الأنسات زاخليبينين ، واسمها كاترينا فيدوسويفنا ، وهي التي في الرابعة والعشرين من عمرها والتي تحدث عنها بافل بافلوفتش قائلا انها فتاة فاتنة ، قد اتخذت وضعا خاصا . كانت تتميز عن أخواتها بمزيد من العناية بهندامها ، وبذلك الطريقة الطريفة في تصفيف شعرها الجميل . وكان يبدو في وجوه أخواتها وفي وجوه سائر الفتيات انهن على يقين من أن فلتشانينوف قد جاء « ليفحص كاتيا » . كانت نظراتهن وحتى بعض الكلمات التي أفلتت منهن أثناء النهار تؤيد هذا الافتراض الذي افترضه فلتشانينوف . أن كاترينا فيدوسويفنا شقراء فارعة القوام ، قوية البنية ، تكاد تكون مليئة ، ذات وجه محبب وطبع عذب ، ساكن ، لا يخلو من رخاوة . تسأل فلتشانينوف بينه وبين نفسه ، رغما عنه ، وهو ينظر اليها شاعرا بشيء من اللذة : « انه لغريب حقا انها لم تتزوج الى الآن . صحيح انها لا تملك بائنة ، وانها ستصبح مسرفة في السمعة بعد قليل . ولكن لابد أن يوجد الآن هواة ... » ولم تكن الأخوات الأخريات غير جميلات أيضا . ولاحظ فلتشانينوف بين الجارات بعض الوجوه المليحة بل والجميلة . واخذ هذا الموضوع يسليه . ثم انه قد بيت أمرا عند دخوله .

أما نانديجدا فيدوسويفنا ، الأخت السادسة ، التلميذة في المدرسة الثانوية ، التي كان بافل بافلوفتش يعدها خطيبته ، فقد أخذ فلتشانينوف يشتهي أن يراها ، فكان ينتظرها بصبر فارغ ، حتى لقد أدهشه ذلك منه في أعماق نفسه . ودخلت أخيرا ، تصحبها صديقة لها اسمها ماريا نيكييتشنا ، وهي فتاة سمراء يقظة الوجه حاذقة شرسة كان بافل بافلوفتش يخاف منها خوفا شديدا كما اتضح ذلك فيما بعد . أن ماريا نيكييتشنا هذه فتاة في الثالثة والعشرين من عمرها ، ضحوك وذكية ، تعمل مربية عند أسرة صديقة

من الجيران لها أطفال صغار. وكانت أسرة زاخليبينين منذ مدة طويلة تعدها منها ؛ وكانت الفتيات تحبها حب عبادة . وكان واضحا أن ناديا خاصة لا تستطيع الاستغناء عنها في هذه اللحظة . لاحظ فلتشائينوف من النظرة الأولى أن الفتيات جميعا قد اعتصبن على بافل بافلوفتش ، حتى الجارات ، ولم يلبث أن لاحظ أيضا بعد دخول ناديا بدقة واحدة أنها تحتقره أيضا . ولاحظ كذلك أن بافل بافلوفتش لا يدرك ذلك ، أو لا يريد أن يصدق . كانت ناديا أجمل أخواتها ، ما في ذلك جدال : فتاة صغيرة سمراء ، عنيقة الوجه قليلا ، جريئة جسور ، شيطانة ذات عيني ملتمعتين براقتين ، وابتسامة عذبة على مكر وخبت في بعض الأحيان، وشفتين جميلتين، وأسنان رائعة وكانت ذات قوام أهياف ، ممشوق . وكان وجهها ، على أنه لا يزال وجه طفلة ، يعبر منذ الآن عن حرارة الروح ، واتقاد الفكر . وكانت كل حركة من حركاتها وكل كلمة من كلماتها تنبئ عن سنيها الخمس عشرة . وقد اتضح فيما بعد أنها حقا كانت تحمل كيسا من القماش المشمع مما تحمله التلميذات ، حين رآها بافل بافلوفتش أول مرة ، ولكنها أصبحت الآن لا تحمل هذا الكيس .

لم يظفر السوار بالاعجاب ، حتى لقد أحدث شيئا من الانزعاج . أن بافل بافلوفتش ، ما أن لمح خطيبته حتى تقدم منها مبتسما ، وقدم لها هديته بحجة « السرور العظيم الذي شمر به في المرة السابقة حين غنت ناديجدا فيدوسويفنا تلك الأغنية الجميلة على البيانو ... » قال ذلك ، وارتبك ، ولم يستطع أن ينهي كلامه ، بل ظل حائرا مضطربا يحاول أن يدس العلية في يد ناديا التي كانت لا تريد أن تأخذها ، وكانت تحاول أن ترد ذراعها إلى وراء ، وقد احمر وجهها خجلا وغضبا . ثم التفت بوقاحة إلى أمها التي كان يبدو عليها انزعاج شديد ، فقالت بصوت عال :

— لا أريد أن آخذها يا أمي !

قال الأب بصوت حازم قاس :

— خذيها ، واشكريه .

ولكن الأب كان مستاء هو أيضا ، فقال لبافل بافلوفتش بصوت منخفض وهو ينظر إليه نظرة ذات معنى :

— عبث ، عبث !

واضطرت ناديا إلى الامتثال ، فتناولت العلية ، فاضة طرفها

ثانية ساقها الى وراء علامة الاحترام، كما تفعل البنات الصغيرات، ولكنها فعلت ذلك بعنف وسرعة . واقتربت احدى اخواتها لتري السوار ، فأعطتها ناديا العلبة مغلقة ، لتدل بذلك على انها لا تريد حتى ان تنظر الى الحلية . وفتحت العلبة ، واخذ السوار ينتقل من يد الى يد . ولكنهن نظرن فيه جميعا صامتات ، حتى ان بعضهن نظرن فيه وهن يتسمن ابتسامة ساخرة . وقالت الام وحدها ، بصوت رخو ، ان السوار جميل جدا . تمنى بافل بافلو فتش لو تنشق الأرض وتبلعه .

وسرعان ما أسعفه فلتشائينوف ، اذ اخذ يتدفق في الحديث بصوت عال ، منتهزا اول فكرة خطرت بباله ، فما انقضت خمس دقائق ، الا واستولى على انتباه جميع الأشخاص الحاضرين . كان فلتشائينوف يجيد فن الحديث في الصالونات اجادة رائعة ، وهو فن قوامه الظهور بمظهر البساطة التامة والصدق الكامل ، والظهور بمظهر من يعد مستمعيه اناسا ينعمون بغاية البساطة ومنتهى الصدق ايضا . وكان يعرف ان يمثل دور الانسان المرح السعيد ، اذا اقتضى الحال . وكان يعرف ايضا ان يرمى في اللحظة المناسبة كلمة فكهة او غمزة مضحكة او نكتة جميلة ، وكأنها جاءت مصادفة دون ان يقصدها او يفكر فيها ، رغم ان الكلمة الفكهة والغمزة المضحكة والنكتة الجميلة وحتى الحديث كله ، رغم ان ذلك كان جميعا يمكن ان يكون مهيا منذ مدة طويلة ، وان يكون محفوظا عن ظهر القلب ، وان يكون قد درج على لسانه مرتبة كثيرة . الا ان مزاجه اليوم كان يسعف شيئا يدفعه الى الحديث دفعا . كان على يقين مطلق ، متأكد ، من ان هذه الاعين كلها ستلتفت اليه بعد بضع دقائق ، وان هؤلاء الأشخاص جميعا لن يصفوا الى احد غيره ، ولن يكلموا احدا غيره ، ولن يضحكوا الا لما سيقوله هو . وما هي الا فترة قصيرة واذا بالضحكات تنطلق فعلا من هنا ومن هناك . وما لبث الحديث ان أصبح عاما يشاركون فيه جميعا ، وصرت تسمع ثلاثة أصوات او أربعة أصوات تتكلم معا في آن واحد ، حتى ان وجه السيدة زاخليبينين الجهم المتعب انبسطت أساريره رضا بل وفرحا . وكذلك كاترينا فيدوسويفنا التي كانت تصفى وتنظر مفتونة مأخوذة . وكانت ناديا تراقب فلتشائينوف خلسة بانتباه شديد . كان واضحا انها قد حذرت منه ، فما زادها ذلك الا حماسة . اما ماريا نيكيتشنا « الخيشة » فقد استطاعت ان ترميه اثناء الحديث بغمزة لاذعة :



قالت ان بافلوفتش قد حدثهم امس بان فلتشائينوف صديق من اصدقاء طفولته ، وبذلك اضافت الى سنه سبع سنين طوال ، ملححة على ذلك . ولكن فلتشائينوف استطاع ان يحظى حتى باعجاب الخبيثة ماريا نيكييتشنا . وبهت باقل بافلوفتش . كان يصرف ، طبعاً ، ما يملكه صديقه من وسائل ، وقد سره نجاحه كثيراً في اول الأمر ، فضحك مع الضاحكين في تواضع ، وانضم اليهم في الحديث ، ولكنه ما لبث ان أصبح حالماً ذاهلاً حزينا ، وقضح وجهه المهموم ما يضطرب في نفسه من عواطف .

قال الأب زاخليبينين بلهجة مرحة ، وهو ينهض ليذهب الى غرفته في الدور الثاني حيث تنتظره أوراق كثيرة يجب ان يوقعها رغم ان اليوم يوم عيد :

— أرى أنك ضيف لا حاجة للمرء في معاملته الى كلفة . تخيل اننى كنت أظنك من أشد الشباب سوداوية . ما أكثر ما يخطئ الانسان ! وكان في الصالون بيانو . فأراد فلتشائينوف ان يعرف من يعرف عليه ، فاتجه فجأة الى ناديا يسألها :

— أظن أنك تغنين ؟

فأجابته بجفاف :

— من قال لك ذلك ؟

— قال ذلك بافل بافلوفتش منذ هنيهة .

— غير صحيح . أنا لا أغنى الا لأضحك ، بل ان صوتى غير جميل .

— وأنا أيضاً صوتى غير جميل ، ومع ذلك أغنى .

— هل تقنى اذن ؟ اذا غنيت أنت أغنى أنا .

قالت ناديا ذلك وقد التمت عيناها . ولكنها اضافت :

— غير اننى لن أغنى الآن ، بل فيما بعد . . . بعد الغداء . لقد

سُئمت البيانو . جميع الناس في بيتنا يغنون ، ويعزفون من الصباح الى المساء . لو لم تعزف الا كاتيا ، لكان ذلك فوق الكفاية . .

فأدرك فلتشائينوف الأمر في مثل لمح البصر . ان كاترينا فيدوسويفنا هي الوحيدة التى تمارس الموسيقى جادة . فسألها فوراً ان تعزف . وسرت الفتيات جميعاً من أنه اتجه الى كاتيا ، حتى ان ماما (١) نفسها احمر وجهها سروراً . نهضت كاترينا فيدوسويفنا مبتسمة ، واتجهت الى البيانو . واحمر وجهها فجأة ، فاضطربت أشد الاضطراب من هذا الاحمرار الذى فاجأها كأنها طفلة صغيرة ، مع أنها كبيرة ، قوية ، فى

(١) بالفرنسية فى الاصل .

الرابعة والعشرين من عمرها . ظهرت هذه المشاعر كلها في وجهها حين أخذت تعزف .

عزفت قطعة لهايدن ، فكان عزفها واضحا ، ولكن ليس فيه تعبير كثير : لقد كانت خجلى . فلما انتهت من العزف أخذ فلتشانينوف يكيل المديح حارا لا لعزفها بل لهايدن ، ولهذه القطعة التى عزفتها خاصة . فلاحت في وجهها معانى السرور الكبير والشكر العميق على أن المدائح لم توجه اليها بل الى هايدن ، فمما وسع فلتشانينوف الا ان ينظر اليها نظرة احفل بالانتباه واللفظ ، وكأنه يقول لها : « انك حقا لفتاة طيبة » ، وبدا أن الحاضرين جميعا فهموا هذه النظرة ، وخاصة كاترينا فيدوسويفنا نفسها .

قال فلتشانينوف فجأة ، دون أن يتجه بكلامه الى أحد بالذات ، وهو يلتفت الى باب الشرفة الزجاجى :

— ما أجمل حديقتكم هذه . هيا بنا الى الحديقة !

— نعم ، هيا بنا الى الحديقة .

بهذا صاحوا جميعا فرحين ، كأن فلتشانينوف قد أدرك أقوى رغبة تجيش في أنفسهم كلهم .

وظلوا يتنزهون في الحديقة حتى حان وقت الغداء . ان السيدة زاخليبينين التى كانت تريد منذ مدة طويلة أن تذهب لتستريح لم تستطع أن تمنع نفسها من الخروج معهم ولكنها آثرت أن تجلس على الرصيف من باب الحيدر ، ثم ما لبثت أن غفت . انعقدت أواصر الصداقة بين فلتشانينوف والفتيات . وهرع من الفيللات المجاورة ثلاثة فتيان انضموا الى الموكب : احدهم طالب في الجامعة ، والثانى تلميذ في مدرسة ثانوية . وقد أسرع هذان الشابان كل الى « آنسته » ، وكان واضحا أنهما لم يجيئا الا من أجلهما . اما الثالث فهو شاب فى نحو العشرين من العمر أشعث فظ ، مظلم الوجه ، على عينيه نظارتان زرقاوان ضخمتان . تحدث مع ماريان نيكييتشنا ومع ناديا حديثا سريعا بصوت منخفض ، ثم قطب ما بين حاجبيه ، وأخذ يرمى فلتشانينوف بنظرات قاسية ، كأنه يشعر أن من واجبه أن يحتقره احتقارا عميقا . واقترحت بعض الفتيات أن يبدأوا اللعب بلا إبطاء ، فسأل فلتشانينوف عن اللعب الذى يلعبونه عادة ، فقليل له أنهم يلعبون أنواعا من اللعب ، ولكنهم فى المساء يؤثرون لعب الأمثال : يجلس الجميع ، ويبتعد الشخص الذى عليه أن يحزر . فيختارون عندئذ مثلا من الأمثال ، كقولهم : « وصاحب البيت أدري بالذى فيه » ، ثم ينادون الشخص

الذى عليه أن يحزر، ويكون على كل واحد منهم أن يقول له جملة مهياة من قبل ، فالأول يقول جملة تشتمل على كلمة « صاحب » ، والثانى يقول جملة تضم كلمة « أدرى » ، وهكذا دواليك ، ويكون على الحازر أن يلتقط هذه الكلمات وأن يركب منها المثل .

قال فلتشانيوف :

— لا بد أن هذا اللعب ممل جدا .

فأجابته عدة اصوات فى آن واحد :

— بل هو ممل جدا .

فتدخلت ناديا تقول متجهة بالكلام اليه :

— اننا نلعب أحيانا لعبة المسرح .. هل ترى تلك الشجرة الكبيرة التى يحيط بها مقعد ؟ تلك هى الكواليس التى يقف فيها الممثلون : الملك ، الملكة ، الأميرة ، الفتى الاول . ثم يخرج كل واحد منهم منى شاء ، ويأخذ يقول ما يخطر بباله . ان هذه اللعبة تنجح فى بعض الاحيان .

فقال فلتشانيوف محبذا مرة أخرى :

— لعبة جميلة جدا .

— بل هى مملة الى اقصى الحدود . لا بأس بها فى البداية ، ولكن كل شيء يرتبك ويختلط فى النهاية ، لأن أحدا لا يعرف كيف يختتمها ، قد تنجح أكثر من ذلك اذا اشتركت فيها أنت . ألا ما أجهلنا ! لقد تصورنا أنك صديق بائس بافلو فتش ! لقد أراد التباهى ، هذا كل ما فى الأمر . اننى لسعيدة جدا بأنك جئت لعمل ما .

قالت ذلك ، ونظرت الى فلتشانيوف نظرة ذات معنى ، نظرة جادة ، ثم مضت تلحق بماريا نيكييتشنا فورا .

همست فتاة كان فلتشانيوف قد لمحها لمحا ، ولم تكن قد اتجهت اليه بكلام بعد ، همست فى أذنه سرا تقول :

— سنلعب لعبة الأمثال فى المساء . نهىء «المقالب» لبافل بافلو فتش وتشترك أنت فى ذلك .

وقالت فتاة لم يكن قد لاحظها أبدا ، وكأنها انبجست فجأة من مخبأ ، وهى فتاة قصيرة حمراء ، زاد الركض والحر حررتها حتى أصبح وجهها مضحكا ، قالت :

— ما أسعدنا بمجيئك ! ان الجو هنا ممل الى اقصى حد .

كان بافل بافلو فتش يزداد قلقه شيئا بعد شيء . وانتهى الأمر بأن انعقدت أواصر الصداقة بين فلتشانيوف وناديا . أصبحت لا تنظر اليه شزرا ، ولا تفكر فى فحصه بانتباه . لقد أخذت تضحك، وتقفز،

وتطلق صرخات صغيرة ، حتى انها أمسكت بيده مرتين . كانت سعيدة جدا ، واستمرت لا تلتفت الى بافل بافلوفتش ، ولا تحفل به ، كأنه لا وجود له . وايقن فلتشائينوف ان ثمة مؤامرة حقيقية على بافل بافلوفتش : فبينما كانت ناديا وزمرة من البنسات يجذبن اليهن فلتشائينوف كانت زمرة اخرى تجذب اليها بافل بافلوفتش بحجج وأعداء شتى . الا أن بافل بافلوفتش كان يهرب منهم ، ويسرع راكضا الى فلتشائينوف وناديا يدس بينهما رأسه الأصلع القلق فجأة ليسمع ما يقولان . وأصبح أخيرا لا يتحفظ في ذلك أى تحفظ ، وأصبحت سداجة موقفه تثير الدهشة في بعض اللحظات . ولم يسع فلتشائينوف الا ان يظل يلاحظ كاترينا فيدوسويفنا بكثير من الانتباه . وقد أدركت هي ذلك ورغم اهتمامه بناديا ، وانه يهتم غير ان وجه كاترينا ظل يعبر عن تلك العذوبة نفسها ، وعن ذلك الرضا نفسه الذى كان يعبر عنه قبل ذلك ، كانت تبدو سعيدة بوجودها مع الآخرين ، واصفاها الى الزائر الجديد . وكانت ، هي المسكينة ، لا تعرف كيف تنخرط في الحديث أنخراطا سهلا لبقا .

قال فلتشائينوف لناديا فجأة بصوت منخفض :

— ما الطفها ، اختك كاترينا فيدوسويفنا .

فأجابته ناديا بحماسة :

— كاتيا ! هل يمكن ان يكون أحد الطف منها ؟ انها ملاكنا جميعا .

اننى أهواها ؟

وأخيرا ، في الساعة الخامسة ، وضع الغداء . كان واضحا انه ليس غداء عاديا ، وأن الأسرة قد تكلفت من أجل الضيف الجديد بغض الإنفقات . لقد أضيف الى قائمة الطعام المألوفة طبقان أو ثلاثة أطباق معقدة . وكان أحد هذه الأطباق غريبا جدا حتى ان أحدا لا يستطيع ان يقول ما هو ، في أغلب الظن . وازضافة الى خمر المائدة العادية ، جرى بزجاجة من خمر توكى ، لاشك انها اشتريت لهذه المناسبة خصيصا ، حتى لقد جرى في آخر الغداء بزجاجة الشمبانيا . وأسرق الأب زاخليينين قليلا في الشراب ، فصفا مزاجه ، وأصبح يضحك لكل ما يقوله فلتشائينوف . ولم يستطع بافل بافلوفتش أخرا أن يصمد أكثر مما صمد ، فحاول أن يترك هو أيضا ، تدفعه الى ذلك روح المنافسة ، فاذا بالفتيات يضحكن ضحكا صاخبا عند آخر المائدة ، حيث كان يجلس بافل بافلوفتش مع السيدة زاخليينين . وصرخت اثنتان منهم في آن واحد : تقولان :



— بابا ، بابا ، لقد قال بافل بافلوفتش نكتة ايضا : اننا فتيات  
جذيرات بالاعجاب .

— ها ! هو ايضا اخذ ينكت ! ماذا قال ؟  
كذلك سأل زاخليبينين ، بلهجة وقور كأنها تحمى بافل بافلوفتش ،  
وبابتسامة يستبق بها النكتة التي سيسمعها .  
— قال اننا « فتيات جذيرات بالاعجاب » .

— نعم ، ولكن ؟ ...  
مرة أخرى لم يفهم الأب ، ومع ذلك ازدادت ابتسامته وداعة  
ولطفا .

— كيف لا تفهم يا بابا ؟  
وشرحت له النكتة أخيرا ، فقال مرتبكا بعض الارتباك :  
— ها ... نعم ... هم ... لطيف .. في مرة أخرى ، يقول  
نكتة الطف ايضا .

قال ذلك وأنفجر ضاحكا .  
وصاحت ماريا نيكيتشنا تقول بلهجة ساخرة ،  
— لا يمكن أن يملك المرء جميع المواهب في آن واحد ، اليس  
كذلك يا بافل بافلوفتش ؟  
ثم هتفت وهي تنهض فجأة :

— ما بك ؟ انه يختنق .. لا شك انها حسكة من السمك !  
وعم الاضطراب ، وهذا بعينه ما كانت تريده ماريا نيكيتشنا ، مع  
أن كل ما في الأمر أن بافل بافلوفتش قد غص بجرعة من الخمر شربها  
اخفاء لخبله واضطرابه . ولكن ماريا نيكيتشنا أخذت تحلف ايمانا  
مغلظة بأنها « حسكة سمك » ، وبأنها رأت الحسكة بأم عينها ، وبأن  
ذلك يمكن أن يسبب الوفاة .

صاح أحدهم يقول :  
— اضربه على ظهره !  
فقال زاخليبينين :

— هذا خير ما يعمل ، حقا !  
وتطوع المتطوعون للنهوض بهذه المهمة . إن ماريا نيكيتشنا ،  
والفتاة القصيرة الحمراء ، وقد دعيت ايضا الى تناول الفساء ،  
والسيدة زاخليبينين نفسها ، ( وقد ذعرت ذعرا شديدا ) ، هؤلاء  
جميعا أردن أن يضرين بافل بافلوفتش الذي نهض عن المائدة ، وأخذ  
يحاول الافلات منهم ، مؤكدا لهم أن الأمر لا يصدو أن يكون غصة ،

وأن سعاله سيهدأ فوراً . وفهم الجميع أن ذلك كان «مقلبا» من ماريا نيكيتشنا .

— هذا يتجاوز الحدود ، أنك تسرفين ...  
هذا ما حاولت السيدة زاخليبينين أن تقوله لها بلهجة قاسية ، ولكنها لم تستطع أن تكمل عبارتها ، بل انفجرت في ضحكة مجنونة ليست من عاداتها ، فأحدث ذلك أثره أيضا .  
وبعد الغداء ، احتسوا القهوة على الرصيف .  
قال زاخليبينين بلهجة فخمة وهو يتأمل الحديقة راضيا مسرورا :  
— ما أجمل هذه الأيام في هذه السنة . ولكن لعلنا أصبحنا في حاجة الى مطر غزير .

ثم أضاف وهو ينهض :  
— أنا ذاهب لارتاح قليلا . أتمنى لكم تسلية جميلة ! أتمنى لك أيضا تسلية جميلة .  
قال جملة الاخيرة هذه وهو يربت على كتف بافل بافلوفتش ، ثم خرج .

فلما نزلوا جميعا الى الحديقة ، هرع بافل بافلوفتش فجأة نحو فلتشانينوف ، وأمسكه من كمره ، وهمس في أذنه وقد فرغ صبره يقول :

— دقيقة من فضلك .  
ودخلا في ممر بالحديقة منزل . فقال بافل بافلوفتش بصوت منخفض يخنقه الفيظ وهو يشد على ذراع فلتشانينوف :  
— لا ، لا ، لن أسمح لك في هذه المرة ، أعذرني ... لن أسمح لك في هذه المرة ...

فسأله فلتشانينوف محملا :  
— ماذا ؟ ماذا هناك ؟

فنظر آيب بافل بافلوفتش دون أن يستطيع الكلام . كانت شفاته ترتجفان ، وكان يتسم ابتسامة الخنق والفضب .  
ووصلت أصوات الفتيات من بعيد تنادي :  
— أين ذهبتما ؟ أين أنتما ؟ لقد هيأنا كل شيء !

فهر فلتشانينوف كتفيه ، ومضى يلحق بهن ، فأسرع بافل بافلوفتش يتبعه .

قالت ماريا نيكيتشنا :  
— أراهن أنه طلب منك منديلا ! لقد نسي منديله في المرة الماضية .

وأسرعت إحدى بنات زاخليبينين تقول :

— انه ينسى منديله دائما .  
— نسي منديله ! بافل بافلوفتش نسي منديله ! — ماما ، بافل  
بافلوفتش نسي منديله هذه المرة أيضا ! — ماما ، بافل بافلوفتش  
أصيب بزكام مرة أخرى !

هكذا كانت أصوات تصرخ من كل جانب .  
فقالت السيدة زاخليبينين بصوت بطيء :  
— ولكن لماذا لا يقول ؟ لماذا هذه الكلفة ؟ الزكام لا مزاح معه .  
سأتيك بمنديل . ولكن كيف يمكن أن يكون مصابا بزكام دائما ؟  
أضافت سؤالها الأخير هذا وهي تبتعد ، وقد أسعدها كثيرا أن  
تجد حجة للعودة الى البيت .

فصرخ بافل بافلوفتش يقول لها :  
— معى منديلان ، وليس بى أى زكام .  
ولكنها لم تسمعه . وما هى الا بضعة لحظات ، بينما كان بافل  
بافلوفتش يتبع الآخرين ويحاول أن يكون أقرب ما يمكن من ناديا  
وفلتشانيوف ، اذا بخادمة تصل لاهثة ، حاملة اليه منديلا .

وتعالت أصوات من كل جانب تقول :  
— هيا بنا نلعب لعبة الامثال .

كانهم قد بيتوا أمرا ، فهم يتوقعون أن يجنوا من هذه اللعبة لذة  
خاصة لا يعلم الا الله ما عسى تكون .

واختاروا مكانا ، وجلسوا على المقاعد . وكان على ماريا نيكييتشنا  
أن تكون أول الحازرين . فطلب اليها أن تبتعد أكثر ما يمكن ، والا  
تحاول التسمع على ما يقولونه . حتى اذا اختاروا المثل ، توزعوا  
الكلمات فيما بينهم فلما نادوا ماريا نيكييتشنا حزرت المثل فورا .  
كان المثل هو : الخطر عظيم ولكن الله رحيم .

ثم جاء دور الشاب الأشعث ذى النظارتين الزرقاوين . فاتخذت  
معه احتياطات أكبر : قيل له أن يبتعد حتى يصل الى حيطان البيت  
وأن يدير وجهه الى الجدار . وقام هذا الشاب بواجبه متعاليا  
محتقرا ، كأنه يشعر أن هذا اللعب يذله ، فلما نودى لم يستطع  
أن يحزر : طاف على الحلقة مرتين ، وجعل كلا من أفرادها يكرر  
الجملة التى قالها ، وفكر مدة طويلة ، قائم الوجه مظلم الأسارير ،  
على غير طائل . فأخذوا يعيرونه ، على العادة فى هذه اللعبة . وكان المثل  
الذى يجب أن يحزره هو : ما صلاة الله ، ولا خدمة للقيصر بلذاهبة  
سدى .

قال الشاب متدمرا ، وهو يهود فيجلس في مكانه مهانا :  
- المثل سخيف أصلا !

وارتفعت أصوات تقول متمللة :  
- ما هذه اللعبة المملة !

وجاء بعد ذلك دور فلتشانينوف . فاضطروه أن يبتعد أكثر من ذلك أيضا . ولم يستطع أن يحزر هو الآخر ، فزاد عدد الأصوات المتمللة قائلة :

- ما هذه اللعبة المملة ! ما هذه اللعبة المملة !  
قالت ناديا :

- الآن دورى أنا .

فصرخن جميعا بحماسة :

- بل دور بافل بافلوفتش ، دور بافل بافلوفتش .

ثم اقتيد بافل بافلوفتش الى جدار السور ، فأوقف هنالك واضعا أنفه في زاوية ، وجعلت الفتاة الحمراء القصيرة رقيقة عليه . . استرد بافل بافلوفتش بعض هدوئه ، وعاد اليه شيء من صفاء المزاج ، فكان يستعد للقيام بواجبه على أدق وجه . فوقف ساكنا كأنه حطبة ، لا يجرؤ أن يلتفت الى الورا ، ولا يزيح عينيه عن الجدار . وكانت الصغيرة الحمراء تراقبه مضطربة على بعد عشرين خطوة منه ، وتلوح للفتيات سرا . كان واضحا أن ثمة حادثا ينتظره بصبر فارغ . وفجأة حركت الصغيرة الحمراء يديها ، فاذا هن يهرين جميعا بخطا راكضة سريعة .

- اركض ، اركض ، مالك لا تركض ؟

هكذا قالت لفلتشانينوف أصوات عشر بنات في آن واحد ، وقد اقلقهن أنه لا يزال في مكانه .

فسألن وهو يتبع الآخرين :

- ماذا هنالك ؟ ما الذى حدث ؟

- أسكت . لا تصرخ . سيبقى واقفا هناك ، لاصقا أنفه بالجدار .

أما نحن فنهرب . أنظر ها هي ذى ناستيا تهرب أيضا .

كانت ناستيا ( الفتاة القصيرة الحمراء ) تركض كمن طاش صوابها ، وهي تحرك ذراعيها ، لكان أمرا لا يعلمه إلا الله قد وقع . ووصلوا أخيرا الى الطرف الثانى من الحديقة ، وراء غدير . فلما أدركهم فلتشانينوف رأى كاترينا فيدوسويفنا تناقش الفتيات



الآخرى ، وخاصة ناديا وماريا نيكيتشنا ، نقاشا حارا . قالت لها ناديا وهي تقبلها :

— كاتيا ، حببتي ، لا تفضبي .  
— طيب . لن أقول ذلك لماما . ولكنني ذاهبة . ان هذا عيب .  
ما عساه يقول هذا المسكين ، قرب الجدار ؟  
قالت ذلك ، ثم تركتهن ... الا أن الآخرى لم تأخذهن به رحمة ولا شفقة . وطلبن الى فلتشانيوف الا يلتفت الى بافل بافلوفتش أى التفات حين يلحق بهن بعد قليل ، كأن شيئا لم يقع . وصاحت الفتاة القصيرة الحمراء تقول فرحة أشد الفرح :

— والآن فلنلعب لعبة السباق .  
لم يلحق بهم بافل بافلوفتش الا بعد ربع ساعة في أقل تقدير ، ولا شك أنه قضى ثلثي هذا الوقت ساكنا قرب الجدار . كانوا يلعبون في حماسة ، وكانت الفتيات جميعا تصرخ وتضحك ، فهرع بافل بافلوفتش الى فلتشانيوف رأسا ، وقد جن جنونه من الحق ، فأمسك بكمه مرة أخرى ، وقال له :

— لحظة قصيرة ، من فضلك .

— هوه ! ما أكثر لحظاته القصار المزعجة !

قالت عدة أصوات في آن واحد :

— أنه في حاجة الى منديل أيضا .

قال بافل بافلوفتش وهو يقرع أسنانه :

— أنت السبب ، في هذه المرة ، أنت السبب !

فقاطعه فلتشانيوف ، ونصحه ، هادئا كل الهدوء ، بأن يكون مرحا ، قال له : « هذا هو السبب في أنهم يسخرن منك . أنت مزعج ، بينما جميع الناس يلهون ويضحكون ويعبثون » . وما كان أشد دهشة فلتشانيوف حين رأى أن كاتيا أثرت في بافل بافلوفتش تأثيرا قويا ، فأذا هو يستمتع فجأة ، بل يطأطئ رأسه ذلا وانكسارا ، ويلحق بالوكب ثم يشارك في الألعاب خاضعا طيحا . وقد عاملته خلال فترة من الوقت معاملة لطيفة ، فكان يلعب معه كما يلعب مع غيره ، وما هي الا نصف ساعة حتى عاد إليه مرحه تاما كاملا . وكان ، اذا اختار كل واحد من الرجال سيدة له ، يختار هو الفتاة القصيرة الحمراء « الخائنة » ، أو يختار إحدى أخوات ناديا . ودهش فلتشانيوف كثيرا حين لاحظ أن بافل بافلوفتش لم يتجه الى ناديا مرة واحدة بالكلام ، رغم أنه كان يحوم حولها دائما . كان يبدو على

كل حال أنه ارتضى عدم احتفالهن به ، كان ذلك الأمر طبيعى لا غرابة فيه . ولكنهن دبرن له ، فى النهاية ، « مقلبا » جديدا .

كانوا يلعبون لعبة « الاختباء » ، وكان يسمح للشخص أن ينتقل أثناء اختبائه ، من مكان الى مكان . وقد خطر فجأة على بافل بافلوفتش الذى اختبأ تحت دغل كثيف ، أن يختبئ فى البيت . فلما رأيته يركض ، دوت صرخاتهن . فصعد السلم بسرعة ، وهرع الى القبو . كان يعرف هنالك ركنا صغيرا وراء صندوق ، فأراد أن يندس فى ذلك الركن . غير أن الفتاة القصيرة ركضت وراءه على رءوس أصابعها ، فلما وصلت الى الباب ، أغلقته وأدارت مفتاحه . فانقطعت البنات عندئذ جميعا عن اللعب ، كما فعلن فى المرة الماضية ، وهربن لا يلوين على شيء . ولاحظ بافل بافلوفتش بعد عشر دقائق أن أحدا لا يبحث عنه ، فنهض من مكانه ، ومد رأسه من النافذة ، فلم ير أحدا . لم يستطع أن ينادى ، مخافة أن يوقظ الابوين . وقد أوعزت البنات الى الخادم والى الطباخة إيعازا شديدا للهجرة أن تختفيا ، والا تردا على بافل بافلوفتش إذا هو صرخ ينادى أحدا . فما كان يمكن أن ينقذه أحد غير كاترينا فيدوسوفنا . ولكن كاترينا كانت قد غفت حين عادت الى غرفتها تحلم . وهكذا ظل بافل بافلوفتش سجيناً قرابة ساعة ، ظهرت بعدها الفتيات واحدة بعد الأخرى - بافل بافلوفتش ! لماذا لا تجيء إلينا ؟ ان جونا مرح جدا . اننا نلعب لعبة المسرح . الكسى ايفانوفتش يمثل دور الفتى الاول . - بافل بافلوفتش ! ماذا تصنع هناك ! انك لتدهشنا حقاً ! ... - ماذا هنالك ؟

هكذا دوى فجأة ، صوت السيدة زاخليبينين . لقد استيقظت ، فقررت أن تنزل الى الحديقة ، وأن تشاهد ألعاب « الأولاد » بانتظار موعد الشاي .

- أنظري الى بافل بافلوفتش !  
قلن لها ذلك ، وأشرن بالأصابع الى النافذة التى يرى فى أطرافها وجه بافل بافلوفتش الشاحب من الحنق ، المتشنج بإبتسامة .  
قالت السيدة المعجوز وهى تهز رأسها :

- أية لذة يجد فى البقاء هناك وحده ، بينما الآخرون يلهون ويتسلون ؟  
فى أثناء ذلك الوقت ، كان فلتشانينوف قد شرف بالحظوة بثقة ناديا به ، فشرحت له السبب فى أنها « سعدت بزيارته أشد السعادة » . وقد تم الحديث بينهما فى ممر بالحديقة منعزل .

اقتربت منه ماريا نيكيثشنا ، وأشارت اليه بيدها ، بينما كان يشارك في اللعب ، ويشعر بحزن عميق ألم به فجأة ، ثم قادته الى قرب ناديا ، وتركته وحيدا معها .

بدأت ناديا تقول ، جريئة ، بصوت سريع متعجل :  
 - ايقنت الآن أنك لست صديقا حميما لبافل بافلوفتش ، كما كان يتباهى هو بذلك . واعتقد أنك الشخص الوحيد الذي يستطيع أن يقدم هذه الخدمة الهامة . خذ سواره هذا السكريه ( قالت ذلك وسحبت العلبة من جيبها الصغير ) ، ورجائي اليك أن ترده اليه حالا ، لأنني لن أخاطبه ما حييت . وتستطيع أن تقول له أنني أنا الذي كلفتك بذلك ، وتستطيع أن تطلب منه ، عدا ذلك ، ألا يتجرا بعد الآن على أن يقدم لي أية هدية . أما ما عدا هذا ، فساكلف به آخرين . هل لك أن تخدمني هذه الخدمة ، وأن تنفذ ما طلبته منك ؟  
 صاح فلتشانينوف وهو يرد اليها العلبة :  
 - أعفني من هذه المهمة ، أرجوك ...  
 كيف ؟ أعفك ؟

دهشت ناديا من رفضه أشد الدهشة ، فحملت . ثم فقدت سيطرتها على نفسها فجأة ، واوشكت أن تجهش باكية . فانفجر فلتشانينوف ضاحكا :  
 - ليس معنى هذا أنني ... كان يسمدني جدا أنه ... ولكن بيننا حسابا يجب أن يصفى ..  
 فقاطعته تقول بسرعة :

- أعرف أنه ليس صديقك ، وأنه كذب . لن أتزوجه أبدا . أعرف هذا . بل أنني لا أفهم كيف تجرا أن ... ولكن يجب عليك مع ذلك أن ترد اليه سواره القدر ، والأفهل لي من سبيل آخر ؟ أريد حتما ، أن برد اليه في هذا اليوم نفسه ، أن يتلقى هذه الاهانة . وإذا تجرأ أن يشكوني الى بابا ، فسيعرف ماسيحدث له .. وفي هذه اللحظة ، انبجس الشاب الأشعث ذو النظارتين الزرقاوين ، انبجس فجأة من أحد الأدغال . وقال لفلتشانينوف بلهجة حائقة غاضبة :

- يجب عليك أن ترد اليه السوار ... على الأقل باسم حقوق المرأة ... هذا اذا كنت قادرا على الارتفاع الى مستوى ...  
 ولكنه لم يستطع أن يكمل جملته . ذلك أن ناديا أمسكت ذراعه بقوة ، ودفعته ، وهي تصيح به :

— ما أحملك يا بردبوسيلوف ! هيا اذهب . هيا اذهب . ولا تستمع  
لنفسك بعد الآن أن تتجسس علينا . لقد أمرتك بأن تظل بعيدا . . .  
كانت ناديا تضرب الأرض برجليها . وغار الشاب الأشعث في  
الادغال . ولكنها ظلت تذرع الممر جيئة وذهابا ، وقد خرجت عن  
طورها ، واتقدت عيناها ، وضمت ذراعيها الى صدرها . ثم وقفت  
فجأة أمام فلتشانيوف وقالت له :

— انك لا تستطيع أن تتصور حماقتهم . أنت تضحك . . . ولكن  
فكر فيما يمكن أن أشعر به أنا .  
فسألها فلتشانيوف ضاحكا :

— ليس هذا هو ، أليس كذلك ؟

— طبعا ليس هو . وكيف يمكن أن تظن أن هذا هو ؟  
قالت ناديا ذلك مبتسمة ، واصطبغ وجهها بالحمرة . ثم أضافت :  
— هذا صديقه . ولكنني أتساءل كيف يختار لنفسه مثل هذا  
الصديق ! أنا لا أفهم ذلك . انهم يجمعون على أن لهذا الشاب  
مستقبلا عظيما . . . أما أنا فلا أفهم شيئا من هذا . . . انسى  
انفانوفتش ، ليس ثمة شخص آخر التجيء اليه . كلمة أخيرة : هل  
ترد السوار ؟

— هاتيه . . .

— ما الطفك ، ما أطيبك .

قالت ذلك وهي تناوله اللعبة فرحة كل الفرح . وأضافت :  
— وفي مقابل ذلك ، سأغنى لك طوال السهرة ، لأننى أغنى غناء  
جيذا جدا ، فأعلم ذلك . . . لقد كذبت حين زعمت لك اننى لا أحب  
الموسيقى . ليتك تعود ، ولو مرة واحدة أخرى . . . لشد مايسرنى  
أن تعود . سأقص عليك كل شيء ، كل شيء ، وسأروى لك أشياء  
أخرى كثيرة ، لأنك طيب ، طيب جدا ، مثل كاتيا تماما .

فلما عادوا لتناول الشاي غنت له ناديا فعلا لحنين عراميين بصوت  
لم يصقل بعد ، ولكنه صوت جميل ما فى ذلك شك . كان بافل  
بافلوتش جالسا قرب الابوين حول مائدة الشاي التى كان عليها  
سماور كبير يغلى ، واقداح من خرف سيفر . كان لعله يحدثهما  
فى أمور هامة جدا ، لأنه سيسافر بعد غد ، وسيغيب تسعة أشهر .  
بدا بافل بافلوفتش كأنه لا يهتم بالشبيبة العائدة من الحديقة ،  
ولا يحفل بفلتشانينوف خاصة . وكان واضحا أنه لم يشك أمره  
بعد . وكان كل شيء الى ذلك الحين هادئا . حتى اذا تهيأت ناديا



للفناء ، ظهر فجأة . فتمددت ناديا الا ترد على سؤال وجهه اليها .  
ولسكنه لم يضطرب من ذلك ولم يرتبك بل جلس وواء كرسيها ،  
كانما ليعلن بذلك ان هذا هو مكانه وأنه لن يتخلى عنه لاحد .  
— الكسى ايفانوفتش هو الذى سيفنى الآن . ماما ، ان الكسى  
ايفانوفتش يريد ان يفنى .

هكذا صاحت الفتيات وهن يسرعن الى البيانو ، ويتحلقن حول  
فلتشانينوف الذى جلس اليه جلسة الواثق بنفسه ، واستعد لأن  
يعزف لنفسه اثناء غنائه . فانتقل الأبوان من قاعة الطعام الى  
الصالون ، وكذلك فعلت كاترين فيدوسوفنا التى هيات الشاى .  
اختار فلتشانينوف اغنية غرامية من تأليف جلنكا ، أصبحت اليوم منسية :  
حين تنفرج شفتاك فى اللحظة الفرحة

فتخاطبيننى بكلام أرق من سجع حمامة ...

ففناها متجها الى ناديا الواقعة قربه . لقد فقد فلتشانينوف صفاء  
صوته منذ مدة طويلة ، ولكن المرء يدرك حين يسمعه ان صوته كان  
جميلا من غير شك . لقد سمع فلتشانينوف هذه الاغنية ، اول مرة ،  
منذ عشرين عاما ، حين كان طالبا ، سمعها من جلنكا نفسه ، فى  
سهرة فنية اقيمت فى بيت أحد أصدقاء المؤلف . ففى ذلك اليوم  
غنى جلنكا الاغنيات التى كان يؤثرها على غيرها من اغنياته ، وكانت  
هذه الاغنية من بينها ... وكان جلنكا يومئذ يفنى ويعزف بحماسة  
وحرارة ، رغم أنه كان قد فقد جمال صوته . ولكن فلتشانينوف  
لا يزال يتذكر الأثر العميق الذى أحدثته هذه الاغنية نفسها فى قلوب  
المستمعين . ما كان الاى فنان حاذق ، ولا لاى مفن من مفنى الصالونات  
ان يبلغ فى غنائه ما بلغه جلنكا يومئذ من عنف التعبير . ان الهوى  
ليشتد ويتفتح فى هذه الاغنية عند كل جملة جديدة من اللحن . ومن  
أجل هذا التوتر الذى ماينفك يزداد ، فان أيسر مبالغة يقع فيها المغنى ،  
وأبسط خطيئة يقتربها ، مما قد يفوت المرء ادراكه فى أوبرا ، يمكن  
ان يهدم هنا معنى اللحن ، وأن يضعف دلالاته . ان هذه الاغنية  
البسيطة كل البساطة ، ولكن الرائعة كل الروعة ، تتطلب ممن يريد  
ان يغنيها غناء تاما ، ان يكون صادق الالهام ، صادق الهوى ، أو ان  
يعيد خلق ما فيها من شعر ، فى اقل تقدير . والا بدت الاغنية عامية  
مبتذلة : ان من المستحيل ان يعبر المرء عن هوى عنيف هذا العنف  
تعبيرا قويا هذه القوة ، بدون ان يشير شيئا من الاشمئزاز ، اللهم  
الا ان يدخل فيها ما يجب لها من صدق ، وبسساطة وشيء من

السذاجة . ان فلتشانينوف يتذكر أنه استطاع في الماضي ان ينجح في غنائها نجاحا تاما . لقد تمثل طريقة جلنكا في غنائها اكمل تمثل . فلما بدا في غنائها هذه المرة ، حتى أسكر الإلهام روحه وأرعش صوته ، منذ أول نغمة من اللحن ، منذ أول بيت من القصيدة . فاذا العاطفة تزداد تدفقا وتزداد جراءة في التعري ، عند كل كلمة جديدة ، واذا الأبيات الأخيرة أشبه بصرخات من صرخات الهوى الجامح ، حتى اذا غنى هذه الابيات ، وهو يشخص بعينه المتقدتين الى ناديا :

الآن انظر في عينيك نظرة جريئة .. واقرب شفتي من شفتيك بعد ان فقدت القدرة على الاصفاء الى كلامك ،  
أريد ان اقبلك ، ان اقبلك ، ان اقبلك .

ارتعشت ناديا بما يشبه الخوف ، حتى لقد تراجعت بحركة صغيرة الى الوراء ، واصطبغ خذاها بحمرة الدم ، ولاحظ فلتشانينوف في وجهها الخجل الوجل تعبيرا سريعا عن الرضا والقبول . وبدا على جميع المستمعين أنهم مفتونون ، ولكنهم مضطربون ، كأنهم يعتقدون جميعا أن من المستحيل ، أن من المخجل أن يغنى المرء هكذا . ومع ذلك كانت وجوههم تحمر ، وعيونهم تتقعد ، وكأنهم ينتظرون أن يستمر المغنى على الغناء . ولاحظ فلتشانينوف خاصة وجه كاترينا فيدوسويفنا الذي أوشك أن يصبح جميلا .

ودمد المعجوز زاخليبينين يقول مضطربا :

— ها ... هذه أغنية ... ولكن اليست عنيفة مسرفة في العنف ؟  
انها جميلة جدا ، ولكنها عنيفة ...  
وتدخلت امراته تقول :

— نعم هي عنيفة ...

ولكن بافل بافلوفتش لم يتح لها أن تتم كلامها ، فقد نهض مسرعا ، وكما بفعل مجنون فقد كل سيطرة على نفسه ، مضى نحو البيانو ، فأمسك بذراع ناديا وأبعدها عن فلتشانينوف بعنف ، وقد أصبحت عيناه كعيني وحش كاسر ، وأخذت شفتاه ترتجفان ، فقال لفلتشانينوف بصوت متقطع :

— أريد ان اكلمك

أدرك فلتشانينوف أن بافل بافلوفتش قادر في الحالة التي هو فيها ، على ارتكاب أفظع الاعمال الجنونية ، فأمسك يده ، وخرج به دون أن يلتفت الى ما أصاب الحاضرين من دهشة ، خرج به الى الرصيف ، وسار به بضع خطوات في الحديقة التي أوشكت أن يعمها الظلام

قال يا فلان يا فلوفتش :

— هل تعرف أن عليك أن تذهب معي ، حالا ، في هذه اللحظة ؟  
— لا ، لا أعرف .

فاستأنف يا فلان يا فلوفتش يقول بصوت حار ، ولكنه مختنق :  
— هل تتذكر أنك أردتني ذات يوم على أن أقول لك كل شيء ،  
كل شيء ، صراحة ؟ أن أقول لك « الكلمة الأخيرة » ؟ هل تتذكر ؟  
أذن فاعلم أن الوقت قد حان وانني سأقول لك هذه الكلمة فلنذهب !  
فكر فلتشائينوف ، ورمى يا فلان يا فلوفتش بنظرة أخيرة ، ووافق  
على الذهاب .

فلما أعلننا أنهما ذاهبان دهش الابوان واستاءت البنات جميعا .  
قالت السيدة زاخليبينين بصوت شاك :  
— فنجان من الشاي ، على الأقل ...

وقال العجوز زاخليبينين بلهجة مستاءة قاسية ، متعجبا بكلامه  
إلى يا فلان يا فلوفتش الذي كان صامتا يحاول أن يبتسم :  
— فيم اضطرابك هذا ؟

وأسرعت البنات تقفن ليا فلان يا فلوفتش ، وهن ينظرن إليه غاضبات :  
— لماذا تأخذ الكسي أيفانوفتش ، يا يا فلان يا فلوفتش ؟  
أما ناديا فقد رمته بنظرة فيها من السوء ما جعله يرتبك ويشعر  
بكثير من الحرج ، ولكنه لم يخضع .

قال فلتشائينوف وهو يصافح رب البيت ويودع السيدة  
زاخليبينين ويودع الفتيات ، وينحني أمام كاترينا فيدوسوينا انحناء  
خاصة لوحظت :

— اني لاشكر يا فلان يا فلوفتش على أنه ذكرني بأمر خطير كل  
الخطورة كنت قد نسيت .

قال زاخليبينين بلهجة عميقة نافذة :

— نشكر لك زيارتك هذه ، وسيسعدنا دائما أن نراك .

وأضافت زوجته تلح بحرارة :

— نعم ، سيسعدنا أن نراك .

— عد إلينا ، يا اليكسي أيفانوفتش ، عد إلينا .

هكذا صاحت به الفتيات من أعلى الشرفة ؛ بينما كان يركب  
العربة إلى جانب يا فلان يا فلوفتش ، حتى لقد خيل إليه أنه سمع صوتا  
صغيرا يهتف هتافا دون هتاف الاخريات علواً : « عد إلينا أيها  
العزير ، أيفانوفتش » فقال في نفسه « انها الحمراء القصيرة » .

- ١٣ -

### الى أى جهة يميل الميزان

كان لا يزال قادرا على أن يفكر في الفتاة القصيرة الحمراء ، ولكنه كان مستاء من نفسه ، وكان الندم يقلق روحه . ثم انه طوال ذلك اليوم الذى انقضى مرحا كل ذلك المرح في الظاهر ، لم يتركه حزنه لحظة واحدة ، حتى انه قبل أن يأخذ بالغناء أصبح لا يعرف كيف يتخلص من هذا الحزن . ولعل هذا هو السبب في أنه استطاع أن يغنى الاغنية الفرامية بعاطفة مشبوبة .

قال لنفسه بمرارة : « كيف أمكننى أن انحدر الى هذا الدرك . . . وأن أنسى كل شيء ؟ » ولكنه أسرع يدفع أفكاره في مجرى آخر . لقد تراءى له أن من الدل والهوان أن يثن ويتفجع . أن من الأفضل أن يصب غضبه على شخص ما ، بأسرع ما يمكن . فمدم يقول حاتقا ، وهو يلقي نظرة مواربة على بافل بافلوفتش الذى كان يجلس الى جانبه صامتا :  
- أخمق .

ولكن بافل بافلوفتش أصر على صمته . لعله كان يهين نفسه ، ويستجمع أفكاره . كان من حين الى حين يرفع قبعته بحركة فاقدة الصبر ، ويمر على جبينه بمنديله .

قال فلتشائينوف لنفسه مهتاجا : « انه يعرق » . ولم يفتح بافل بافلوفتش فمه بكلام الا مرة واحدة ، ليسأل الحوذى هل ينذر الجو بعاصفة ؟ فأجابه الحوذى :

- آ . . . طبعاً . . . كيف لا ؟ لقد كان النهار ثقيلًا جدا . . .

واربدت السماء فعلاً . ولحمت بروق بعيدة تحدد الأفق . ووصلت العربية الى المدينة فى الساعة الحادية عشرة .

فلما أمست غير بعيدة عن منزل فلتشائينوف ، قال بافل بافلوفتش منبها :



— ساذهب الى بيتك .  
— أعرف ذلك ، ولكننى انبهك منذ الآن الى اننى مريض حقا .  
— لن أمكث مدة طويلة .  
فلما دخلا باب العمارة ، مضى بافل بافلوفتش لحظة الى مافرا في حجرة البواب . حتى اذا لحق بفلتشانينوف سألـه هذا بلهجة قاسية :

— ماذا ذهبت تصنع هناك ؟  
ودخلا البيت .  
فأجابه بافل بافلوفتش بقوله :  
— لا شيء . . . من أجل العربة .  
— لن أسمع لك أن تشرب .  
جلس بافلوفتش على المقعد . ووقف فلتشانينوف أمامه عابسا مظلم الوجه ، ثم قال له بفيظ لايزال مكبوحا :  
— أنا أيضا وعدتك بأن أقول لك الكلمة « الأخيرة » ! اسمع : اننى أرى ، وأنا أملك وعيى كاملا ، أن جميع المسائل قد صفيت بيننا تصفية حاسمة ، فلم يبق اذن ما يقوله أحدنا للآخر . أفليس من الأفضل ، والحالة هذه ، أن تذهب قورا ، وأن أغلق الباب وراءك ؟ فقال بافل بافلوفتش أخيرا ، وهو ينظر فى عينى صاحبه نظرة ودیعة رفيقة :

— لنصف حساباتنا يا الكسى ايفانوفتش .  
قال فلتشانينوف ، وقد دهش اشد الدهشة :  
— نصفى حساباتنا ؟ يا له من تعبير غريب هذا الذى تستعمله ! أى حسابات تعنى ؟ أهذه هى اذن الكلمة الأخيرة التى وعدت ؟  
لم يجب بافل بافلوفتش ، وأشعل فلتشانينوف شمعة ، فما لبث بافل أن قال :

— هذه هى . .  
— لم يبق بيننا حسابات نصفیها . لقد تمت التصفية منذ مدة طويلة .

قال فلتشانينوف ذلك بزهو و صلف .  
فأجابه بافل بافلوفتش بلهجة مؤثرة وهو يضم يديه ضما وثيقا بحركة غريبة ، على صدره :  
— هل تعتقد بذلك حقا ؟  
فلم يجبه فلتشانينوف ، بل أخذ يسير فى الغرفة جيئة وذهابا .

وكان قلبه يئن قائلا : « ليزا ؟ » . وقال بعد صمت طويل :

— كيف تريد أن أسدد ما على ؟

كان بافل بافلوفتش ما ينفك يتابعه بعينيه ، ويداه لا تزالان مضمومتين على صدره ، فدمدم بصوت متوجع يقول وهو ينهض فجأة عن مقعده :

— لا تذهب بعد الآن الى هناك !

— كيف ؟ أهذا كل شيء ؟

قال فلتشائينوف ذلك ، وضحك ضحكة خبيثة ، ثم اضاف يقول باحتقار :

— أستطيع أن أقول انك أدهشتني اليوم .

ولكن تعبير وجهه مالبت أن تبدل فجأة ، فقال بصوت حزين ، وعاطفة عميقة :

— اسمعني يا بافل بافلوفتش . أعتقد انني ما هبطت يوما ، في أي ظرف من الظروف ، الى مثل هذا الدرك الاسفل الذي هبطت اليه اليوم : اولا بقبولي مرافقتك الى هناك ، وثانيا بسلوكي الذي سلكته هناك ... هذه ضعة ، هذه حقارة ... لقد دنست نفسي ... لقد حقرت شرفي ، اذ ارتضيت .. نسيت .. نعم .. ثم ماذا ؟ ولم يتم فلتشائينوف كلامه ، فقد تاب الى رشده . ثم أردف يقول :

— اسمع ! لقد غافلتني اليوم مغافلة ... كنت مهتاجا ، مريضا ... ولكن علام أبرر نفسي ؟ انني لن اذهب الى هناك ، وأؤكد لك أنه لا شيء يفريني بالذهاب .

— حقا ؟ حقا ؟

هكذا صاح بافل بافلوفتش دون أن يخفي فرحه . فنظر اليه فلتشائينوف من قمة رأسه الى أخمص قدميه ، باحتقار ، ثم استأنف سيره في الفسحة . ولم يستطع أخيرا أن يمنع نفسه عن أن يقول لصاحبه :

— يظهر انك مصر على الاصرار على أن تكون سعيدا .

فأجابه بافل بافلوفتش بصوت عذب يقول :

— نعم .

قال فلتشائينوف لنفسه : « هل يهمني ألا يكون الا مهرجا ، وأن لا يكون خبيثا الا حمافة وشبلاء ؟ انني لا أستطيع الا ان اكرهه ، حتى لو كان لا يستحق الكره » .

قال بافل بافلوفتش وهو يبتسم ابتسامة ذليلة مدعنة :  
 - لست إلا « زوجا أبديا » . لقد تعلمت منك هذا التعبير ،  
 يا الكسى ايفانوفتش ، حين كنت لاتزال تقليم قربنا . حفظت ، في تلك  
 السنة ، كثيرا من تعابيرك . فلما قلت في المرة الماضية ، هنا ، « الزوج  
 الابدى » ، فهمت .

دخلت مافرا تحمل زجاجة شمبانيا ، وقدحين .  
 - اعذرني يا الكسى ايفانوفتش ، فأنت تعرف حق المعرفة اننى  
 لا أستطيع ان أستغنى عن هذا . لا تعد ذلك وقاحة منى ، ولا تنظر الى  
 نظرتك الى غريب ، نظرتك الى شخص غير جدير بك أبدا .  
 فقال فلتشائينوف يأذن له مشمئزاً :

- اشرب . ولكننى أؤكد لك اننى مريض .  
 فأسرع بافل بافلوفتش يقول :  
 - نعم ، حالا ، حالا . كأس واحد لا اكثر ، ان حلقى ...  
 قال ذلك وأفرغ كأسه في جوفه بسرعة ، دفعة واحدة ، وجلس  
 وهو يلقي على فلتشائينوف نظرات توشك أن تكون عاطفية .  
 وخرجت مافرا .

دمدم فلتشائينوف يقول :

- عار ، عار .

- اللذب ذنبهن ، هؤلاء الصديقات الصغيرات . ثم انهن في ميعة  
 الصبا ، وتمام النضج ... يعشن ويلهون ... بل ان هذا لفائن ساحر .  
 وهناك ساكون خادما ... أنت تفهم ذلك . ستجد نفسها محاطة  
 بالوان الرعاية والاحترام ... المجتمع الراقى ... لسوف تتبدل كل  
 التبدل .

قال فلتشائينوف لنفسه مسرورا وهو يتلمس العلبة في جيبه :  
 « يجب مع ذلك ان أرد له السوار » .  
 وتابع بافل بافلوفتش كلامه يقول بلهجة النجوى والمسارة ، بلهجة  
 رقيقة :

- كنت تقول منذ لحظة اننى مصر على ان اكون سعيدا . وهذا  
 صحيح ، والا ما عسى ان اصير اليه من مصير ؟ انظر ! ( قال ذلك  
 وأشار الى الزجاجة ) . وهذا ايسر عيوبى وآفاتي . لا أستطيع ان  
 أعيش اذا لم أتزوج ، اذا لم أسترده ثقتى القديمة بنفسى . ان الايمان  
 يبعثنى بشا جديدا .

- ولكن لماذا تقص على هذه الامور كلها ؟

قال فلتشائينوف ذلك وأوشك أن ينفجر ضاحكا . لقد بدا له ذلك مضحكا . ثم أردف :

— قل أخيرا لماذا جررتني إلى هناك ؟ ماذا كانت حاجتك إلى ؟  
— لأعرف ...

بدا بافل بافلوفتش يقول ذلك ثم اذا به يرتبك فجأة اشد الارتباك .  
— لتعرف ماذا ؟

— لأعرف ما يكون لك من تأثير ... اسمع يا الكسى ايفانوفتش .. اننى لم ابدأ محاولتى هناك الا منذ اسبوع (كان يزداد ارتبأكه) ، وقد لقيتك أمس ، فقلت فى نفسى : « اننى لم أره بعد فى مجتمع من الغرباء ، مع أناس غريبى » . فكرة حمقاء ، أشعر بذلك الآن . فكرة حمقاء لا محل لها . ولكن الأغراء كان أقوى من أن أستطيع دفعه . ذلك هو طبيعى السوء .

قال ذلك ورفع رأسه فجأة ، وقد احمر وجهه .  
تساءل فلتشائينوف مذهولا : « ترى هل يقول كل الحقيقة ؟ »  
ثم سأله :

— ثم ماذا بعد ذلك ؟

فابتسم بافل بافلوفتش ابتسامة الرضا الماكر ، وقال :  
— لم يكن ذلك كله الا لعبا طفوليا جميلا ! والذنب ذنب الصديقات على كل حال . اغفر لى سلوكى الاحمق اليوم معك . الكسى ايفانوفتش لن أفعل ذلك مرة اخرى أبدا ، لن يقع هذا مرة اخرى أبدا .

قال فلتشائينوف وهو يتسم :

— ولكننى لن اذهب إلى هناك بعد الآن .  
— اعتمد على ما تقول .

فاغتاض فلتشائينوف لحظة ، ثم قال :

— ولكننى لست الانسان الوحيد فى الدنيا .

فاحمر وجه بافل بافلوفتش من جديد وقال :

— يؤلمنى أن أسمعك تقول هذا الكلام يا الكسى ايفانوفتش :

اننى أحترم ناديجدا فيدوسويفنا كثيرا . صدقنى .

— عفوك ، ما قصدت شيئا . ولكننى أستغرب مع ذلك أنك

وثقت بى هذه الثقة الكاملة كلها ، رغم ما تظنه فى من قدرة عظيمة على الإغراء .



.. ما وثقت كل هذه الثقة ، الا لان الامر يجرى الآن ، بعد كل ما جرى في الماضي .

.. انت اذن لا تزال تعدني الى الآن رجلا شريفا كل الشرف .  
قال فلتشائينوف ذلك وتوقف عن الكلام فجأة . ان سداجة هذا السؤال كان يمكن ان تدهشه هو نفسه في غير هذه اللحظة .  
قال بافل بافلوفتش وهو يفض طرفه :  
.. لقد عددتك دائما كذلك .

.. نعم نعم ، طبعاً ، ما الى هذا قصدت ، ما اردت هذا المعنى ...  
وانما اردت ان اقول : رغم كل التقديرات ...  
.. نعم رغم كل التقديرات ...

.. وسين سافرت الى بطرسبرج ؟  
لم يستطع فلتشائينوف ان يمنع نفسه عن طرح هذا السؤال ، على علمه بان استطلاعه هذا شيء خبيث شيطاني .  
.. حين سافرت الى بطرسبرج ، كنت اعدك ايضاً رجلاً شريفاً كل الشرف . كنت اقدرك واحترمك دائماً يا الكسي ايفانوفتش .  
رفع بافل بافلوفتش عينيه ، واخذ ينظر الى خصمه صراحة ، دون أي اضطراب . فشمع فلتشائينوف بشيء من الخوف فجأة ، فلم يحاول ان يحدث بعد ذلك أي انفجار ، واراد الا تتجاوزا الأمور حداً ما ، ولا سيما بخطيئة منه .

.. كنت احبك كثيراً يا الكسي ايفانوفتش ... كنت طوال تلك السنة التي قضيتها في ت... أشعرنحوك بالحب... كنت أنت لا تلاحظ ذلك (قال هذا بصوت مرتجف أخاف فلتشائينوف) . كنت انما أهون عنك من ان احبك ~~تلي ملاحظة ذلك~~ . على كل حال ، ربما كان ذلك أفضل . وخلال هذه السنين التسع الطويلة كنت أتذكرك دائماً ، لأنني لا أتذكر سنة تشبه تلك السنة (التمعت عينا بافل بافلوفتش التماعاً غريباً) . وقد حفظت عدداً كبيراً من تعابيرك ، ومن آرائك . كنت أتذكرك دائماً ، كرجل حار القلب ، نبيل المواقف ، مثقف ، مثقف جداً ، صاحب أفكار : « الأفكار الكبيرة ثمرة القلب الكبير لا العقل الكبير » . هذا ما قلته انت ، ولعلك لا تتذكره ، اما أنا فقد حفظته . كنت ارى فيك دائماً انساناً ذا قلب . فكنت اعتمد عليك ، وكنت أثق بك رغم كل شيء ...

أخذت ذقنه ترتجف فجأة . وذعر فلتشائينوف . كان لابد من قطع هذه اللهجة غير المتوقعة قطعاً سريعاً . فتمتم فلتشائينوف

يقول ، وقد احمر وجهه ، وانزعج وذهب صبره :

— كفى ، أرجوك .

ثم صاح فجأة يقول :

— ولكن لماذا ، لماذا تلاحق رجلا مريضا ، مهدم الأعصاب ، يكاد يهدى ؟ لماذا تجره الى ظلمات كثيفة ... مع ان هذا كله ليس الا اشباحا ، وسرابا ، وكذبا شائنا ، وسرفا ... والسرف هو الشيء الاساسى ، هو ما يثير الحنق اكثر من اى شيء آخر: السرف . كل ذلك سخيف مضحك . نحن كلانا فاسدان ، خبيثان ، نحن كلانا كاذبان . هل تريد ، هل تريد ان ابرهن لك فورا على انك لا تحبني ، على انك تكرهني من أعماق نفسك ، وعلى انك تكذب دون ان تعرف ذلك انت نفسك ؟ لقد اخذتني الى هناك ، لقد جررتني الى هناك ، لذلك الغرض السخيف المضحك ، وهو ان تمتحن خطيبتك ( وهذه فكرة غبية ) ، ولكنتك حين رايتنى أمس عاد اليك الغضب ، فأخذتني الى هناك ، لتريني خطيبتك، ولتقول لى: «حاول ان استطعت !» أردت ان تتحدانى. لعلك كنت لا تعلم ذلك ، ولكن هذا هو الواقع ... هذا ما كنت تحسه . والمرء لا يتحدى هذا التحدى الا اذا كره ، وانت اذن تكرهني . كان فلتشانينوف يمسح الأرض جيئة وذهابا ، وهو يقذف هذا الكلام ، بصوت لاهت ، ذليل ، يعذبه الشعور بالانحدار الى مستوى بافلوفتش .

قال بافل بافلوفتش فجأة ، بصوت منخفض ، متمجج ، وقد اخذت ذقنه ترتجف من جديد :

— أردت ان أعقد بيننا صلحا ...

فما ان سمع فلتشانينوف هذا الكلام حتى استبد به غضب مجنون ، كأنه لم يسمع في حياته اهانة كهذه الاهانة ، فزار يقول: — اعود فأقول لك أنك تلاحق انسانا مريضا مهدم الأعصاب ... تلاحقه لتنتزع منه الكلمة التى تنتظرها في غرطائلنا ولكننا .. نعم .. ولكننا ننتهى الى عالمين مختلفين ... افهم هذا اخيرا ... ثم ... ثم ان بيننا قبرا ...

قلل ذلك بصوت مختنق ، ثم ما لبث ان ثاب الى نفسه .

قال بافل بافلوفتش وقد اصفر وجهه فجأة وتشنج :

— ولكن كيف تستطيع ان تفهم ماذا يعنى هذا القبر بالنسبة

الى .. هنا ؟

قال ذلك وهو يسير نحو فلتشانيوف ، ويضرب صدره ضربة مضحكة ولكنها قوية .

— أنا أعرف ما هو هذا القبر الصغير . انه بيننا نحن الاثنين ، وأنت وأنا واقفان على طرفيه ... ولكن الطرف الذي أقف عليه أنا فيه أكثر .. أكثر ... أكثر ... أكثر ...  
ردد كلماته الأخيرة هذه متمتما كأنه يهذى ، وهو ما زال يضرب صدره بيده .

وفجأة قرع الجرس قرعا قويا ذكرهما بنفسيهما . ان الطارق يقرع الجرس قرعا عنيفا كأنه يريد أن يقطع الحبل .  
قال فلتشانيوف مضطربا :

— ما من أحد يقرع الجرس في بيتي هذا القرع العنيف .  
فتمتم يا فل يا فلوفتش يقول خجلا ، وقد تاب إلى نفسه وعاد كما كان يا فل يا فلوفتش منذ برهة :  
— ليس هذا بيتي مع ذلك .

ومضى فلتشانيوف يفتح الباب مستاء .  
قال في حجرة المدخل صوت شاب قوى مليء بالثقة :  
— أظنك السيد فلتشانيوف ؟  
— ماذا تريد ؟

تابع الصوت القوي الرنان كلامه يقول :  
— أعرف ان عندك في هذه اللحظة رجلا اسمه تروسوتسكى .  
احب ان أراه .

لا شك ان فلتشانيوف كان يسره كثيرا ان يركل هذا الشاب الواثق بنفسه ركلة واحدة بقدمه فاذا هو يتدحرج على السلم .  
ولكنه فكر في الأمر لحظة ، ثم تنحى قليلا ، وسمح للطارق ان يدخل :

— ادخل ... هذا هو السيد تروسوتسكى .

## ساشنكا ونادنكا \*

فتى فى ريمان الصبا ما تجاوز التاسعة عشرة من عمره ، ولعله دون ذلك سنا . . . أن وجهه الجميل ، المتكبر ، الواثق ، يبدو كأنه وجه طفل . أنيق الملبس ، أو تناسبه ملابسه على كل حال . أميل إلى الطول ، فاحم الشعر غزيره ، يتبعثر شعره خصلات جامحة ، أسود العينين جرىء النظرات ، وذلك كله يضيف على وجهه تعبيرا خاصا . لو لم يكن له من الجمال إلا هذا الأنف لكان فتى جميلا .

دخل وقد بدا فى وجهه الجد والرصانة :

— أظن اننى أحدث السيد تروسوتسكى .

قال ذلك وهو يفحص الكلمات ، ويحرص على أن تخلو عبارته من أى معنى من معانى الاحترام ، ليدل على أن حديثه مع هذا الرجل الملقب باسم تروسوتسكى لا يشرفه ولا يمتعه .

أخذ فلتشائينوف يفهم الأمر ، وبدأ على بافل بافلوفتش أيضا أنه أحس بشيء ما . فقد لاح فى وجهه قلق ، ولكنه حاول أن يسيطر على نفسه . فأجاب بلهجة وقور :

— لم أشرف بمعرفتك قبل الآن ، وافترض أنه ليس بيننا شيء مشترك .

— اصغ إلى أولا ، ثم تقول رأيك بعد ذلك .

قال ذلك بلهجة رصينة متفخمة . ثم وضع نظارته المربوطة بخيط من الحرير ، وضعها على إحدى عينيه وتفرس فى زجاجة الشمبانيا الموضوعة على المائدة . حتى إذا أنهى من تفرسه ، طوى نظارته بهدوء ، وقال يتجه بالكلام مرة أخرى إلى بافل بافلوفتش :

\* « ساشنكا » هو مصغر الكسندر ، و « نادنكا » هو مصغر « ناديمينا » .



- الكسندر لوبوف .
- ماذا يعنى ، الكسندر لوبوف ؟
- الكسندر لوبوف هو انا . الا تعرفنى ؟
- لا .
- ليس لك ان تعرفنى على كل حال . لقد جئت لشان هام يتعلق بك . ولكن اسمح لى ان اجلس فانا متعب ...
- قال فلتشانينوف :
- اجلس .
- ولكن الفتى كان قد جلس قبل ان ينتظر السماح له بالجلوس . شعر فلتشانينوف رغم الألم الشديد الذى كان يحسه فى صدره ، والذى كان يتزايد لحظة بعد لحظة ، شعر رغم ذلك باهتمام كبير بهذا الفتى الوقح . وخيل اليه ان ثمة شبهة بين هذا الوجه الجميل الوردى وبين ناديا .
- قال الفتى لبافل بافلوفتش وهو يشير الى كرسي امامه ، بحركة مهمة من راسه :
- اجلس انت ايضا .
- بل سابقى واقفا .
- ستصعب من الوقوف . اما انت ، ياسيد فلتشانينوف ، فاطن انك تستطيع البقاء .
- ليس ما يدعونى الى الخروج . انا فى بيتى .
- كما تريد . ويجب ان اعترف لك باننى اؤثر ان تحضر حديثى مع هذا السيد . لقد كلمتنى هناك ناديجنا فيدوسويفنا بكثير من الاطراء .
- صحيح ؟ متى اسع وقتها لهذا ؟
- بعد ذهابكما مباشرة . انا آت الآن من عندهم .
- قال ذلك ثم التفت الى بافل الذى كان لا يزال واقفا ، وأضاف يقول ببطء :
- اليك الموضوع ياسيد تروسوتسكى . اننا انا وناديجدا فيدوسويفنا يحب كل منا الآخر منذ مدة طويلة ، وقد تماهدنا على الزواج . وانت تقف الآن حائلا بيننا . وانما جئت اليك لاطلب منك ان تنسحب . فهل انت مستعد لان تطيع ؟
- أوشك بافل بافلوفتش ان يقع ، واصفر وجهه ، ولكن ابتسامة خبيثة شوهت شفتيه . فقال بوضوح :

— لا ، أبداً .

فتبخر الفتى على مقعده ، ووضع ساقاً على ساق ، وقال :  
— هكذا ؟

فأضاف بافل' بافلوفتش يقول :

— اننى لا أعرف الشخص الذى اكلمه . وأظن انه لم يبق ما  
يقوله أحدنا للآخر .

فلما فرغ من النطق بهذه الكلمات رأى من المستحسن أن يجلس  
هو أيضاً . فقال له الفتى فى اهمال :

— ألم أقل لك أنك ستتعب ؟ أما عن الشخص الذى تكلمه فقد  
سبق أن قلت لك أن اسمى لوبوف ، وأنا أنا وناديا فيدوسويفنا  
قد خطب أحدنا الآخر . فلا تستطيع إذن أن تقول أنك لا تعرف  
الشخص الذى تكلمه ، لا ولا تستطيع أن تظن انه لم يبق ثمة ما  
يقوله كل منا للآخر . إن الأمر لا يتعلق بى وحدى ، بل يتعلق أيضاً  
بنادييچدا فيدوسويفنا التى تلاحقها هذه الملاحقة الوقحة . هذا  
وحده سبب كاف للحديث بيننا .

أخرج هذا الكلام كله من بين أسنانه ، بلهجة متفطرسة ، وهو  
لا يكاد يتنازل الى حيث ينطق بالألفاظ نطقاً واضحاً ، حتى لقد  
وضع نظارته مرة أخرى ، وتظاهر بأنه يفحص شيئاً من الأشياء أثناء  
الكلام .

حاول بافل' بافلوفتش أن يقاطعه ، وقد غضب غضباً شديداً ،  
فقال :

— أسمح لى أيها الشاب ...

ولكن « الفتى » أوقفه فوراً عن اكمال جملته ، قائلاً :

— ما كان لى فى أية لحظة أخرى أن أسمح لك بمخاطبتى « أيها  
الشاب » . ولكن يجب أن تعترف الآن بأن هذا الشاب هو بعينه  
التفوق الأكبر الذى أمتاز به عليك . واليوم مثلاً حين قدمت لها  
سوارك حاولت أن تبدو أقرب الى الشباب قليلاً .

تمتم فلتشائينوف يقول : « ياله من أفعى » .

وأجاب بافل' بافلوفتش يقول فى وقار :

— على كل حال ، أيها السيد ، أنا لا أرى الحجج التى أوردتها ،  
وهى حجج مشكوك فيها وغير لائقة ، كافية لحملنا على متابعة  
حديثنا . اننى أرى أن هذا كله عبث أطفال لا قيمة له البتة .  
سأسال منذ القدر السيد المحترم جدا فيدوسوئى سيمينوفتش عن

هذا الأمر ، وأرجوك الآن ألا تعكر على هدوئي .  
فهتف المراهق يقول وهو يتجه بالكلام الى فلتشانينوف ويعجز  
عن الاحتفاظ بلهجته السابقة :

— هل ترى الى هذا الانسان ؟ ليس يكفيه أن يطرد من هناك ،  
وان تمد له اللسن سخرا . بل يريد أن يقص كل شيء على الأب .  
لا تبرهن بذلك أيها الرجل العنيد أنك تريد الحصول على الفتاة  
بالقوة ، وانك تشتريها شراء من أبويها اللذين صاروا الى الطفولة  
ولكن الوحشية الاجتماعية تحفظ لهما سلطتهما عليها . ألم تظهر  
لك احتقارها اظهرا كافيا ؟ ألم ترد اليك هديتك غير اللائقة ؟ ألم  
ترد اليك سوارك ؟ ماذا تريد أكثر من ذلك ؟  
فارتجف بافل بافلوفتش ، وقال :

— لم يرد الى أحد سوارى ، وهذا من جهة أخرى مستحيل .  
— مستحيل ؟ تقول أن هذا مستحيل ؟ ألم يرد اليك السيد  
فلتشانينوف سوارك ؟

قَالَ فِلْتشَانِينُوف لنفسه « سحقا له » ، ثم التفت الى بافل  
بافلوفتش قائلا :

— حقا لقد كلفتني تأديجا فيدوسويفنا بأن أرد لك هذه اللعبة  
يا بافل بافلوفتش . لم أشأ أن أخذها . ولكنها أصرت . وقد  
سأنتني ذلك كثيرا .

قال ذلك وأخرج اللعبة من جيبه فوضعها ، خجلا ، امام بافل  
بافلوفتش المشدوه .

قال الفتى لفلتشانينوف ب لهجة قاسية :

— لماذا لم تردها اليه ؟

فاجاب فلتشانينوف وقد انزعج انزعاجا شديدا :

— لم يتسع الوقت لهذا .

— غريب جدا !

— ماذا ؟

— يجب أن تعترف بأن ذلك شيء غريب في أقل تقدير . على اننى  
مستعد للتسليم بأن ثمة سوء تفاهم .

عصفت بفلتشانينوف رغبة قوية في أن ينهض وأن يشد أذنى  
هذا الصبي ، ولكنه لم يستطع أن يحتفظ بجده ، فاذا هو ينفجر  
ضاحكا منه امام أنفه . فأخذ الفتى يضحك أيضا . ولكن بافل  
بافلوفتش لم يضحك . لو قد لمح فلتشانينوف النظرة الرهيبة التى

رماه بها بافل بافلوفتش لأدرك أنه قد بلغ في هذه اللحظة حدا خطرا ... ولكنه ، رغم أنه لم يلاحظ تلك النظرة ، أحس أن عليه أن يساعد بافل بافلوفتش .

فقال بلهجة ودية صداقية : .

— اسمع ياسيد لوبوف . أحب أن ألفت نظرك ، دون الدخول في بحث البواعث الأخرى التي أريد استبعادها ، إلى أن بافل بافلوفتش يمتاز عليك ، إذ يخطب ناديجدا فيدوسوفنا ، بأنه معروف جدا عند هذه الأسرة الكريمة . ويجب عدا هذا أن يحسب حساب المركز الممتاز الذي يحتله ، ويجب كذلك أن يحسب حساب الثروة الطائلة التي يملكها . فمن الطبيعي جدا ، والحالة هذه ، أن يشعر بافل بافلوفتش بكثير من الاستغراب حين يرى منافسا مثلك : قد تكون لك مزايا كبيرة ، ولكنك أصغر سنا من أن يعدك منافسا ذا شأن ... ومن حقه ما دام الأمر كذلك أن يرجوك إنهاء هذا الحديث .

— ماذا تعنى بقولك « صغير السن » . لقد بلغت التاسعة عشرة منذ شهر . ويحق لى من ناحية القانون أن أتزوج منذ مدة طويلة . هذا كل شيء .

— ولكن أى أب يقبل أن يزوجك ابنته الآن ، حتى ولو سلمنا بأنك ستصبح في المستقبل من أصحاب الملايين أو من مشاهير الانسانية . أن فتى في التاسعة عشرة من عمره لا يمكن أن يسأل عن أفعاله الخاصة ، فكيف تطمع في تأمين مستقبل انسان آخر صغير السن مثلك ؟ ألا تجد ان هذا ليس على جانب عظيم من النبيل والشرف ؟ ولئن أبحث لنفسي أن أكلّمك صراحة فلأنك أنت نفسك قد استشهدتني على بافل بافلوفتش منذ لحظة .

— ها... نعم . اسمه بافل بافلوفتش . ولكن لماذا كنت أتصور ان اسمه فاسيلى بتروفتش ؟

قال ذلك ثم أردف وهو يتجه الى فلتشائينوف :

— نعم ! ان كلامك لم يدهشنى أبدا : فلقد كنت أعرف انكم جميعا سواء . على اننى أستغرب بعض الاستغراب . فقد حدثونى عنك حديثهم عن رجل يحمل فكر العصر الحديث . على كل حال ، ليس لهذا كله من قيمة . وانما المهم اننى ، على خلاف ما سمحت لنفسك بأن تقوله منذ هنيهة ، لا أرتكب أى عمل مناف للنبيل والشرف ، بل الحقيقة هي عكس هذا ، كما سأحاول أن أبرهن



لك على ذلك . أقول أولا : اننا قد تعاهدنا ، وأقول ثانيا اننى قد وعدتها وعدا قاطعا امام شاهدين ، اذا هى أحبت يوما شخصا آخر أو هى ندمت على زواجها بى وأرادت أن تفصم عرى هذا الزواج ، سأعترف كتابة باننى قارفت أثم الخيانة الزوجية ، وبذلك أهىء لها الاسباب اللازمة للحصول على الطلاق . وليس هذا كل شيء . بل سأعطيها ، يوم الزواج نفسه ، سندا قيمته مائة ألف روبل ، فاذا تراجعت فى المستقبل عن تعهدى ، وأبيت أن اكتب لها تلك الوثيقة ، ورفضت الموافقة على الطلاق ، استطاعت أن تستعمل ذلك السند وأن تضعنى فى السجن . معنى ذلك كله اننا احتطنا لكل مفاجأة ، واننى لا أعرض مستقبل أحد للخطر .

— أراهن أن الشخص الآخر... ما اسمه ؟ بردبوسيلوف ! نعم أراهن أن بردبوسيلوف هو الذى تخيل هذه الخطة الجميلة ؟

— هىء هىء هىء... .

هكذا ضحك بافل بافلوفتش ضحكا خبيثا .

— ما الذى يضحك هذا السيد ؟ نعم لقد حزت الحقيقة : ان بردبوسيلوف هو صاحب هذه الفكرة . ولا بد لك من الاعتراف بأنه أحسن تخيل هذا كله . وبذلك نعطل التشريع السخيف تعطىلا كاملا . لقد قررت أن أحبها الى الأبد ، طبعاً ، وهذه الاحتياطات كلها تضحكها كثيرا . ولكنها احتياطات بارعة على كل حال . ولا بد من الاعتراف بأنها عمل نبيل ، لا يقدم عليه أى انسان .

— فى رأى ان هذا العمل لا يعوزه النبل فحسب ، بل هو عمل سيء مرذول .

قال فلتشائينوف ذلك ، فبرز الفتى كتفيه ، ثم قال بعد لحظة من صمت :

— ليس يدهشنى كلامك ، أكرر ذلك . ان هذه الأمور أصبحت منذ مدة طويلة لاتدهشنى . ولعل بردبوسيلوف قد ذكر لك بوضوح ان عجزكم عن فهم الأمور ، مهما تكن طبيعية ، يرجع الى أن عواطفكم وافكاركم قد أفسدتها أولا هذه الحياة السخيفة التى تعيشونها منذ مدة طويلة ، وأفسدها ثانيا فراغكم الطويل... . وعلى كل حال ، لعلنا لم نتفاهم بعد : لقد حدثونى عنك بشيء واطراء... . هل أنت فى نحو الخمسين من العمر ؟

— لنعد الى موضوعنا ، من فضلك !

— اعتذر عن فضولى ، وأرجو الا تشعر من ذلك بشيء ، فما

قصدت الى أى سوء . وهانذا أعود الى الموضوع : لن أكون فى المستقبل من أصحاب الملايين كما تخيلت برهة ( والفكرة مضحكة ! ) . أنا كما ترانى . ولكننى مطمئن الى مستقبلى كل الاطمئنان . لن أكون بطلا أو مشهورا من مشاهير الانسانية . غير اننى سأكفل حياة زوجتى وحياتى . صحيح اننى لا أملك الآن شيئا ، حتى لقد نشأت فى أسرته من طفولتى ...  
— كيف ؟

— نعم نشأت فى أسرته ! كان أبى يمت الى زوجة هذا السيد زاخليبينين بقربى بعيدة . فلما مات هو وأمى ، كنت فى الثامنة من عمرى ، فضمنى العجوز اليه ، ثم أرسلنى بعد ذلك الى المدرسة الثانوية . انه رجل شهم طيب ، اذا أردت أن تعرف ذلك .  
— أعرفه .

— نعم ، ولكن رأسه محشو بأفكار عتيقة . هو طيب جدا على كل حال . وقد تحررت من وصايته منذ مدة طويلة ، لأننى أريد أن أسعى الى رزقى بنفسى ، والا أكون مدينا لأحد بشيء .  
سأله قاتشانيوف وقد ثار فيه حب الاطلاع :  
— منذ متى ؟

— منذ أربعة أشهر تقريبا .  
— اذن لقد اتضح كل شيء : أنتم اذن صديقا طفولة . وهل حصلت على عمل ؟

— نعم ، عند كاتب العدل : خمسة وعشرون روبلا فى الشهر . وهذا شيء مؤقت . ولكننى حين تقدمت مخاطبا لم أكن أملك حتى هذا . كنت أعمل عندئذ فى إدارة السكك الحديدية بعشر روبلات فى الشهر . ولكن هذا كله شيء مؤقت .

— هل تقدمت بالخطبة الى الأبوين اذن ؟  
— تقدمت بالخطبة رسميا ، منذ مدة : منذ ثلاثة أسابيع .  
— فماذا قالا ؟

— ضحك الأب فى أول الأمر ، ثم غضب غضبا هائلا ، وحبس ابنته . ولكن ناديا كانت بطلا . واذا كنا لم نظفر ، فلأن الأب كان حاقدا على منذ مدة : فلقد تركت الادارة التى أدخلنى فيها قبل ذلك بأربعة أشهر . كان ذلك قبل السكك الحديدية أيضا . انه شيخ شهم ممتاز ، كما قلت لك ، وهو فى بيته بسيط جدا مرح جدا . ولكن ليتك تراه فى مكتبه ! انه يتبدل هنالك تبلا تاما .

انه هنالك جوبيتر حقيقى . ولقد افهمته طبعاً ان طرائقه هذه لاتعجبني . ولكن المذنب الحقيقى فى الموضوع كان هو نائب الرئيس ، فقد ارتأى هذا السيد ان يشكو « فظاظتى » ، مع اننى لم أزد على ان قلت له ان ثقافته ناقصة . ثم تركتهما كليهما ، وهأنا الآن عند الكاتب بالعدل .

— هل كان أجرك حسناً فى تلك الادارة ؟  
— كنت زائداً على العدد المحدد للوظائف ، فكان المجوز زاخليبيين هو الذى يدفع أجرى . انه رجل طيب جداً ، كما قلت لك . ولكننا لن ندعم ! ان خمسة وعشرين روبلاً لا تكفى . لذلك آمل ان أشارك قريباً فى ادارة أملاك الكونت زافيليسكى الذى اضطربت شؤونه اضطراباً كبيراً ، وسأبدأ عندئذ بثلاثة آلاف روبل . والا فسأصبح محامياً . ان الحاجة الى رجال فعالين نشيطين حاجة ماسة الآن ! .. اوه ! ما هذا الرعد ! ستهب العاصفة عما قليل . من حسن حظى اننى وصلت قبل هبوبها . لقد جئت من هنالك سراً على الأقدام ، وكنت أركض ركضاً طوال الوقت تقريباً .  
— ولكن قل لى ، كيف اتسع وقتك ، ما دام الأمر كذلك ، الآن نتحدث مع ناديجدا فيدوسوفنا ، خاصة وانك لا تستقبل فى بيتهم ؟  
— يمكن التحدث من وراء السياج . ثم قال وهو يضحك :  
— ألم تلاحظ الفتاة القصيرة الحمراء ؟ أنها تسمى بيننا ، وكذلك ماريان نيكيتشنا . ولكن مابك ؟ أنت خائف من العاصفة ؟  
— لا ، ولكننى أشعر بألم شديد .

والحق ان الألم الذى أحسه فلتشائينوف فجأة فى صدره ، أصبح يوجعه أشد الوجع ، فنهض عن مقعده ، وحاول أن يسير فى الغرفة بضع خطوات .

— اذن أنا أزعجك ... لا تتخرج منى ... أنا ذاهب حالا . قال الفتى ذلك ، ونهض فجأة . فقال له فلتشائينوف بأدب ورقة :

— لا لا ، لست تزعجنى . الأمر بسيط .  
— كيف يكون بسيطاً ؟ « حين يشعر كوبلنيكوف بألم فى بطنه . . » هل تتذكر هذا الكلام عند شيدررين ؟ هل تحب شيدررين ؟

— نعم .  
— وأنا أيضاً . . . والآن يا فاسيلي . . . ها . . . عفواً . . . يا بافل بافلوفتش ! يجب أن ننهى هذا الأمر (قال ذلك وهو يلتفت الى بافل

بأقلو فتش ويكاد يضحك) هانذا أصوغ لك السؤال مرة أخرى حتى تفهم حق الفهم : هل توافق على أن تصرح للأبوين ، غدا ، تصريحاً رسمياً ، أمامي ، بأنك تعدل عن جميع ما طمعت فيه بشأن نادي جدا فيدوسويفتنا ؟

— لا ، لا أوافق .

قال بأقل بأقلو فتش ذلك وهو ينهض نافذ الصبر مهتاجاً . ثم اردف يقول :

— وأرجوك أن تتركني لهدوئي ... لأن هذا كله ليس إلا عبث أطفال ، وحماسة ! ..

قال الفتى وهو يتسهم ابتسامة متعجرفة ، ويلوح بأصبعه مهدداً : — حذار ! أنك تخطيء الحساب ! وهل تعرف إلى أين يمكن أن يؤدي بك مثل هذا الخطأ في الحساب ؟ أما أنا فأنبئك منذ الآن بأنك حين ستعود بعد عشرة أشهر ، وتكون قد أنفقت ما أنفقت من مال كثير ، وعانيت ما عانيت من صداع عسير ، ستضطر إلى العدول عن نادي جدا فيدوسويفتنا ، فإذا لم تعدل ، عاد عليك ذلك بمتاعب كثيرة ! هذا ما سيقع ! ويجب أن أقول لك ( وأغفر لي هذا التشبيه ) أن مثلك الآن كمثلك كلب راقد على علف : لا هو يأكل ، ولا هو يدع لأحد أن يأكل . وأعود فأقول لك من قبيل العطف عليك والأحسان اليك : فكر في الأمر ، حاول أن تفكر في الأمر تفكيراً جاداً ، ولو مرة واحدة في حياتك على الأقل .

قال بأقل بأقلو فتش وقد جن حنقا :

— أرجوك أن تعفيني من هذه المواقظ . أما عن تلميحاتك السافلة . . فسأخذ إجراءاتي منذ غد أيها السيد ، سأخذ إجراءات جديدة !

— تلميحاتي السافلة ؟ ما الذي تعنيه ؟ لانت السافل اذن ، ما دامت تراودك أفكار كهذه ! على كل حال ، أنا أوافق على الانتظار إلى غد . أما إذا . . . ما هذا ؟ رعد أيضاً ؟ إلى اللقاء ! لقد سعدت جداً بمعرفتك .

قال جملته الأخيرة لفلتشانينوف وهو يحييه ، ثم مضى بسرعة ، ليسبق العاصفة ، ويتحاشى المطر .



- ١٥ -

### سدد الحساب

ما ان خرج الشاب حتى أسرع بافل' بافلوفتش نحو فلتشانينوف صائحا :

- هل رايت ؟ هل رايت ؟

- حظك سيء .

قال فلتشانينوف ذلك دون أن يفكر . واغلب الظن انه لولا ذلك الهياج الذى يسببه له الله المتزايد فى صدره ، لما أفلت منه هذا الكلام .

فانتفض بافل' بافلوفتش كأن حرقا أصابه . وقال :

- وانت ؟ اغلب الظن أن شفقتك بى هى التى منعتك من رد

السوار الى ، اليس كذلك ؟

- بل لم يتسع الوقت .

- لاشك أنك رثيت لحالى ، لأنك صديق صادق ؟

- نعم ، رثيت لحالك !

قال فلتشانينوف هذا وقد تملكه الغضب .

ومع ذلك قص عليه ، بايجاز ، كيف رد اليه السوار ، وكيف

ان ناديجدا فيدوسويفنا قد أكرهته اكراها على الاهتمام بهذا الأمر .. وقال :

- لم اشأ أن آخذه ، فان لى من متاعبى الخاصة ما يكفينى ..

فقال بافل' بافلوفتش ضاحكا :

- استسلمت للاغراء ، فرضيت أن تأخذه .

- مضحك هذا الذى تقول . ويجب عليك أن تعتذر عنه . ألم

تقتنع منذ قليل بأننى لا لعب الدور الأساسى فى هذا الأمر، وان هنالك آخرين .

- لقد استسلمت للاغراء ، مع ذلك .

قال بافل بافلوفتش هذا وجلس يصب لنفسه خمرًا ، ثم أردف :  
 - هل تتصور أنني سأذعن أمام هذا الصبي ؟ لسوف أحطمه  
 كما يحطم الزجاج . هذا ما سأصنعه به . سأذهب الى هناك منذ  
 غد ، وادبر أمر هذا الصبي ، عبث الاطفال ... كله ...  
 ثم أفرغ كأسه في جوفه ، وصب كأسا أخرى . وقد فعل ذلك  
 بدون تخرج .

- نادنكا وساشنكا ! الا ما أجمل الاطفال !.. ها ها ها ...  
 أصبح لا يستطيع كظم غيظه .  
 والتمع برق باهر ، ما لبث أن أعقبه رعد رهيب ، واخذ المطر  
 ينهمر سيولا . فنهض بافل بافلوفتش الى النافذة فأغلقها .  
 - أرى أنك تستقر هنا . سأرقد انا ، فافعل ما يحلو لك .  
 قال فلتشانينوف ذلك وهو لا يكاد يقوى على الكلام من فرط  
 ما يشعر به من ألم .

فأجاب بافل بافلوفتش وقد لاح عليه انه يشعر بأنه أهين، ولكن  
 يكاد يسعده أن يشعر بذلك ، أجاب قائلا :

- في مثل هذا الجو ، لا يطرد كلب الى خارج .  
 فقال فلتشانينوف بصوت متعجب :

- اذن فابق ، واشرب ... واقض الليلة هنا اذا شئت .  
 ثم تمدد على ديوانه ، وان انينا خافتا .  
 - اقضى الليلة هنا ؟ ولا تخاف مني ؟  
 - مم أخاف ؟

قال فلتشانينوف ذلك وهو ينهض رأسه فجأة .  
 - أوه ! لا شيء ... قلت ذلك هكذا ... ولكن كان يبدو  
 عليك في المرة الماضية أنك تخشى شيئا ما ... أو هذا ما تراهي  
 لي ...

- أنت غبي !

كذلك قال فلتشانينوف ، وقد عجز عن كبح جماحه ، ثم أدار  
 رأسه نحو الحائط .

قال بافل بافلوفتش :

- أوه ! لا ، لا شيء ...

وما هي الا لحظات حتى نام المريض . ان الجهد الذي تكلفه طوال  
 النهار قد هبط فجأة ، وكانت صحته مضمضة كثيرا ، فاذا هو  
 يشعر انه ضعيف كطفل .

ولكن الألم انتصر على التعب وعلى النوم ، فما هي الا ساعة حتى استيقظ ، واضطره الوجع الى النهوض . كانت العاصفة قد هدأت . والغرفة ملأى بدخان التبغ . وزجاجة الخمر قد فرغت . وبافل بافلوفتش نائم على الديوان الآخر . انه مستلق على ظهره ، ورأسه منقلب الى جانب . لم يخلع ملابسه ، لا ولا حذاءه . وقد انزلت نظارته من جيبه ، وتدلّت من طرف سلكها الحريري حتى كادت تلامس الأرض ، وتدحرجت قبعتها . نظر اليه فلتشانيوف نظرة قائمة ، ولكنه لم يوقظه . وراح يسير في الغرفة وقد انحنى نصفين من شدة الألم . وأصبح لا يقوى على البقاء راقداً ، وكان يشن ، ويفكر في وجهه .

انه خائف من هذا الوجع . ومن حقه ان يخاف . انه يصاب بمثل هذه النوبات منذ مدة طويلة ، ولكنها لا تقع له الا من حين الى حين مرة في السنة او في السنتين . وكان يعرف ان منشأها الكبد : فالألم ، عند حفرة المعدة او فوقها قليلا في نقطة من الصدر ، يبدأ ضغطا أصم ، مزعجا ، مشرا ، رغم انه لا يزال ضعيفا ، ثم ما ينفك يشتد ويشتد طوال عشر ساعات في بعض الأحيان ، ثم يبلغ الألم من القوة ويبلغ الضغط من العنف ان المريض يرى الموت يهم به . وفي المرة الأخيرة ، منذ سنة ، بعد عشر ساعات من آلام هدأت أخيرا ، بلغ فلتشانيوف من فرط الإرهاق انه أصبح لا يقوى على تحريك يده وهو راقد في سريره . ولم يسمح له الطبيب بأن يتناول ، طوال ذلك اليوم ، الا بضعة جرعات من شاي خفيف جداً ، مع قليل من الخبز المقموس بالمرق ، كانه طفل . كانت الآلام تنبثق فجأة دون سبب ظاهر ، ولكنها كانت لا تكاد توافيه الا على اثر هياج عصبي شديد . وكانت تزول ايضا بطريقة غريبة جدا : كان يمكن في بعض الأحيان وقف التوبة منذ بدايتها ، منذ نصف الساعة الاولى ، بواسطة كمادات ساخنة لا أكثر ، وفي أحيان أخرى لا يجدى فيها شيء ، كما وقع ذلك في آخر نوبة ، ولا تزول الآلام عندئذ الا باستعمال المقيئات مرة بعد مرة . وقد اعترف الطبيب فيما بعد ان الظن قد ذهب به الى ان سما قد وضع له في طعامه .

والآن ، لا يزال الصباح بعيدا . وفتشانيوف يكره أن يستدعى طبيبا في الليل . بل انه لا يحب الاطباء أصلا . ولكنه لم يستطع أخيرا ان يحتمل أكثر مما احتمل ، فأخذ يشن أنينا

عاليا ، فأيقظ تاووه بافل بافلوفتش ، فنهض هذا واقفا على ديوانه ، وظل على هذه الحال برهة يستمع الى انين فلتشانينوف مذعورا ، وينظر اليه وهو يركض من غرفة الى غرفة ، وقد استبد به رعب شديد . كان واضحا ان زجاجة الخمر التي افرغها في جوفه قد اثرت فيه اكثر مما تؤثر فيه عادة ، فلم يستطع ان يثوب الى رشده الا ببطء ، حتى اذا فهم اخيرا ، هرع الى فلتشانينوف الذي كان لا يكاد يقوى على الكلام ، وهتف يقول له مضطربا اشد الاضطراب :

— هذا من الكبد . اعرف ذلك . ان بيوتر كوزتش الذي تعرفه قد اصيب بهذا الشيء نفسه ، وكان ذلك ناشئا عن الكبد . يجب ان نضع كمادات ساخنة . كان بيوتر كوزتش يضع دائما كمادات ساخنة ، في مثل هذه الحالة... ذلك ان هذه النوبة خطيرة يمكن ان تؤدي الى الموت . سانادي مافرا ، هه ؟

فدفعه فلتشانينوف عن نفسه منزعجا ، وهو يقول :

— لاداعي الى ذلك ، لاداعي الى ذلك . لست في حاجة الى شيء . ولكن بافل بافلوفتش كان مضطربا اشد الاضطراب ، لا يدري الا الله لماذا ! كان الامر امر حياة ابن له . لم يشأ ان يسمع شيئا ، وأصر على ان يقبل فلتشانينوف الكمادات ، وعلى ان يبتلع قدحين او ثلاثة أقداح من الشاي دفعة واحدة ، « يجب الا يكون الشاي ساخنا بل غاليا » ، فأسرع يوقظ مافرا ، دون أن يأذن له فلتشانينوف بذلك ، وساعد مافرا على اشعال النار في المطبخ المهجور منذ مدة طويلة ، واغلى الماء في السماور . وارقد المريض اثناء ذلك على فراشه ، وخلع له ملابسه ، وغطاه . وما هي الا عشرون دقيقة حتى كان الشاي قد أعد ، وكذلك الكمادة الاولى . قال بافل بافلوفتش في حماسة ، وهو يضع على صدر فلتشانينوف صحننا مسخنا ملفوفا بمنشفة :

— هذه صحنون ساخنة . ايس عندنا شيء آخر . وهي على كل حال احسن انواع الكمادات . أقسم لك . لقد جربت بها بنفسى على كوزتش . ذلك ان حالتك خطيرة ، قد تؤدي الى الموت . اشرب الشاي . ابلعه بسرعة ، ولو حرقت حلقك . ان انقاذ حياتك يستحق ان تقبل من اجله بعض الحروق .

كان بافل بافلوفتش يصطدم من فرط السرعة بمافرا التي كانت لا تزال شبه نائمة ، وكانا يتبادلان صحننا بصحن كل دقيقتين او



كل ثلاث دقائق . وشعر فلتشائينوف بعد الصحن الثالث وقدر  
 الشاي الثاني ، شعر فجأة بشيء من التحسن .  
 - إذا استطعنا أن نكسر شدة الألم ، وأن نسيطر عليه ، كان  
 ذلك وحده علامة حسنة يجب أن نحمد الله عليها !  
 بهذا هتف بافل بافلوفتش ، وأسرع يهبيء قدحا آخر من الشاي ،  
 وصحنا آخر ، وهو يشعر بفرح شديد .  
 - المهم هو كسر شدة الألم ... هو وقف سيره ...  
 هذا ما كان يردده بافل بافلوفتش في كل لحظة .  
 وما هي الا نصف ساعة ، حتى كان الألم قد هدا كل الهدوء  
 تقريبا ، ولكن المريض كان قد بلغ من الاعياء انه رفض « وضع  
 صحن واحد آخر » رفضا قاطعا ، رغم كل ضراعات بافل بافلوفتش .  
 كانت عيناه تغمضان من فرط الضعف .  
 قال بصوت ضعيف :  
 - أنا ... أنا ...  
 فأجابه بافل بافلوفتش :  
 - ذلك خير شيء تفعله .  
 - اقض الليلة هنا ... كم الساعة الآن ؟  
 - تبلغ الثانية الا ربعا بعد قليل .  
 - ارقد .  
 - نعم سأرقد .  
 وبعد دقيقة واحدة ، نادى المريض بافل بافلوفتش ، فجاءه  
 وانحنى عليه ، فتمتم يقول له :  
 - أنت ... أنت ... أنت خير مني . فهمت كل شيء ، كل  
 شيء ... شكرا .  
 فقال له بافل بافلوفتش بصوت خافت :  
 - يجب أن تنام الآن ، يجب أن تنام ...  
 ثم عاد الى ديوانه يمشی على رءوس الأصابع .  
 حين نام فلتشائينوف كان لا يزال يسمع صاحبه وهو يرتب سريره  
 بسرعة ، ويخلع ملابسه ، ويطفىء الشمعة ، ويرقد في فراشه حابسا  
 أنفاسه مخافة أن يوقظه .  
 لاشك ان فلتشائينوف قد نام بعد اطفاء الشمعة حالا . فقد  
 تذكر ذلك تذكرا واضحا فيما بعد . ولكنه ظل طوال مدة النوم  
 وحتى اللحظة التي استيقظ فيها ، ظل يحلم بأنه لا ينام وبأنه

لا يستطيع أن ينام رغم ما هو فيه من اعياء وضعف ، وحلم بأنه يهذى وهو يقظان ، وبأنه لا يستطيع أن يبدد الرؤى التي تزدهم حوله ، رغم شعوره التام بأنها ليست الا رؤى . ثم انه كان يتصرفها جميعا : غرفته مملأى بالناس ، وباب الدخول مفتوح . الناس يدخلون جماعات جماعات ، ويزدحمون على السلم . وأمام المائدة ، في وسط الغرفة يجلس رجل ، تماما كما في الحلم الذي رآه منذ شهر . والرجل كما في المرة السابقة ، متكئ على المائدة صامت . ولكن على رأسه في هذه المرة قبعة مدورة ذات شريط أسود . قال فلتشانيوف لنفسه : « ماذا ؟ كان هو اذن بافل بافلوفتش أيضا في المرة الماضية ! » . ولكنه تفرس في هذا الرجل الصامت ، فرأى انه ليس بافل بافلوفتش ، بل شخص آخر . « لماذا يضع على قبعته شريطا أسود ؟ » والناس الذين يزدهمون حول المائدة يتكلمون ويصرخون ، وتصبح الجلبة فظيعة . والجمهور حائق على فلتشانيوف ، كما في الحلم الأول أيضا ، فهم يهددونه بقبضة اليد ، ويصرخون في وجهه ، ولكنه لا يفهم ماذا يريدون منه . قال في نفسه : « اننى أهذى . أعرف ذلك . أعرف اننى لم أستطع أن أنام ، واننى نهضت عن فراشى ، من شدة الألم ! » . ومع ذلك فان هؤلاء الناس ، وصراخهم ، وحركاتهم ، كل ذلك يبلغ من الوضوح والواقعية ان الشكوك تساوره من حين الى حين « أهذه كلها هلوسات حقا ؟ ماذا يريد منى كل هؤلاء الناس ؟ رباه ! ولكن . . . اذا لم يكن هذا هلوسة ، فهل يمكن الا يوقظ هذا الصراخ بافل بافلوفتش ؟ ذلك انه نائم هنا على ديوانه ! » ووقع أخيرا شيء ، كما في الحلم السابق تماما : أسرع جميع الناس نحو السلم ، وازدحموا أمام الباب . ذلك ان جمهورا جديدا يصعد السلم ليدخل الى الغرفة . ان هؤلاء الناس يحملون شيئا : شيئا كبيرا ثقيلًا . ان وقع خطواتهم الثقيلة وأصواتهم اللاهثة المتداخلة تدوى على السلم . وترجعت في الغرفة صرخات : « اثتوا به . . . اثتوا به » . فالتمعت جميع الأعين ، وحدثت في فلتشانيوف ، وأخذت تشير له في السلم متوعدة مظفرة . فلم يشك في أن هذا كله واقع ، فارتفع على رءوس الأصابع ، ليرى من فوق هامات الناس ، بسرعة ، الشيء الذي يحمله الحاملون . ان قلبه يخفق ، ويخفق ويخفق . وفجأة ، كما في الحلم الماضى ، قرع الجرس ثلاث قرعات قوية ، هى في هذه المرة أيضا تبلغ من الوضوح انها لا يمكن أن تكون حُلُمًا .

صرخ فلتشانيونف واستيقظ من نومه .  
ولسكنه لم يثب الى الباب كما فعل في المرة الماضية . ترى ماهى  
الفكرة التى ولدت حركته الأولى ، بل هل كان فى ذهنه فى تلك  
اللحظة فكرة ما ؟ .. لكأن شخصا ، مع ذلك ، قد همس فى أذنه  
بما يجب أن يعمل ، فانتصب على سريره ، ووثب نحو الجهة التى  
ينام فيها بافل بافلوفتش ، وثب ماذا ذراعيه الى الامام كأنما ليدافع  
عن نفسه ، ليذب عن نفسه هجوما . فاذا يدها تصطدمان بيدين  
آخرين ممدودتين عليه ، فقبض عليهما قبضا قويا : كان هناك اذن  
شخص واقف قرب سريره ، منحن عليه . كانت الستائر مسدلة ،  
ولكن الظلام لم يكن كاملا ، لأن شعاعا ضئيلا من النور كان يأتى من  
الغرفة المجاورة التى ليس لها ستائر . وأحس فجأة بالم هائل فى  
راحة يده اليسرى وفى أصابعها ، فأدرك انه قبض على نصل سكين  
أو موسى حلاقة وانه شد على النصل شدا قويا ... وفى تلك  
اللحظة نفسها سقط شيء على الأرض ، فأحدث قرعة ثقيلة .  
ان قوة فلتشانيونف تساوى ثلاثة أضعاف قوة بافل بافلوفتش  
على الأقل . ومع ذلك دام صراعهما مدة طويلة لا تقل عن ثلاث  
دقائق ، قلبه فلتشانيونف بعدها على الأرض ، شادا ذراعيه الى  
الوراء . ولسكنه أصر على أن يوثق هذين الذراعين ، فأمسك يديه  
بيسراه المجروحة ، وأخذ يتلمس باليمنى حبل الستارة ، ودام ذلك  
مدة طويلة ، ثم عثر على الحبل فشده فانتزعه . لقد دهش  
فلتشانيونف نفسه ، فيما بعد ، من الجهد الجبار الذى أنفقه فى  
هذا . لم ينبس أحد من الرجلين خلال ذلك بكلمة ، فكان لا يسمع  
الا تنفسهما اللاهث والا صوت الصراع الأصم . فلما فرغ  
فلتشانيونف من تكبيل يدي بافل بافلوفتش مشدودتين وراء ظهره ،  
رماه على الأرض ، ووقف ، فأزاح الستارة ثم فتح النافذة ، وظل  
واقفا بضع لحظات يتنشق الهواء الطرى تنشقا عميقا . كانت الساعة  
قد تجاوزت الرابعة . فلما أغلق النافذة اتجه نحو الخزانة بلا  
إسراع ، فتناول منها منشفة نظيفة لف بها يده اليسرى ، وشدها  
شدا قويا ليقطع جريان الدم الذى كان يتزف غزيرا . واصطدمت  
قدماه بموسى مفتوحة ، فتناولها من الأرض وطواها ، وأعادها الى  
العلبة التى كانت موضوعة منذ الصباح على منضدة صغيرة الى  
جانب الديوان الذى نام عليه بافل بافلوفتش . ثم خبا العلبة فى  
درج مكتبه . ولم يعد الا فى تلك اللحظة الى بافل بافلوفتش ،

فأخذ ينظر فيه متفوسا .

كان بافل بافلوفتش قد استطاع أثناء ذلك بكثير من الجهد أن ينهض فيجلس على المقعد . لم يكن مرتديا ملابسه ، ولا منتعلا حذاءه . وكان قميصه مضرجا بالدم في ظهره والكمين ، ولكن هذا الدم هو الدم الذي نزل من يد فلتشانينوف المجروحة . أنه بافل بافلوفتش نفسه ، ولكن كان يمكن جدا ألا يعرف من النظرة الأولى ، لو رثى فجأة . لقد تبدل تبديلا كبيرا ، كان وجهه مخضرا ، متشنجا مخربا . وكانت يداه الموثقتان وراء ظهره تجملان جلوسه على المقعد متجمدا متصلبا . وكان يرتعش من حين إلى حين . أدار نحو فلتشانينوف نظرة ثابتة ، ولكنها منطفئة ، كأنه لا يميز كل شيء بعد . وفجأة ابتسم ابتسامة تائهة . ثم تمتم يقول وهو يشير بحركة من رأسه إلى ابريق الماء الموجود على المائدة :  
— ماء ...

فصب له فلتشانينوف كأسا من الماء ، وسقاه . مد بافل بافلوفتش شففيه بشراهة . حتى إذا تجرع ثلاث جرعات ، رفع رأسه ، وتفرس في فلتشانينوف الذي كان واقفا أمامه ممسكا بالكأس ، ولكنه لم يقل شيئا ، بل عاد يشرب . فلما انتهى من الشرب تنفس تنفسا عميقا .

حمل فلتشانينوف وسادته ، وجمع ملابسه ، ومضى إلى الغرفة الثانية ، مفلقا الباب على بافل بافلوفتش بالفتاح . لقد اختفت الأوجاع التي كان يحسها اختفاء تاما . ولكنه يحس الآن بضعف شديد ، بعد الجهد الكبير الذي أنفقه لا يدرى إلا الله كيف ! حاول أن يدرك ما وقع ، ولكن أفكاره كانت لا تزال مضطربة غير متسقة . لقد كانت الهزة قوية مسرفة في القوة . أغمض عينيه مدة عشر دقائق ، ثم ارتعش فجأة ، وصحا ، وتذكر كل شيء . فرفع يده الجريحة الملفوفة بمنشفة يبللها الدم ، والتي كانت تؤلمه ، وأخذ يفكر في الأمر بنوع من الشراهة المحمومة . ثمة نقطة واحدة بدت له واضحة : لقد أراد بافل بافلوفتش حقا أن يذبحه ، ولكن لعله كان قبل ذلك بربع ساعة لا يعرف هو نفسه أنه سيفعل هذا . لعله قد وقع بصره على علبة الموسيقى في مساء أمس ، دون أن توقظ هذه العلبة في نفسه أية فكرة ، ولكن صورتها بقيت في ذاكرته ( من عادة فلتشانينوف أنه يضع أمواس الحلاقة في درج المكتب ويقفل عليها بالفتاح ، ولكنه أخرجها



امس لنزع شعرات زائدة حول شاربيه والوجنتين ) .  
قال فلتشانينوف لنفسه ، فيما قال : « لو كان قد قرر قتلى  
منذ مدة طويلة لأعد سكينا أو مسدسا ، ولما اعتمد على أمواسى  
التي لم يرها قط قبل امس مساء » .  
ودقت الساعة السادسة أخيرا . وثاب فلتشانينوف الى نفسه ،  
فارتدى ملابسه ، ودخل على بافل بافلوفتش . لقد تساءل وهو  
يفتح الباب ، دون أن يستطيع تعليل هذا التساؤل لنفسه : « ترى  
لماذا أقفل الباب على بافل بافلوفتش ، بدلا من أن يطرده فورا » .  
فما كان أشد دهشته حين رأى السجين مرتديا ملابسه . لقد  
استطاع بافل بافلوفتش أن يحل وثاقه ، وجلس على المقعد . فلما  
رأى فلتشانينوف داخلا ، نهض . وكان يحمل قبعته استعدادا  
للخروج . ورمى فلتشانينوف بنظرة قلقة كأنها تقول : « لا تبدأ ،  
فما يجب أن نتكلم » .  
قال له فلتشانينوف :

— أخرج !

ثم أضاف :

— وخذ علبتك .

فعاد بافل بافلوفتش أدراجة ، فتناول علبته ، فوضعها في جيبه ،  
وخرج . ومضى فلتشانينوف وراءه حتى الباب ، ليطلقه . والتقت  
نظراتهما الآخر مرة . فتوقف بافل بافلوفتش فجأة ونظر كل منهما  
في الآخر كأنه يتردد . ودام ذلك خمس ثوان . وأخيرا أشار له  
فلتشانينوف بحركة يسيرة من يده أن يخرج قائلا بصوت خافت :

— أخرج .

واقفل الباب بالمفتاح .

### تحليل

أغرقه فرح كبير عظيم : ان شيئاً قد انتهى ، ان عقدة قَدْ انحلت ، ان القلق الحاد الذى كان يحاصره ، قد ابتعد الآن وتبدد . هذا ما تراءى له . لقد دام ذلك القلق خمسة أسابيع . رفع يده ، ونظر الى المنشقة المبللة بالدم ، وتمتم يقول : « فى هذه المرة ، انتهى كل شيء » . وظل طوال ذلك الصباح ، لأول مرة منذ ثلاثة أسابيع ، لا يكاد يفكر فى ليزا ، كأن هذا الدم الذى جرى من أصابعه يسد ذلك الحساب أيضاً .

كان يدرك ادراكاً واضحاً انه نجا من خطر رهيب . قال فى نفسه : « ان أمثال هؤلاء الناس الذين لا يعرفون ، قبل دقيقة واحدة ، أيقتلون أم لا يقتلون ، متى أمسكوا بيديهم سكيناً ، وشعروا بأول دفعة من دفعات الدم الحار تجرى فى أصابعهم ، لم يكتفوا بالقتل ، بل كان لابد لهم من أن يدبحوا ضحيتهم ذبحاً » . لم يستطع أن يبقى فى بيته ، فخرج ، وهو على يقين من أنه سيعمل شيئاً ما ، أو ان شيئاً ما سيقع له . كان يسير فى الشوارع ، ينتظر . ان به رغبة قوية فى أن يلقي أحداً ، فى أن يتحدث الى أى انسان ، ولو كان لا يعرفه . وفى هذه اللحظة انما بدا له أن يذهب الى طبيب ، ليضمد له جرحه تضميداً مناسباً . فذهب الى طبيب يعرفه منذ مدة طويلة . فلما فحص الطبيب الجرح شاء له حب الاستطلاع ان يعرف كيف « أمكن أن يقع هذا الأمر » ، فبدأ فلتشائينوف يجيبه مازحاً ، وهو ينفجر فى ضحك قوى ، وهم أن يقص عليه كل شيء ، ولكنه ما لبث أن لجم لسانه . وجلس الطبيب نبضه . ولما علم بالنوبة التى أصابته الليلة البارحة ، أقنعه بتناول شراب مهدىء كان بين يديه . وطمانه على عواقب الجرح قائلاً : « لا لن تنشأ عنه نتائج سيئة » ، فأخذ فلتشائينوف

يضحك ، وأكد للطبيب ان النتائج كانت ممتازة جدا . . . واستبدت به في ذلك الصباح نفسه رغبة قوية عارمة في أن يقص كل شيء ، استبدت به تلك الرغبة مرتين ، حتى انه في إحدى هاتين المرتين هم أن يقص الأمر على سيد لا يعرفه أية معرفة ، ولكنه لقيه في أحد محلات الحلوي ، فاتجه اليه بالكلام ، رغم انه يكره كل الكره ان يدخل في حديث مع اناس لا يعرفهم ، في مكان عام . دخل مخازن كثيرة ، واشترى جريدة وذهب الى خياطه يوصيه على بدلة . وكان لا يزال يكره ان يمضي الى زيارة أسرة بوجورلتسيف ، وكان يحاول ألا يفكر فيهم . ثم انه كان لا يستطيع أن يذهب الى انضواحي ، لأنه ينتظر شيئا لا بد أن يحدث هنا في المدينة . وأقبل على تناول غدائه بشهية عظيمة ، وتحدث مع خادم المطعم ، وتحدث الى جاره في المائدة ، وشرب نصف زجاجة من الخمر . لم يخطر له ببال أن توبة الليلة البارحة يمكن أن تعود ، وكان مقتنعا بأن مرضه قد زال زوالا تاما في اللحظة التي وثب فيها عن سريره ، فصرع القاتل ، بعد أن نام ساعة ونصف الساعة ، مهدود القوى تماما . ومع ذلك أصيب عند المساء بدوار ، وحاصرته في بعض اللحظات أفكار شبيهة بالأفكار التي وافته في حلم الليلة البارحة . عاد الى بيته عند هبوط الظلام ، فلما دخل الى غرفته شعر من منظرها ببعض الخوف . بدأ له منزله حزيناً ، كالحا ، جهما . طاف في البيت عدة مرات ، حتى لقد زار المطبخ ، وكان لا يدخله أبدا . « هنا كانا يسخنان الصحنون » . كذلك قال لنفسه . أغلق الباب بعناية واحكام ، وأشعل الشموع قبل أوان اشعالها في العادة . وحين أغلق الباب تذكر انه حين مر منذ برهة امام حجرة البواب ، نادى مافرا . وسألها : هل جاء بافل بافلوفتش أثناء غيابه . فلما أحكم أقفال الباب ، ذهب الى مكتبه ، ففتح الدرج ، وأخرج علبة الأمواس ، وأنعم النظر في موسى « الليلة البارحة » . كان على الساعد العاجي من الموسى قليل من آثار دم . ثم أعاد الموسى الى العلبة ، ووضع العلبة في الدرج . كان يريد أن ينام ، وبشعر ان عليه أن يرقد فوراً ، والا « لم يصلح لشيء في غد » . ذلك انه يتصور أن غدا سيكون يوما « حاسما » ، لا يدري لماذا ! ان تلك الأفكار نفسها التي لم تبرحه ، في الشارع ، طوال النهار ، لحظة واحدة ، تزدحم الآن في رأسه ، وتفترق دماغه المريض ، دون أن

تدع له لحظة من هدنة . كان يفكر ، ويفكر ، فظل مدة طويلة لا يستطيع الى النوم سبيلا .

« اذا كان من الثابت انه حاول ان يقتلني دون سابق تصور وتصميم ، فهل سبق ان راودته هذه الفكرة ، ولو مرة واحدة ؟ » هكذا تساءل ثم حسم هذا السؤال حسما غريبا ، قائلا لنفسه : « نعم ، لقد اراد بافل بافلوفتش ان يقتلني ، ولكن فكرة القتل لم تراوده في اية لحظة من اللحظات ، اى ان بافل بافلوفتش اراد ان يقتلني ، ولكنه كان لايعرف انه يريد ان يقتل . هذا كلام ليس له معنى ، ولكن الامر كذلك . انه لم يجرى الى بطرسبرج من اجل باجاوتوف ، ولا جاء اليها من اجل ترفيعه في الوظيفة ، رغم انه طاف على الوزارات ، وذهب الى باجاوتوف يحاول ان يراه . لقد احنقه موت باجاوتوف . ولكنه كان يحتقر باجاوتوف كقشة . من اجل اذن انما جاء الى بطرسبرج ، واتى بليزا ... »

« وانا هل كنت اتوقع ان ... يحاول قتلى ؟ نعم كنت اتوقع ان يقتلني ، وذلك منذ رايته في العربية يشيع جنازة باجاوتوف . منذ تلك الدقيقة ، اصبحت اتوقع شيئا ما ، ولكن هذا الشيء ليس هو القتل . لم اتوقع ان يذبحنى . »

« وهل يمكن ( بهذا هتف فلتشانينوف وهو ينهض رأسه عن المخذة فجأة ويفتح عينيه ) هل يمكن ان يكون هذا ... المجنون ... صادقا حين أكد لى حبه أمس ، وحين أخذت ذقنه ترتعش ، وحين راح يضرب صدره بيديه ؟ »

« نعم ، لقد كان صادقا ( هكذا قال فلتشانينوف لنفسه وهو يوقل في التفكير والتحليل ) ان كازيمودو (١) ت ... هذا ، لهو من الكرم والغباء بحيث يمكن ان يحب عشيق امراته التى بدا له سلوكها خلال عشرين عاما سليما لا غبار عليه . لقد ظل خلال تسع سنين يحترمنى ويقدس ذكراى ، ويحفظ « تمايرى » ! الا ما اغبانى حين لم يخطر لى ذلك على بال . انه ماكان يكذب أمس . ولكن هل كان يحبنى أمس حين صرح لى بحبه وقال لى : « لنصف حساباتنا ؟ » ... نعم ، كان يحبنى وهو يكرهنى ، وذلك هو أقوى حب ... »

« لاشك اننى حين كنت فى ت ... قد تركت فى نفسه اثرا هائلا

(١) اسم أحد نوثردام ، بطل فكتور هوجو .



« مفيدا » . هسدا ما لأبد أن يقع لشخص يجتمع فيه شيلر وكازيمودو . لقد ضخمني مائة مرة ... لأننى أحدثت تشويشا عميقا فى وحدته الفلسفية ... انه لمن الشائق أن يعرف المرء ما الذى شوشه على وجه الدقة ! ربما قفازاى النضيران ، وطريقتى فى لبسهما . ان أمثال كازيمودو يحبون الاستيتيك كثيرا ... بعض الناس ممن يملكون نفوسا كريمة سمحة ، و « الأزواج الأبديون » خاصة ، يكفيهم قفازان ... حتى يضخموا بما عداهما ألف مرة ... وانهم لمستعدون أن يقاتلوا من أجلك ، اذا شئت . وما أكثر ما يقدر وسائلى فى الاغراء ! بل لعل هذه الوسائل نفسها هى التى أسرته أكثر من أى شيء آخر . وصرخته تلك التى صرخها فى ذلك اليوم : « اذا كان هو أيضا ... فمن أصدق ؟ » ان المرء ليصبح بعد صرخة كهذه ، حيوانا كاسرا ... »

« هيه !.. لقد جاء الى هنا » ليقبلنى ويبكى ... » كما عبر هو نفسه عن ذلك هذا التعبير الخبيث . معنى هذا أنه جاء الى بطرسبرج ليدق عنقى .. ولكنه كان يتخيل أنه جاء « ليقبلنى ويبكى » . وقد اتى بليزا ... لو أننى أخذت أبكى معه ، أذن لكان يمكن أن يغفر لى ، انه كان فى شوق عنيف الى الففران ! .. ولكن هذا كله انقلب منذ اللقاء الأول الى تكشيرات سكران ، الى حركات فظة غليظة ، الى تأوهات جبانة كتأوهات امرأة مهانة (والقرنان ، القرنان اللذان تباهى بهما !.. ) من أجل هذا انما جاء ثملا . لقد سكر حتى يستطيع أن يسكت ما يعتلج فى نفسه ، ولو بعربدات . ذلك انه ما كان ليسنطيع أن يتكلم بدون سكر . هل كان يحبها ، هذه العربدات وتلك التهريجات ؟ آه كم كان يحبها ! وما كان أشد فرحة حين استطاع أن يحملنى على تقبيله ! ولكنه كان لا يعرف كيف سينتهى الأمر : اينتهى بقبل أم بطعنات سكين ؟ وأخيرا ، كان أفضل شيء هو أن يقبل وأن يقتل . كان هذا هو الحل الطبيعى . نعم ان الحياة لا تحب الأشخاص الشاذين ، وهى تتخلص منهم « بحلول طبيعية » . وأشد الشاذين هو ذلك الذى يحمل عواطف نبيلة . أعرف ذلك من تجربتى الشخصية يا بافل بافلوفتش ! الطبيعة ليست للشاذين أما وعوما ، بل أم جافية شرسة . تنجب الشاذ الأشوه أم نقضى عليه بدلا من أن ترنى لحاله وترأف به . وكذلك يجب أن يكون الأمر . ان الحنان ودموع الففران لا تصلح حتى للشرفاء فى هذا العصر ، فما بالك بنا نحن يا بافل بافلوفتش ؟ « نعم لقد كان غبيا حين اخذنى الى خطيبته . خطيبته ! اللهم

رحمتك ! ان التفكير في العودة الى حياة جديدة ، مع الاستعانة ببراءة  
الأسسة زاخليبينين ، لا يمكن أن يراود الا رجلا من هذا النوع ، لا يمكن  
أن يساور الا رجلا مثل كازيمودو . ولكنك لست آثما يا بافل  
بافلوقتش ، لست آثما البتة . انك انسان شاذ ، وكل شيء فيك لا بد  
أذن من أن يكون شاذا ، لا بد أن تكون احلامك وآمالك شاذة . ولكنه  
على شذوذه شك في حلمه ، واحتاج الى أن يدعمه فلتشانينوف المحترم  
المعظم . كان لا بد له من أن يشجعه فلتشانينوف ، من أن يؤكد له  
أن ذلك ليس حلما بل هو الواقع نفسه . انه لم يأخذني الى هناك الا  
لأنه يحترمني ، ولأنه يثق بنبل عواطفى ، ولعله كان مطمئنا الى أننا  
سنقبل كل منا الآخر ، هناك ، وراء دغل من الادغال ، باكيين منتحيين ،  
غير بعيدين عن البراءة ! نعم كان لا بد لهذا الزوج الابدى من أن يعاقب  
نفسه أخيرا في يوم من الايام ، عقابا حاسما . . . ولكى يعاقب نفسه  
امسك بالموسى . . . صحيح انه لم يمسه عن سابق تصور وتصميم ،  
ولكنه أمسكه على كل حال ! « مع ذلك طعنه بسكين أمام الحاكم » .  
لعله حين قص على تلك الحكاية عن الوصيف كان يفكر في شيء من  
هذا القبيل . ترى هل كان يبيت شيئا ، في تلك الليلة ، حين نهض من  
سريره ، وظل واقفا في وسط الغرفة ؟ لا . . . كان ذلك مزحة . لقد  
نهض لحاجة ، ولكنه حين رأى خائفا ، ظل لا يجيب مدة عشر دقائق ،  
لأنه كان يسره كثيرا أن يرانى خائفا منه . ولعل الفكرة ما نبتت في  
ذهنه الأول مرة ألا في تلك اللحظة ، حين كان واقفا في الظلام .  
« واغلب الظن مع ذلك أن شيئا مما وقع امس ، ما كان ليقع لولا  
اننى نسيت الامواس على المنضدة . هل الأمر كذلك ؟ هل هو حقا  
كذلك ؟ لقد كان يتحاشانى ، ولم يجئنى الا بعد ثلاثة أسابيع . كان  
يختبئ عني ، لأنه كان يشفق على . اختار في أول الأمر باجاوتوف ،  
ولم يخترنى أنا . وما هذه الصحون التى مضى يسخنها في الليل ؟  
« كان يأمل أن يصرف ذهنه الى شيء آخر ، أراد أن يصرف فكره  
عن السكين الى الحب ! . . . كان يريد ان ينقذنى ، وان ينقل نفسه  
بواسطة الصحون الساخنة » .

هكذا ظل عقل فلتشانينوف يعمل مدة طويلة في فراغ . . هكذا  
كانت الافكار تضطرب في الدماغ المريض ، دماغ هذا الرجل الذى كان  
يوما من « رجال الصالونات » . . الى ان هذا أخيرا فنام . حتى اذا  
استيقظ في صباح غد ، كان رأسه لا يزال مريضا ، ولكن ذعرا جديدا  
قد استولى عليه ، ولم يكن في الحسبان .

ان مصدر هذا الذعر الجديد هو انه ايقن فجأة انه ، هو ، فلتشائينوف ، رجل المجتمع الراقى ، سيذهب ، في هذا اليوم نفسه ، طائعا مختارا ، الى بافل بافلوفتش . . . لماذا ؟ لاي غرض ؟ ذلك ما كان لا يعرفه ، ولا يريد من فرط اشمئزازه ان يعرفه . كان يعرف شيئا واحدا هو انه محمول على ذلك حملا ، دون ان يفهم لماذا ؟

وقد بلغت هذه الفكرة المجنونة ( كان لا يستطيع ان يصفها الا بانها مجنونة ) من الواضوح انها اخذت شكلا معقولا ، وانتحلت لنفسها عذرا كافيا . كان فلتشائينوف قد تخيل ، منذ امس ، ان بافل بافلوفتش ، حين سيعود الى بيته ، سيسجن نفسه في غرفته بعد ان يقفل بابها بالمفتاح ، وسيشئق نفسه ، كذلك الخازن الذي حدثته عنه ماريا سيسويفنا . وتحولت هذه الفكرة شيئا بعد شيء الى يقين سخيف ، ولكن لا يمكن ان يقال . كان فلتشائينوف يقول لنفسه محاولا قطع مجرى افكاره : « ولكن علام يشئق هذا الابله نفسه ! » . ثم كان يتذكر كلمات ليزا فيقول لنفسه : « على اننى لو كنت في مكانه فقد أشئق نفسى . . . »

وأخيرا قرر فلتشائينوف ان يتجه الى مسكن بافل بافلوفتش ، بدلا من ان يذهب الى المطعم لتناول العشاء . كان يقول لنفسه : « لن ازيد على ان اسأل عنه ماريا سيسويفنا » . ولكنه ما ان وصل الى آخر السلم ، حتى وقف تحت الرواق .

هتف وقد احمر وجهه خجلا وشعورا بالعار : « كيف ؟ كيف ؟ اصحيح اننى اجر نفسى الى هناك لاقبله وابكى ؟ هل يجب ان اضيف هذه الضعة المجنونة الى كل ذلك العار ؟ »

ولكن العناية الالهية التى تسهر على جميع الناس اللائقين المحترمين ، قد انقذته من هذه « الضعة المجنونة » . فما ان أصبح في الشارع حتى اصطدم بالكسندر لوبوف . كان الفتى يلهث مضطربا أشد الاضطراب . قال :

— كنت ذاهبا اليك . ما رأيك في صاحبنا هذا بافل بافلوفتش ؟

فتمتم فلتشائينوف يقول بلهجة سادرة :

— هل شئق نفسه ؟

— شئق نفسه ؟ لماذا ؟

قال لوبوف ذلك محملا .

— لا شيء . اكمل كلامك !

— ان لك لا فكارا عجيبة حقا ! لم يشئق نفسه ( وعلام يفعل ؟ ) .

بالعكس . لقد سافر . أركبته القطار منذ هنيهة ، وشحنته . ولكن ما أكثر ما يشرب ! لقد أفرغنا ثلاث زجاجات . وبرديوسيلوف أيضا . ما أكثر ما يشرب ! ما أكثر ما يشرب ! كان يغنى في القطار . وقد تذكرك ، ولوح لنا بيده ، وحملنا تحية لك . ولكنه وغد . ما رأيك ؟ كان الفتى نملا : يدل على ذلك وجهه المشرق ، وعيناه اللامعتان . ضحك فلتشانينوف ملء حنجرتة .

— اذن لقد انتهى الى التآخي بالشرب . هاهاها . لا شك أن كلا منهما قد قبل الآخر وبكى . آه منكم أيها الشعراء ، يا اخوة شيللر ! — لاداعى الى الشتم ، أرجوك . أعلم انه تنازل هناك عن كل شيء . ذهب اليهم أمس واليوم . وشى بنا ، فحبسوا ناديا في حجرة بالقبو . وكان صراخ ، وكان بكاء . . . ولكننا لن نخضع ! . . ليتك تعرف كم يشرب ! ثم ما كان . . . إني من تهجة ! انه يتحدث عنك دائما ، ولكن انى له أن يشبه بك ! أنت على كل حال رجل محترم ، ولقد كنت فيما مضى من الطبقة العليا من المجتمع ، وانما أنت تنعزل عن هذه الطبقة الآن لقلّة مواردك ، فيما أظن . . ليذهب الى الشيطان ! . . اننى لم أفهم حق الفهم ! . .

— أهو الذى حدثك عنى بهذا ؟

— نعم هو ، ولكن لا تفضب . لخير للانسان أن يكون مواطنا صالحا من أن ينتمى الى الطبقة العليا . . . أقول هذا لأننا أصبحنا في روسيا لا نعرف في هذه الايام من نحترم ونقدر . لا شك انه يؤس في عصر من العصور ألا يعرف المرء من يحترم ويقدر . اليس هذا صحيحا ؟ — صحيح ، صحيح ، ولكن هو ؟

— هو ؟ من ؟ ها . . . نعم . . . ترى لماذا كان لا ينفك يقول : « فلتشانينوف هذا له من العمر خمسون عاما ، ولكنه مهدم » . لماذا يقول « ولكنه مهدم » ، بدلا من أن يقول « ومهدم » . كان يضحك ويردد هذا الكلام ألف مرة . وحين ركب القطار ، أخذ يضحك ، ثم أخذ يبكى . كان ذلك يبعث على القرف والاشمئزاز لا أكثر من ذلك ولا أقل . كان هذا الرجل السكران في حالة من الوضاعة يرثى لها . اننى لا أحب الباهتة ! وقد أخذ بعد ذلك يوزع مالا على الفقراء على درج أليزابت . أهى زوجته ؟

— هى ابنته .

— ماذا بيدك ؟

— جرح بسيط .



— هل تعلم ؟ لقد أحسن صنعا إذ سافر ، ليأخذ هذه الشيطان .  
والكنني أراهن على أنه سيتزوج فسور وصوله الى هناك . ألا تعتقد  
بذلك ؟

— ولكنك تريد أنت أيضا أن تتزوج ؟

— أنا ؟ زواجي أنا شيء آخر ... أنك حقا لشخص عجيب ! إذا  
كنت أنت في الخمسين من العمر ، فلا بد أن يكون هو في الستين . يجب  
على المرء أن يكون منطقيا ياعم . ثم انني كنت في الماضي ، منذ مدة  
بعيدة ، من أنصار السلافية ، أما الآن فنحن ننتظر الفجر من الغرب .  
هيا ! الى اللقاء . من حسن الحظ انني صادفتك في الشارع ، فما  
اضطرت أن أصعد الى بيتك . يستحيل أن أدخل ، لآتلح ، لآتلح .  
قال هذا واستأنف ركضه ، ولكنه ما لبث أن عاد أدراجه .  
— أين دماغى ؟ لقد حملنى رسالة اليك . هذه هى الرسالة . لماذا  
لم تصحبه الى المحطة ؟

صعد فلتشانينوف الى بيته ، وفض الغلاف الذى كتب عليه اسمه .  
لم يكن الغلاف يضم سطرًا واحدًا من بافل بافلوفتش ، بل كان يحتوى  
على رسالة أخرى عرف فلتشانينوف خطها . كان الورق قد اصفر ،  
وكان الحبر قد كبا . ان الرسالة مكتوبة منذ عشر سنين ، بعد سفره  
من ت ... بشهرين . ولكنها لم ترسل اليه ، بل أرسلت اليه رسالة  
أخرى بدلا منها . ذلك واضح من مضمونها . فى هذه الرسالة تودعه  
ناتاليا فاسيليفنا الى الأبد ، كما فى الرسالة التى وصلتته ، ولا تخفى  
عنه أنها حامل ، مع اعترافها بأنها تحب الآن شخصا آخر . ولكنها  
تعهده ، من قبيل المواساة له ، بأنها ستنتهز فرصة من الفرص لرد  
ابنتها اليه ، وتقول ان عليها بعد الآن واجبات أخرى ، وان صداقتهما  
موطدة بذلك الى الأبد . أى ان الرسالة كانت خالية من المنطق ، ولكن  
الهدف واحد ، هو التخلص من حب فلتشانينوف . حتى لقد سمحت  
له بأن يجيء الى ت ... بعد سنة ، ليرى الطفل . لا يدري الا الله لماذا  
استعاضت عن هذه الرسالة برسالة أخرى بعد أن فكرت فى الامر .  
امتقع لون فلتشانينوف وهو يقرأ الرسالة ، ولكنه تخيل بافل  
بافلوفتش ، وهو يعثر على هذه الرسالة فيقرأها لأول مرة أمام  
الصندوق المصنوع من خشب الابنوس والمرصع بالصدف .  
قال فى نفسه وهو ينظر الى وجهه فى المرآة : « لا شك ان وجهه هو  
أيضا قد امتقع حتى صار كالميت . وأغلب الظن انه كان يقرأ ، ثم  
يفمض عينيه ثم يفتحهما عسى أن يجد الرسالة قد استحالت ورقة  
بيضاء ... ولا شك انه كرر التجربة ثلاث مرات على الأقل ! ... »

## الزوج الأبدى

انقضت على هذه الأحداث التي روينها سنتان. ها نحن أولا نرى السيد فلتشانينوف ، ذات صباح من الصيف ، في عربة قطار من قطر سككنا الحديدية الجديدة . انه ذاهب الى اوديسا لرؤية صديق له ، ولهدف آخر لا يقل عن ذلك متعة وجمالا : كان يأمل أن يلقى ، بواسطة هذا الصديق ، امرأة جميلة يريد منذ مدة طويلة أن يوثق معرفته بها . لا نريد الآن أن ندخل في التفاصيل ، وحسبنا أن نذكر أن فلتشانينوف قد تبدل خلال هاتين السنتين تبدا كبيرا ، أو قل انه تحسن تحسنا كبيرا ، فقد زالت سوداويته القديمة ، دون أن تخلف أثرا يذكر .

لم يبق له من « ذكرياته » ومن أنواع القلق ( نتائج حالته المرضية ) التي حاصرتة في بطرسبرج ، منذ سنتين ، أبان ملاحقته شئون تلك الدعوى الشقية ، لم يبق له منها الا شعور خفى بالخجل من ذلك الضعف . وكان اعتقاده بأن ذلك لن يقع بعد الآن ، وبأن أحدا لن يعرف منه شيئا ، يعزيه بعض العزاء . كان أثناء تينك السنتين قد هجر علاقاته الاجتماعية هجرا تاما ، وكان لا يعنى بهندامه ، وكان يختبئ عن الناس ، ولا شك أن جميع أبناء الطبقة الراقية قد لاحظوا ذلك . ولكنه سرعان ما عاد الى المجتمع ، نادما ، مستردا ثقته بنفسه ، متبدلا كل التبدل ، وبلغ من هذا كله أن « جميع » الناس ما لبثوا أن عذروا اهماله ذاك الوقت .

حتى أن أولئك الذين انقطع عن تحييتهم كانوا أول من اعترفوا به ، ومدوا اليه أيديهم ، دون أن يسألوه عن شيء ، كأنه كان خلاله ذلك الوقت كله غائبا عنهم لأسباب عائلية لا شأن لأحد بها ، ثم عاد اليهم . ولا شك أن سبب هذه التبدلات السعيدة انما هو النتيجة التي انتهت اليها الدعوى . ذلك ان فلتشانينوف قد حصل على مبلغ ستين ألف

روبل ، وهو مبلغ ليس بالضخم حتما ، ولكن له عند فلتشانيوف قيمة كبيرة . فقد أصبح الآن راسخ القدم ، مطمئن النفس . هذا أولا ، ثم انه كان يعلم ثانيا انه لن يبدد موارده الأخيرة هذه تبديدا ابله ، كما فعل بثروتيه السابقتين ، وأن هذا المال سيكفيه الى آخر حياته . وكان يقول لنفسه أحيانا وهو يرى هذه الأشياء العجيبة التي تدور من حوله في روسيا : « لا مانع أن ينهار نظامهم الاجتماعي ، ولا مانع أن ينفخوا في آذاننا ما يشاءون . . . ان البشر والأفكار تتبدل ما حلا لها التبدل ، أما أنا فساظل واثقا من هذا الطعام اللذيذ الذي اجلس اليه الآن ، وأنا تبعا لذلك مستعد لكل شيء » .

ان هذه الفكرة العذبة الممتعة قد استولت عليه شيئا فشيئا استيلاء تاما ، وبدلته تبديلا كبيرا ، بدلته جسما وروحا معا . انه الآن انسان آخر ، لا يمت بصلة الى ذلك « المتذمر » الذي وصفناه والذي كانت تقع له قصص غير لاثقة . كان مظهره مرحا ، متفتحا راضيا . وحتى الغضون المقلقة التي ظهرت حول عينيه وفي جبينه قد زالت زوالا شبه تام ، وأبيض لونه وتورد .

انه الآن جالس جلسة مريحة في عربة من عربات الدرجة الاولى من القطار ، وقد راودته ، منذ لحظة ، فكرة ممتعة جدا . هناك تفرع في السكة بعد محطتين : ان خطا جديدا يتجه الى اليمين : ( فاذا تركت الخط المستقيم وانحرفت يمينا ، استطعت بعد محطتين من ذلك التفرع أن أمضي الى زيارة سيدة عادت من الخارج منذ قليل ، وهي تقيم الآن في الريف وحدها ، وهذا يفيدني وان كان يسيئها . وفي وسعي اذن أن أقضي هنالك وقتا جميلا لا يقل جمالا عن الوقت الذي سأقضيه في أوديسا ، خاصة وانني استطيع أن اذهب الى أوديسا فيما بعد ) . ولكنه كان لا يزال مترددا ، لا يستطيع أن ينتهي الى قرار . كان ينتظر « الصدمة » المفاجئة التي يمكن أن تحمله على أن يعزم أمره . ان القطار يقترب من المحطة ، وها هي ذي الصدمة تحدث .

ان وقوف القطار في هذه المحطة يدوم أربعين دقيقة . وفي وسع المسافرين أن يتناولوا فيها طعام الغداء . وهاهوذا الجمهور يزدحم عند باب قاعة الانتظار ، نافذ الصبر ، متعجلا ، كالعادة . وكالعادة أيضا ، في أغلب الظن ، وقعت فضيحة . نزلت من مركبة من مركبات الدرجة الثانية سيدة جميلة جدا ، ولكن ملابسها صارخة الألوان قليلا بالنسبة الى مسافرة ، نزلت من العربة وهي تجر ، بكلتا يديها تقريبا ، ضابطا من سلاح الفرسان ، شابا جميلا ، يحاول أن يتفلت منها . كان

الفتى بالغا من سكره كل مبلغ ، وكانت السيدة ، وهى قريبة له اكبر منه سنا فى اغلب الظن ، لا تتركه خشية ان يذهب الى المشرب . وقد اصطلح الضابط بشاب تاجر كان يتطرب ويعبث خارجا على كل اتران : انه فى المحطة منذ يومين يشرب مع عدد من رفاقه ، ويبدد ماله هدرًا ، دون ان يجد فرصة لمتابعة طريقه . وقام اذن شجار : فالضابط يصرخ ، والتاجر يشتم ، والسيدة مصعوقة تحاول ان تجر الضابط ، وتتوسل ائيه هاتفة به « ميتنكا ، ميتنكا ! » (١) وبدأ ذلك للتاجر الشاب امرًا فاضحا معيبا . صحيح ان الناس كانوا يضحكون ، ولكنه شعر هو بأن عواطفه الأخلاقية قد خدشت وأهينت ، لا يعلم الا الله لماذا ... قال عائبا وهو يقلد صوت السيدة المنغم :

— هل ترون هذا ؟ « ميتنكا ! » ... انهما لا يستحيان ، حتى امام الناس .

قال ذلك ثم اقترب متمايلا مترنحا من السيدة التى ارتمت على احد المقاعد واجلس الضابط الى جانبها ، فرماها بنظرة احتقار ، وقال لها بصوت متعثر :

— ما أنت الا امرأة قدرة ! امرأة قدرة !

فصرخت السيدة صرخة حادة ، والقت حولها نظرات باكية تطلب النجدة . كانت تشعر بالعار والخوف . وزاد الطين بلة ان الضابط وثب عن كرسيه يرغى ويزبد ، ويهم ان يهجم على التاجر ، ولكنه انزلق وتهاوى على كرسيه مرة أخرى ، فازداد ضحك الناس ولم يفكر احد فى التدخل ... الا فلتشانينوف الذى هب الى النجدة ، فامسك التاجر من ياقته ، وهزه ، ثم دفعه خمس خطوات عن المرأة المدعورة . فكان هذا نهاية الفضيحة : ان الشاب التاجر ، وقد أرهبته الهزة وأوجس خيفة من هامة فلتشانينوف ، ما لبث ان استسلم لرفاقه يجرونه الى بعيد . وأحدث مظهر هذا السيد المهيب الاثيق اناقة عظيمة ، أحدث أثرا كبيرا فى الضاحكين ، فكفوا عن الضحك . واخذت السيدة ، وقد احمرت احمرارا شديدا وترقرقت الدموع فى عينيها ، اخذت تعبر لفلتشانينوف عن شكرها فى تدفق . وتمتم الضابط يقول : « شك..ك..ك..را ... شك..ك..ك..را » ، وأراد ان يمسك يده الى فلتشانينوف ، ولكنه عدل عن ذلك ، واستلقى على الكرسي بجسمه كله .

(١) « ميتنكا » هو تصغير « ديمتري » للتعجب والمداخلة .



وقالت السيدة متأوهة ، بلهجة اللوم ، وهى تضم يديها احدهما الى الاخرى :  
- ميتنكا ! ...

سر فلتشانينوف من هذه المفامرة ومن ظروف تدخله . ان هذه السيدة تعجبه : لا شك انها ريفية ذات ثراء ، فملابسها غنية ، وان تكن بغير ذوق مرهف ، وحركاتها مضحكة . وهى اذن تجمع كل الشروط التى تكفل النجاح لمحتال من العاصمة يطمع فى امرأة . وتحدثنا : فكانت السيدة تتكلم بحرارة ، وتشكو زوجها الذى اختفى من المركبة فجأة ، فكان ذلك سبب كل شيء ... « انه يختفى دائما فى اللحظة التى تمس الحاجة فيها اليه » .

قال الضابط :

- كانت به حاجة ...

- أوه ... ميتنكا !

قالت ذلك وعادت تضم يديها احدهما الى الاخرى .

قال فلتشانينوف لنفسه : « مسكين أيها الزوج ! لو عرفت ماذا سيصيبك ! »  
ثم سألها :

- ما اسمه ؟ سأذهب أبحث عنه .

- يا ... ل ... يا ... لمتش ...

فسألها فلتشانينوف بكثير من حب الاطلاع :

- هل اسم زوجك بافل بافلوفتش ؟

سألها هذا السؤال ، ثم تراءى له الرأس الاصلع الذى يعرفه ، تراءى له فجأة يندس بينه وبين السيدة . وتراءت له ، فى لحظة ، حديقة زاخليبينين ، والالعاب البريئة ، وذلك الرأس الاصلع الذى لا يطاق ، ذلك الرأس الاصلع الذى كان يدخل دائما بينه وبين ناديجدا فيدوسويفنا .

هتفت السيدة مفتاظة :

- هذا انت اخيرا !

انه بافل بافلوفتش نفسه . كان ينظر الى فلتشانينوف مدهوشا ، مذهورا ، متجمدا ، كأنه يرى شبحا من الاشباح . وقد بلغ من فرط الانصعاق انه ظل خلال مدة كأنه لا يفهم شيئا مما تشرحه له زوجته المهانة متدفقة فى الكلام حائقة . وأخيرا ارتعش وفهم فى لحظة واحدة كل فظاعة الموقف : خطيئته ، وما فعله ميتنكا ، وكيف كان « هذا

السيد ملاكنا الحارس ، ومنقذنا ، بينما أنت تذهب حين يكون عليك أن تبقى ! » .

انفجر فلتشانينوف ضاحكا ، وقال :

— ولكننا صديقان قديمان ، نحن صديقا طفولة . ألم يحدثك يوما عن فلتشانينوف ؟

قال ذلك للسيدة المدهوشة كل الدهشة ، وهو يضع يده اليمنى بلا كلفة على كتف بافل بافلوفتش الذى كان يتسم ابتسامة غامضة .

أجابته السيدة وهى متحيرة بعض التحير :

— لا ، أبدا .

فقال لصاحبه :

— هيا قدمنى الى عروسك أيها الصديق غير الوفى !

— نعم ، هى ليبوتشكا (١) يا سيد فلتشانينوف . . .

بدأ يقول ذلك مضطربا ، وارتبك . واحمر وجه زوجته ورمته بنظرة حائقة ، لأنه دعاها ليبوتشكا .

قال فلتشانينوف :

— تصورى أنه لم ينبئنى بأنه سيتزوج ولا دعانى الى حفلة الزواج .

أما أنت يا أولبيادا . . .

— سيميونوفنا

قال بافل بافلوفتش ذلك يلقنه تمة الاسم . وتدخل الضابط النائم يقول فجأة :

— سيميونوفنا .

— اعذرني يا أولبيادا سيميونوفنا . أقسم لك بشرفى ، وبشرف

لقائنا هذا . . . انه زوج ممتاز .

قال فلتشانينوف ذلك وضرب بافل بافلوفتش على كتفه ضرب الصديق لصديقه تحببا .

حاول بافل بافلوفتش أن يبرز نفسه ، فقال :

— انما ابتعدت يا عزيزتى لحظة قصيرة . . .

ولكن ليبوتشكا قاطعته فورا بقولها :

— وتركت زوجتك تشتم وتحقر . . . حين تكون فى حاجة إليك

نبحث عنك فلا نجدك ، وحين لا نكون فى حاجة اليك تظل معنا .

فكرر الضابط يقول ملحا :

(١) صغرى أولبيادا .

— حيث لا يجب ، تكون ... حيث لا يجب ، حيث لا يجب ...  
كانت لبيوتشكا تكاد تختنق غضبا . كانت تفهم ان ذلك لا يحسن  
امام فلتشانينوف ، فكانت تحمر خجلا ، ولكنها لا تستطيع ان تكظم  
غيظها . فأفلت من لسانها قولها :

— انت مفرط في الحذر حين لا يجب الحذر ، مفرط في الحذر .  
وتحمس ميتنكا بدوره قائلا :

— تحت السرير ... يبحث عن عشاق ... تحت السرير ...  
حيث لا يجب ... لا يجب ...

ولكن كان لا يمكن الرد على ميتنكا بشيء . ثم ان الامور قد انتهت  
على احسن وجه . زاد التعارف ، وأرسل بافل بافلوفتش ليأتى بقهوة  
ومرق . وذكرت اولبيادا سيميونوفنا لفلتشانينوف انهم آتون من او ...  
مكان عمل زوجها ، وانهما ذاهبان الآن الى أرضهم التى تبعد عن المحطة  
مسافة أربعين كيلو مترا ، لقضاء شهرين : وأن لهم هناك بيتا جميلا  
وحديقة ، وانهم ينتظرون عددا من الزوار ، وأن لهم هناك عددا هذا  
كثيرا من الجيران ، وقالت له : اذا أحب الكسى ايفانوفتش ان يتفضل  
بزيارتهم « فى عزلتهم » ، فستقبله على انه « ملاكها الحارس الأمين » ،  
لأنها لا تستطيع ان تتصور ، دون جزع شديد ، ما كان يمكن ان يقع هنا  
لولا ... الخ ... المهم أنها ستقبله على انه « ملاكها الحارس  
الأمين » .

قال الضابط يلح فى حرارة :

— منقذ ، منقذ ...

شكرها فلتشانينوف بكثير من اللطف والأدب ، وأجاب بأن زيارته  
لهم تسره كثيرا ، وليس هناك ما يمنعه من القيام بهذه الزيارة ، اذ  
لبس له مشاغل تحجبه عنها ، وانه يعتز بهذه الدعوة التى وجهتها اليه  
اولبيادا سيميونوفنا . ثم ما لبث أن بدأ حديثا مرحا جدا ، استطاع  
اثناءه أن يكيل لها المديح مرتين أو ثلاثا . فاحمرت لبيوتشكا لذة ، فما  
ان عاد بافل بافلوفتش حتى أنبأته ، فرحة ، بأن الكسى ايفانوفتش قد  
تفضل فقبل أن يقضى معهم شهرا فى القرية ، وبأنه وعد أن يجيء بعد  
أسبوع ، فابتسم بافل بافلوفتش ابتسامة تائهة دون أن يقول شيئا .  
فهزت اولبيادا سيميونوفنا كتفيها الجميلتين ، ورفعت نظرها الى  
السماء . وهموا أخيرا أن يفترقوا ، فعسادت تفيض فى التعبير عن  
شكرها ، واستعملت مرة أخرى قولها « الملاك الحارس الأمين » ،

و « ميتنكا » الخ . وقاد بافل بافلوفتش زوجته والضابط الى عربة القطار .

اشعل فلتشانينوف سيجارا ، وراح يمشى على الرصيف جيئة وذهابا . كان يعلم أن بافل بافلوفتش سيهرع اليه ليقول له بضع كلمات قبل تحرك القطار . وذلك ما حدث فعلا . فقد طهر بافل بافلوفتش ، وكانت قسما وجهه وعيناه تعبر عن تساؤل قلق . فأخذ فلتشانينوف يضحك ، وأمسكه من ساعده « امساك الصديق لصديقه » ، وسار به الى مقعد قريب ، فجلس عليه وأجلسه الى جانبه . كان ساكنا ، يريد أن يبدأ بافل بافلوفتش الكلام . فتمتم بافل بافلوفتش يقول داخلا في الموضوع وأسا :

— اذن ستأتى الينا ؟

— كنت أعرف أنك ستسألنى هذا السؤال . لم يتغير بافل بافلوفتش اى تغير .

قال فلتشانينوف ذلك ، وانفجر ضاحكا . ثم أردف ، وهو يضربه على كتفه مرة اخرى :

— ولكن هل استطعت أن تصدق حقا ، خلال لحظة واحدة ، أننى سأجىء اليكم ؟ وأننى أيضا سأقضى معكم شهرا كاملا ؟ ها ها ...  
فنهض بافل بافلوفتش واقفا وقد ظهرت عليه علائم الفرح الشديد . وهتف دون أن يخطر على باله اخفاء فرحه :

— اذن لن تجىء ؟

— لا لن أجىء ، لن أجىء .

قال فلتشانينوف هذا ، وابتسم ابتسامة الرضا . وكان ، من جهة اخرى ، لا يفهم كل الفهم لماذا يبدو له هذا الأمر كله مضحكا ، ولكنه كان كلما ازداد تفكيرا فيه ، ازداد شعورا بأنه مضحك .

— حقا ؟ هل تقول هذا جادا ؟

سأل بافل بافلوفتش هذا السؤال ، وهو ينتفض انتفاضة من يستبد به انتظار محموم . فأجابه فلتشانينوف :

— قلت لك اننى لن آتى . أنك حقا لغريب ! ...

— ولكن اذا كان الأمر كذلك فماذا أقول لاولبيادا سيميونوفنا التى ستنتظرك ، حين ينقضى الاسبوع وما تجىء ؟

— قل لها كسرت ساقه أو قل لها أى شيء آخر من هذا القبيل .

فقال بافل بافلوفتش بصوت ضعيف متوجع :

— لن تصدقنى !



— وهل يصيبك من هذا مكروه ؟ اننى لاحظ يا صديقى العزيز أنك ترتعد خوفاً أمام امراتك الفاتنة ، هه ؟

قال فلتشانينوف ذلك ضاحكا . فحاول بافل بافلوفتش أن يبتسم ولكنه لم يستطع . أما أن يرفض فلتشانينوف المجيء فذلك شيء عظيم ، وأما أن يتحدث عن السيدة تروسوتسكى بهذه اللهجة التى زالت منها الكلفة فذلك لا يسر . وأظلم وجه بافل بافلوفتش . وفى أثناء ذلك قرع مرة ثانية الجرس الذى يؤذن بتهيؤ القطار للمسير ، ودوى من بعيد صوت صفير قلق ينادى بافل بافلوفتش . فأخذ هذا يضطرب ، ولكنه لم يدرك النداء : كان ينتظر أن يعده فلتشانينوف مرة أخيرة بأن لا يجيء .

— ما اسم زوجتك قبل أن تتزوج ؟

هكذا سأل فلتشانينوف كأنه لا يلاحظ قلقه . فأجابه وهو يصيح بسمعه وينظر الى عربة القطار نظرات قلقة :

— تى ابنة رئيس كهنتنا .

— ها . . . نعم . اظن أنك تزوجتها لجمالها ، اليس كذلك ؟

فلما سمع بافل بافلوفتش هذا السؤال كثر مرة أخرى .

— ومن هو ميتنكا هذا ؟

— لا أحد . . . هو شخص يمت الى بقرابة . . . قرابة بعيدة . أنه ابن ابنة عمى المتوفاة جولا بتشيوخوف . أخرجوه من الخدمة لقصة من القصص ، ثم أعادوه الآن ، ولقد جهزناه تجهيزا تاما . . . يا له من شاب شقى !

قال فلتشانينوف لنفسه : « كل شيء أذن على ما يرام . . . كل شيء على أنم وجه ! » .

وجاء الصوت الذى ينادى من العربة وقد ازداد حثقا :

— بافل بافلوفتش !

وأعقبه صوت آخر مخمور :

— با . . . ل . . . با . . . لتش .

فتحرك بافل بافلوفتش من جديد ، ولكن فلتشانينوف أمسكه من زنده ، وأوقفه ، قائلا له :

— هل تريد أن اذهب الآن الى زوجتك ، فأقص عليها كيف حاولت أن تدبحنى ؟ ما رأيك ؟

فصرخ بافل بافلوفتش مدعورا ، يقول :

— كيف ؟ هل يخطر ببالك هذا حقا ؟

— بافل بافلوفتش ، بافل بافلوفتش !  
هكذا دوى الصوت المنادى من بعيد مرة أخرى . فتركه فلتشائينوف  
أخيرا وهو يضحك من أعماق قلبه ، قائلا له :  
— هيا اذهب .

فتمتم بافل بافلوفتش ، حزينا ، يقول لآخر مرة ، وهو يضم يديه  
أمامه كما فعل في الماضي :  
— لن تأتي اذن ؟

فأجابه فلتشائينوف :

— أقسم لك على ذلك . هيا اركض ، والا قام القطار .  
قال له ذلك ومد اليه يده بحركة عريضة ، مدها ثم ارتعش : ذلك  
ان بافل بافلوفتش لم يتناول هذه اليد بل سحب يده .  
وقرع الجرس الأخير ايدانا بتحريك القطار . فاذا بتبدل يطرا في  
مثل ملح البسر : ان الرجلين كليهما يتغيران الآن . اذ شيئا قد اهتز  
وتحطم في فلتشائينوف الذي كان منذ لحظة يضحك ضحكا مرحا كل  
المرح . فامسك بافل بافلوفتش من كتفه بقوة وقال له هامسا ، وقد  
اصفرت شفاته وأخذتا تخلجان :

— اذا مددت لك انا هذه اليد ( قال ذلك وأشار الى راحة يده  
اليسرى التى تظهر فيها ندبة كبيرة خلفها جرح ) ففى وسعك ان  
تتناولها .

فاصفر وجه بافل بافلوفتش ايضا ، واختلجت شفاته كذلك ،  
وطافت في وجهه تشنجات خفيفة . ثم تمتم يقول وقد أخذت شفاته  
وخداه وذقنه ترتعش على حين فجأة ، وتدفقت من عينيه الدموع :  
— وليزا ؟

فظل فلتشائينوف واقفا امامه متجمدا .  
وصفر القطار .

فثاب بافل بافلوفتش الى نفسه ، وحرك يده بحركة حزينة يائسة ،  
وركض نحو القطار بسرعة . كان القطار قد أخذ يتحرك ، ولكنه استطاع  
ان يمسك بممسك الباب ، فقفز الى عربته طيرانا .

ظل فلتشائينوف هنالك حتى المساء . ثم ركب القطار التالى السائر  
على الخط المستقيم . انه لم يتجه يمنة ، لم يذهب الى السيدة التى  
كانت تقيم وحدها فى الريف . ولكن ما اكثر ما ندم على ذلك فيما بعد .

« انتهت »

## اشترك في روايات الهلال

وكلاء اشتراكات مجلات دار الهلال

السيد / هاشم علي فحاس  
جدة - ص . ب رقم ٤٩٣  
المملكة العربية السعودية  
جدة :

M. Miguel Maccul Cury,  
B. 25 de Maroc, 990  
Caixa Postal 7406.  
Sao Paulo, BRASIL.  
البرازيل :

THE ARABIC PUBLICATIONS  
DISTRIBUTION BUREAU  
7, Bishopstrove Road  
London S.E. 26  
ENGLAND.  
انجلترا :

---

( اسعار الاشتراك على الصفحة الثانية )

## رواية الزوجة الأبدية

« الزوج الأبدى » هي إحدى روايات الكاتب العالمى الروسى « ديستوفسكى » ، وقد قام بترجمتها الأديب العربى الكبير المرحوم الدكتور سامى الدروبي الذى قضى سنوات طويلة من حياته الغنية الخصبة فى ترجمة الأعمال الكاملة « لديستوفسكى » و « تولستوى » ، وترك للمكتبة العربية ثروة نادرة هى الأعمال الكاملة لهذين الأديبين العالميين .. و « ديستوفسكى » بالذات يعتبر « أباً » للرواية العالمية الحديثة ، ورواياته التى كتبها فى القرن الماضى ما زالت لامعة مثالقة فى آداب الدنيا كلها ، ولا توجد لغة عالمية حية إلا وتضم مكتبتها أعمال ديستوفسكى الكاملة ، بما فيها من متعة وخصوبة فنية عالية ، وما فيها من معرفة لا مثيل لها بأسرار النفس الإنسانية ، ولقد كانت نعمة من السموات أن يتاح للمكتبة العربية كاتب مثقف موهوب مثل سامى الدروبي ، يعكف على ترجمة ديستوفسكى بمقدرة نادرة وفهم عميق .. وهذه إحدى روايات ديستوفسكى ، فنسا وفكرا ، نقدمها للقارئ العربى فى ترجمة دقيقة أمينة ضمن روايات الأدب العالمى التى تحرص « روايات الهلال » على تقديمها إليه .